رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب

الحوار

155

السنة الثالثة عشرة
ربيع 2016

- ازدواجية التعليم الجامعي: مرئيات للخروج من الأزمة
- الاتجاه النقلي في التفسير، وسؤال الغاية
- اعترافات قاتل اقتصادي
- طفولة الوعي الإنساني

مجلة سياسية ثقافية فصلية يصدرها مكتب الإعلام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

A political and cultural magazine, issued quarterly by Kurdistan Islamic Union

صاحب الامتياز: صلاح الدين بابكر

رئيس التحرير: سالم الحاج

salimalhaj83@yahoo.com

07504499179

هيئة التحرير

سعد الزيباري saadz76@yahoo.com

نبيل فتحي حسين nabil_fathi72@yahoo.com

سرهد أحمد علي Sarhad_ahmad72@yahoo.com

الإخراج الفني

قوباد ياسين طه tqubadyasen@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: http://alhiwarmagazine.blogspot.com

البريد الإلكتروني: Alhiwar2003@yahoo.com

العنوان: أربيل ـ محلة طيراوه / مقابل نقليات الشمال / قرب المركز الثاني للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

محتويات العدد

دراسات		٤
– ازدواجية التعليم الجامعي: مرئيات للخروج من الأزمة	أ.د.عماد الدين خليل	٥–٣٥
– الاتجاه النقلي في التفسير	ضياء الدين محمد	٣٦–٤٦
– مراعاة فقه الموازنات في تطبيق الشريعة الإسلامية	د.أياد كامل الزيباري	٤٧–٥١
– مشروعية الحرب في الإسلام (٢–٢)	سالم الحاج	٥٢– ٦٦
– الكورد السوريون والحركة السياسية	د. فَرست مرعي	٦٧–٨٢
– اعترافات قاتل اقتصادي	هفال عارف برواري	٨٣–٩١
عبق الكلمات/ فقــه الطيبات	عبدالباقي يوسف	٩٢–٩٣
مقالات		٩٤
– الصــفة الأَمثــل	علاء الدين حسن	٩٥– ١٠٠
– من جاهد نفسه ظلماً، فهو على ظلم غيرها أقدر	فاتن محمد	١٠١– ١٠٣
تنمية بشرية		١٠٤
– سباعية قواعد النجاح	صالح شيخو	١٠٥– ١٣٤
مرافئ/ إصلاح يحتاج إلى إصلاح!	د.يحيى عمر ريشاوي	١٣٥
ثقافة		١٣٦
– أزمة الذات في رواية (الرجع البعيد) لـ(فؤاد التكرلي)	أثير محسن الهاشمي	١٣٧–١٤٣
– فنون الصحافة الطفلية	عبدالمجيد إبراهيم	١٤٤–١٤٧
بصراحة/ من أجل بقائنا	صلاح سعيد أمين	١٤٨
قراءة في كتاب		١٤٩
– كتاب (وقفة مع المؤرخين والنسابين في الموصل)	د.محمد نزار الدباغ	١٥٠–١٥٣
– طفولة الوعي الإنساني	هشام بن الشاوي	١٥٤–١٥٧

تعقيب ١٥٨

– الإسلام ليس بحاجة إلى إصلاح د.سعد سعيد الديوجي ١٥٩– ١٦١

تقارير ١٦٢

– استمرار حالة الانقسام السياسي في اقليم كوردستان المحرر السياسي ١٦٣– ١٦٥

– تكريم الأمين العام بوسام شخصية العام السياسية في إقليم كوردستان الحوار ١٦٦– ١٦٧

– فرع كوردستان ندوى لمنتدى الوسطية العالمي الحوار ١٦٨– ١٧٠

– ملتقى السليمانية الرابع يناقش قضايا محلية وإقليمية ودولية الحوار ١٧١– ١٧٣

– آخر الكلام/ تقليعة الإصلاح الرائجة! محمد واني ١٧٤

– ازدواجية التعليم الجامعي: مرئيات للخروج من الأزمة	أ.د.عماد الدين خليل
– الاتجاه النقلي في التفسير	ضياء الدين محمد
– مراعاة فقه الموازنات في تطبيق الشريعة الإسلامية	د.أياد كامل الزيباري
– مشروعية الحرب في الإسلام (٢-٢)	سالم الحاج
– الكورد السوريون والحركة السياسية	د. فَرست مرعي
– اعترافات قاتل اقتصادي	هفال عارف برواري

ازدواجية التعليم الجامعي: مرئيات للخروج من الأزمة*

الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتمرّس في كلية آداب جامعة الموصل-العراق

مقدمة:

ترجع أزمة التعليم الجامعي في ديارنا الإسلامية إلى بدايات القرن الماضي ونشوء أولى المعاهد والجامعات فيها والتي اختار معظمها أن يتشكل أو يبحر في اتجاهين متضادين يتمحض أولهما للعلوم أو المعارف الإنسانية، ويمضي ثانيهما للتعامل مع العلوم أو المعارف الإسلامية، دون أن يعقد بين الطرفين جسر يعين كلاً منهما على التفاعل والأخذ والعطاء وتبادل الخبرات بين المعرفتين.

كان الوضع في جانب المعرفة الإنسانية يتمثل في قبولها على عواهنها، وكما تشكلت في ديار الغرب بمنطلقاتها، وفلسفتها، وأهدافها، ومعطياتها، وتأسيساتها، ونتائجها... تقبل كامل لعلم الاجتماع الغربي، ولعلم النفس الغربي، ولعلوم الإدارة والاقتصاد الغربية، وللقانون والسياسة الغربيين، وللآداب والفنون الغربية، وللتاريخ

وفلسفته والدراسات الحضارية، وفق نموذجها الغربي.

عملية تنزيل للقوالب المعرفية الجاهزة، وباستسلام تام لمعطياتها، ليس فقط في معاهدنا وجامعاتنا، بل وحتى في مدارسنا الابتدائية ومتوسطاتنا واعدادياتنا.

وبما أن تلك المعرفة كانت تنبثق في الأعم الأغلب عن رؤية علمانية، وأحياناً، بل وفي كثير من الأحيان، مادية ذرائعية ترفض الإيمان بالغيب، وتلتصق بالمنفعي والمنظور، فيما يتناقض ابتداءً مع تأسيسات المعرفة الإسلامية المبنية على الإيمان بالغيب، وعلى منظومة القيم الأخلاقية، فلنا أن نتصور كيف سيكون الحصاد مريراً، وكيف ستتخرج أجيال الطلبة وقد فكت ارتباطها بكل ما هو إسلامي أصيل.

وزاد الأمر سوءً أن هذه المعرفة المستوردة التي فعلت كما يقول (محمد أسد: ليوبولد فايس) فعل السم في التكوين الثقافي للأمة، لم تتقبل في برامجها التربوية والتعليمية أي شيء عن المعرفة الإسلامية لكي تكون بمثابة الضابط والمرشد، ولو في حدوده الدنيا، لمأساة الإبحار في خضم الثقافة الأجنبية، اللهم إلا فيما يسمى دروس الدين التي تم التعمد، لسبب أو آخر، في أن تنطوي على قدر كبير من الهزال، والتهميش، بل والتنفير، فيما يزيد من حالة التقبل النفسي للمعطى الغربي، والجهل المطبق بالمعطى المعرفي الإسلامي.

في الطرف الآخر تصطف المعاهد والجامعات الإسلامية التي فرضت على نفسها العزلة عن المعارف الإنسانية، فيما نتج عنه تخريج أجيال من الطلبة منفصلة عن مطالب الواقع وتحدياته وضروراته" ذلك أن التخصص في علوم كعلوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والعقيدة... إلخ لا يمكن أن تؤتي أكلها وتمارس فاعليتها إلا في واقع الحياة، عندما يقدر لها أن تنزل إلى الأرض وتعيد تشكيل الخبرات الاجتماعية وفق مطالب هذا الدين" ولن يتأتى ذلك إلا بأن يكون المتخصص بالعلوم الإسلامية على قدر كبير من الإلمام بمعارف العصر التي تمسك برقبة العالم، وتشكل مصائره: السياسة والإدارة والاقتصاد والقانون والنفس والاجتماع والتاريخ والحضارة والفلسفة والآداب والفنون...إلخ، إذ كيف يتأتى لهذا الخريج أن يضع يده على الدواء الإسلامي المناسب إن لم يخبر مواطن الداء جيداً؟ وكيف يتأتى له أن يعيد صياغة الحياة وهو منعزل عما يضطرب في جنبات هذه الحياة ومفاصلها الأساسية؟

صحيح أن محاولات عديدة سعت عبر القرن ونصف القرن الأخيرين، لتجاوز الأزمة وتحقيق اللقاء المنشود بين المعرفتين، لكنها في

نهاية الأمر لم تشكل سوى بقع محدودة ومبعثرة على مساحة واسعة تعاني فيها المعرفتان من قطيعة غير مبررة على الإطلاق.

سيحاول البحث أن يشخص الأزمة في أبعادها كافة: الدور الخطير الذي مارسته المعرفة الغربية في التكوين التربوي والعلمي لأجيال الخريجين، باعتبارها معرفة احتمالية لا تؤمن بالغيب ولا تصل إلى حافات اليقين، وبالمقابل تلك الخطيئة التي فرضناها على أنفسنا بعزل طلبة الدراسات الإسلامية أو العلوم الشرعية عما يجري في الدنيا.

وسيسعى البحث إلى وضع يده على جملة من المرئيات للخروج من الأزمة، فيما يجعل من التعليم العالي مدرسة فاعلة لتخريج نخب مبدعة قديرة على الإسهام في التصدي لمشاكل الأمة، وإعادة بناء الحياة في ضوء خبرة يلتحم فيها وبالتوازن المطلوب والضروري: الديني بالمدني.

إن اللقاء المنشود بين المعرفتين يمكن أن يتحقق وفق صيغ شتى... فهناك المؤسسات الجامعية التي تلتحم في بنية مناهجها هاتان المعرفتان، وهناك المؤسسات المعنية بتدريس العلوم الإنسانية، وتلك التي تتولى تدريس العلوم الإسلامية، ومن الممكن الإبقاء على استقلالية كل مؤسسة ولكن شرط أن تنفتح على المؤسسات الأخرى وتتبادل معها الخبرات والمواد الدراسية، بحيث يتخرج طلبة كل من المؤسستين وهم يملكون معرفة متكاملة في الاتجاهين معاً.

إن إعطاء مادة (الثقافة الإسلامية) وحدها في الكليات الإنسانية لا يكفي، وهي تذكرنا بمادة الدين المعطاة في المدارس الابتدائية والإعدادية في عدم قدرتها على تقديم الحد الأدنى من المعرفة الإسلامية الضرورية لطلبة الكليات الإنسانية" وقد يحدث ما يزيد الأمر سوء وهي أن توضع هذه المادة في الدرجة الثانية من الأهمية، وقد لا تدخل درجاتها في المعدل العام، الأمر الذي يجعل الطلبة لا يتعاملون معها بالجدية المطلوبة، وقد تتأتى عن ذلك نتائج سلبية أسوة بما يحدث في الاعداديات مع درس الدين.

وفي المقابل فإن هناك العديد من الخبرات الأكاديمية الغائبة في المؤسسات الجامعية الإسلامية وسيتم الوقوف عندها في سياق البحث، فيما يعين هذه المؤسسات في حالة التعامل معها بالجدية المطلوبة، على أن تكون أكثر فاعلية وأن يكون خريجوها أكثر قدرة على البحث والإبداع والتألق التدريسي والمساهمة الإيجابية في واقع الحياة الاجتماعية.

البحث ينسج خيوطه وفق مستويين: تشخيص الأزمة في أبعادها كافة، ثم تقديم الحلول والمقترحات والمرئيات التي تعين على الخروج منها" والهدف في كل الأحوال هو

التحقق بمبدأ التكامل المعرفي، وتمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، حيث يشكل الانفصال المخزن بين المعرفتين واحداً من أهم أسباب التخلف الذي تعاني منه الأمة.

بين زنزانة التخصص والفضاء المعرفي:

يوماً بعد يوم تزداد الحاجة الأكاديمية والثقافية إلى التحقق بمبدأ التكامل المعرفي، وبخاصة بعد ذلك الاندفاع المرتجل وغير المدروس باتجاه الاكتفاء بالمعرفة التخصصية، في هذا العلم الإنساني، أو الإسلامي، أو ذاك، بل والذهاب أبعد باتجاه ما أطلق عليه التخصص الدقيق الذي يعني الإلمام بهذه الحلقة أو المفردة أو تلك من حلقات ومفردات هذا العلم أو ذاك، وهي مسألة ضرورية بكل تأكيد من أجل إتاحة الفرص المعمقة للكشف والإضافة والإبداع في ذلك المجال" ولكن هذا لا يبرّر – بحال من الأحوال – الاعتقال في خانة التخصص الدقيق الذي لا يملك معه أصحابه فضاءً علمياً واسعاً، ولا خزيناً ثقافياً خصباً يمكنهم، ليس فقط من المزيد من الإبداع في مجال تخصصهم الدقيق، بل والحضور المؤكد في ساحات الثقافة، والقدرة على إرفادها بالمزيد.

إننا نتذكر هنا علماء الرياضيات والفيزياء والكوزمولوجي الغربيين الكبار (اينشتين، والفردنورث، وايتهيد، وبرتراند درسل)، كما نتذكر فلاسفة العلم الكبار (الكسيس، كاريل، وسوليفان، وأغروس، وستانسيو، وهويْل) وغيرهم كثيرون... كانوا جميعاً يملكون رؤية معرفية متكاملة مكنتهم، ليس فقط من الإمساك جيداً بحلقات تخصصهم الدقيق، وتقديم الكشوف المدهشة في مجاله، وانما منحتهم الفرصة للإسهام الفعال في معترك الحياة العلمية والثقافية على امتدادها.

ونتذكر – قبالة هذا – حشداً هائلاً من المتخصّصين في العلوم الإنسانية أو الإسلامية، من حملة الماجستير والدكتوراه، بل وحتى من الحاصلين على درجة (الأستاذية)، تسمع لهم جعجعة ولا ترى لهم طحيناً، فهم يعانون من الضمور وعدم القدرة على الاكتشاف والإبداع والإضافة في الاثنين معاً: تخصصهم الدقيق وثقافتهم العامة، فهم أشبه بالمنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وانك إذا أخرجتهم من دائرة تخصصهم الدقيق باتجاه هذا الحقل المعرفي الموازي أو ذاك، ضاعوا وضلّوا الطريق لأنهم لا يكادون يملكون من خرائطه شيئاً... بل إنك – حتى في مجال تخصصهم الدقيق هذا – إذا سحبت من بين أيديهم النصوص الحرفية المستمدة من المراجع والمصادر، فقدوا القدرة على كتابة سطرين.

كسر جدران الزنزانة، وتحرير المختصين من الاعتقال في سراديبها الضيقة، تلك هي – أغلب الظن – المهمة الأساسية لمبدأ التكامل المعرفي، ومطالب الاشتغال عليه.

إتجاهات التكامل المعرفي:

يتحرك التكامل المعرفي في اتجاهات ثلاثة:

أولها: التكامل بين نمطين متغايرين من المعرفة وهما الإنسانية والإسلامية.

وثانيهما: التكامل بين علوم كل معرفة على حدة (بأن يكون المؤرخ – على سبيل المثال – ملّماً، على الأقل، بالمطالب الضرورية من العلوم الإنسانية: الجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والإدارة والسياسة والآداب والفنون... الخ، وأن يكون المحدّث – على سبيل المثال – ملماً، على الأقل، بالمطالب الضرورية من العلوم الإسلامية: علوم القرآن والفقه وأصوله والعقيدة... الخ).

وأما ثالثها: فهو ذلك التكامل بين مفردات التخصص الدقيق" فالمختص بالتفسير – مثلاً – يتحتم أن يكون ملماً بعلوم القرآن الأخرى كأسباب النزول، والإعجاز البياني، والإعجاز العلمي...، والمختص بالعصور العباسية المتأخرة يتحتم أن يكون ملماً بعصور ما قبل الإسلام، وعصر الرسالة، والراشدين والأمويين، والعصور العباسية المبكرة، وعصر الدويلات الإسلامية، والعصور المتأخرة، والعصر العثماني... إلخ.

وكلما كان التكامل المعرفي في اتجاهاته الثلاثة أكثر إحكاماً، وجدنا أنفسنا أمام "علماء" بمعنى الكلمة... علماء يملكون القدرة على الإضافة النوعية في حقل تخصّصهم الدقيق، ويسهمون في الوقت نفسه في مصطرع الحياة الثقافية العام، وذلك هو الحصاد الذي يتحتّم أن تعد به المعاهد والجامعات، وإلاّ فهو العقم الذي لا يضيف جديداً، ولا يحرّك ساكناً، ولا يملك القدرة على التجديد والابتكار، كالذي يحدث عبر العقود الأخيرة في معظم الأقسام العلمية لمعاهدنا وجامعاتنا العربية والإسلامية.

التكامل المعرفي وأسلمة المعرفة:

إن المختصين يتكاثرون بصيغة متوالية هندسية، وإذا بالقسم العلمي الواحد يتلقى السبعين والثمانين من المنتمين إليه من حملة الشهادات العليا، والحاصلين – ربما – على (الأستاذية)، لكن النتاج العلمي، والمشاركة الثقافية، تكاد تكون صفراً! أو انهم – في أفضل الأحوال – ينجزون العدد المطلوب والمفروض عليهم من البحوث التي يسمونها (علمية) والتي تؤهلهم للترقية العلمية" ولكن أية بحوث هذه؟ إنك لا تكاد تقرأ فيها سطراً

أو سطرين حتى تكتشف عوارها وبوارها، وتضحّل أصحابها حتى على مستوى القدرة على التعبير وصياغة الأفكار.

فما لم تتدارك جامعاتنا هذا السرطان الخبيث، فإنه سيمضي لافتراس الأخضر واليابس، ولن يكون بعدها عطاء علمي مشحون بالإبداع والابتكار، ولا جدل ثقافي محتدم يملأ الساحات بعصفه الفكري، وعطائه الخصب الأصيل.

في ضوء هذا كله يجيء التكامل المعرفي لكي يعالج خللاً ملحاً، ويعيد الأمور إلى نصابها الحق، ويمنح المعاهد والجامعات الفرصة لأن تعود مرة أخرى فتمّد الحياة العلمية والثقافية معاً، بعطائها الموصول.

ليس هذا فحسب، بل إن التكامل المعرفي يعد ضرورة من ضرورات التأصيل الإسلامي للمعرفة، أو أسلمتها بعبارة أخرى، إذ كيف تتم إعادة بناء المعرفة الإنسانية في ضوء تصورات وقيم ومبادئ المعرفة الإسلامية، وكيف يتم تحريرها من هيمنة المؤثرات العلمانية، وأحياناً المادية، التي انحرفت بمعطياتها ونتائجها فيما يتعارض وأسس التصوّر الإسلامي للكون والعالم والحياة والإنسان والوجود والمصير، وكيف يعود الالتحام بين الحقائق والتأسيسات المتشكلة بقوة (الوحي)، وبين كشوف العقل البشري وخبراته المتنامية في هذا الحقل أو ذاك؟

إن علميْ النفس والاجتماع، وعلوم الإدارة والسياسة والاقتصاد، والتاريخ والحضارة، والآداب والفنون، بأمس الحاجة إلى التعامل معها، بدءً وصيرورة ونتائج ومعطيات، وفق أسس وضوابط المعرفة الإسلامية التي لا تبخل بتقديم تأسيساتها وثوابتها ومعاييرها لأداء هذه المهمة من أجل الوصول – وبالطرائق العلمية الصارمة – إلى نتائج أكثر دقة وإحكاماً" وهكذا يجيء تزويد الطالب الجامعي بالمعرفتين معاً، في ضوء رؤية تكاملية، فرصة ضرورية لتمكينه من هضم وتمثل مفاهيم التأصيل الإسلامي للمعرفة، والإعانة على تحقيق أهدافها، فيما ينقلنا إلى الخطوة التالية وهي البدء بنسج المشروع الحضاري الذي يستهدف انبعاث الحضارة الإسلامية، ومشاركتها في إعادة صياغة المصير البشري، وفق معادلتها المتميزة التي يلتقي فيها الوحي بالوجود، والتعليم الديني بالكشف العقلي، ويتحقق التوازن الضائع في الحضارة الغربية الراهنة، فيما نبه إليه وأكده كبار فلاسفة وعلماء ومؤرخي ومفكري الغرب أنفسهم.

وهكذا، وحيثما تلفتنا، وجدنا كيف يصير (التكامل المعرفي) ضرورة "إسلامية" و "حضارية" في الوقت نفسه، لا تخص نتائجه

عالم الإسلام وحده بل يمضي لكي يسهم في إعادة بناء العالم الذي جنحت به رياح التشريق والتغريب.

قلق المعرفة الإنسانية وعدم يقينيتها:

إن ظاهرة التكامل المعرفي ترتبط في جذورها بثنائية العلاقة بين الوحي والعقل، بين المعرفة الإسلامية المستمدة من الوحي، والمعرفة الإنسانية المستمدة من العقل، وبما أن الأخير لا يمكنه بحال من الأحوال، أن يتجاوز نسبيته واحتماليته وقصوره، فلا بّد له من نقاط ارتكاز يستند إليها فيزداد انضباطاً ومقاربة للحقائق المطلقة.

العلم الديني علم يقيني في أصوله وثوابته، والعلم العقلي علم احتمالي في كشوفه ونتائجه، فلابّد – إذن – من التحقق بالتكامل بين العلمين، إذا أردنا أن نصل إلى نتائج أكثر انضباطاً" فهي – إذن – الضرورة التي لا خيار فيها، لأنها ترتبط أساساً بتحقيق المنفعة البشرية، وحماية الإنسان من غوائل الخطأ والانحراف.

لنقف قليلاً عند ظاهرة احتمالية المعرفة الإنسانية وعدم انضباطها ot Exact Sciences قدر ما يسمح به المجال، وضرورة اتكائها – إذا صحّ التعبير – على ثوابت المعرفة الدينية التي يحمل مصدرها الموحى به مصداقيته المطلقة.

سوليفان في (حدود العلم) Limitation of Science، على سبيل المثال، يؤكد، بعد سبر عميق لجوانب من هذه المعرفة، قلقها وظنيّتها، وعدم قدرتها على الوصول إلى حافات اليقين المطلق، وهو أمرٌ يكاد أن يكون مستحيلاً: "إنه ليس في نظريات علم النفس كافة شيء من شأنه أن يغيّر جدّياً من قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن" وللمعارف الأخرى أيضاً، مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية، والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي، أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبياً ضعيفة ومتلجلجة" ص ٦٠-٦١.

وهي النتيجة نفسها التي ينتهي إليها (الكسيس كاريل) في (الإنسان ذلك المجهول) Man The Unknown: إن السيطرة على عينة من العالم المادي لغرض فهمها ممكنة إلى حدّ ما، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الإنسان، والعقل، والحياة، طرفاً، فتكاد تكون مستحيلة. والنتيجة التي نصل إليها في هذا المجال "ضعيفة ومتلجلجة"[1]، الأمر الذي يذكرنا بما سبق وأن قاله الاقتصادي البولندي المعروف (أوسكار لانكه)، أحد أكبر أخصائيي الدول النامية، لدى استعراضه جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد

مجتمعات ما قبل الرأسمالية، منذ عصر (ماركس) وحتى عصر (بورشييف) وهو "أن هذه الدراسات جميعها مفككة، لذلك فان الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لم يخرج بعد إلى حيّز الوجود باعتباره فرعاً منظماً من فروع الاقتصاد السياسي"[٢]

واضع أسس الفلسفة الوضعية: (أوغست كونت) يتخذ، بسبب من دوافعه الذاتية التي لا تقوم على أي أساس موضوعي، موقفين متناقضين من المرأة، وهو عالم الاجتماع المعروف! ففي بحث بعنوان: (رسالة فلسفية في التذكار الاجتماعي) يبعث به كونت "إلى محبوبته (كلوتيلددي فو)، يغيّر رأيه في المرأة ومكانتها الاجتماعية تغييراً تاماً! "فقد كان منذ أشهر يكتب إلى تلميذه (ستيوارت مل) فيرى أنه ليس في المرأة أمل ولا خير، أما الآن فهو يرى المرأة عنصراً أساسياً في الإصلاح الاجتماعي الذي وقف نفسه عليه"[٣]

والسبب في هذا الانقلاب الفجائي من النقيض إلى النقيض، هو أنه في الأولى كان يحب امرأة قبلت الزواج منه، ولكنها خدعته فدفعته إلى محاولة الانتحار والالتحاق بمستشفى المجانين حيناً من الدهر، وفي الثانية أحب فتاة لم يتح له الزواج بها، لكنها منحته نفسها وأحبته حباً صادقاً.[٤]

ونقارن هذا التأرجح الفكري بالموقف الديني من المرأة... الموقف الثابت الواضح المنبثق عن علم إلهي محيط بتكوين هذا الجنس وخصائصه ووظائفه المناسبة، فنراه شاسعاً، ونرى الذين يتجاوزونه صوب الأحكام النسبية المتغيرة، كأحكام (كونت)، ويريدون أن يتعاملوا على أساسها المتقلب مع المرأة، يستحقون الرثاء وعدم التسليم بمقولاتهم.

وإذا كان موقف (كونت)، مؤسس واحدة من أشد الفلسفات أهمية وانتشاراً في أوربا، يغيّر رأيه بسبب دوافع ذاتية صرفة، وفي إحدى المسائل الأساسية في الحياة البشرية: المرأة، فكيف يرجى لفلسفته أن تمنح اليقين لتلامذتها والمعجبين بها، بل كيف نفسّر تحولها، وغيرها كثير من الفلسفات البشرية العاجزة، إلى ما يشبه الدين الذي ينحني الغربيون لمسلمّاته، ويعتقدون أنه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ألا ينسحب الأمر على معظم الفلسفات والعقائد الوضعية؟

فالصيرورة الديالكتيكية التي جاء بها (هيغل) قد علّمت الناس عبادة القوة" وقد ساند هو نفسه كل رجل ارتقى عرش السلطان "فحين حاول (نابليون) بحراب جيشه أن يدخل العلاقات البورجوازية إلى ألمانيا، كان (هيغل)، الذي كان في ذلك الوقت يضع أسلوبه الديالكتيكي، يتجاوب

مع الثورة الفرنسية، ورحّب بدخول جيش (بونابارت) إلى (يّنا) باعتباره التجسيد التاريخي لشكل جديد للروح المطلقة" ثم سّمى (نابليون): (الروح المطلقة على جواد أشهب) ولكن بعد عشرين سنة من ذلك، حين قوي الحكم الملكي الإقطاعي في ألمانيا، والذي كان على رأسه فردريك وليم الثالث، كان (هيغل) قد فقد أفكاره الثورية وأصبح فيلسوف الدولة في مملكة بروسيا"[٥]

وكان الدكتور (وليم رايخ)، وهو رجل ماركسي من اتباع (فرويد)، ومؤسس معهد (السياسة الجنسية)، قد أصدر تحت تأثير (مالينوفسكي) كتاباً أسماه (وظيفة الشهوة الجنسية)، شرح فيه النظرية التي تزعم أن الفشل الجنسي يسبب تعطيل الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة، وأن هذه الطبقة لن تتمكن من تحقيق امكانياتها الثورية ورسالتها التاريخية، إلاّ بإطلاق الحافز الجنسي دون حدود أو قيود، وطرح نظريته التي أسماها (نظرية كأس الماء)، وخلاصتها أن على المواطن السوفياتي إفراغ شهوته في أية امرأة تصادفه من أجل التحرّر من العطش الجنسي وما يقود إليه من كبت مدمّر! ولكن وبعد مضي أقل من سنتين أعلن (لنين) حملته ضد هذه النظرية التي كانت ستؤول إلى تحوّل الجيل الجديد في الاتحاد السوفياتي إلى أولاد حرام، ودعا – بدلاً من ذلك – إلى الاحتشام والتعفّف واحترام الأسرة والإقبال على الزواج، رغم أن مؤسسي النظرية الماركسية (ماركس وانغلز) أعلنا في المنشور الشيوعي المعروف حربهما ضد فكرة الأسرة واعتبراها عرضاً بورجوازياً زائلاً.[٦]

ثم ها هو (جان بول سارتر)، زعيم الفلسفة الوجودية الملحدة، في محاورته الأخيرة مع (سيمون دي بوفوار)، قبيل أسبوعين من وفاته يعترف: "أنا لا أشعر بأني مجرد ذرة غبار ظهرت في هذا الكون، وانما أنا ككائن حسّاس تم التحضير لظهوره وأحسن تكوينه. أي بإيجاز ككائن لم يستطع المجيء إلاّ من خالق"[٧]

وقد تكفي هذه الشواهد – وهناك غيرها الكثير – للتأكيد على قلق المعرفة الإنسانية الغربية، ونسبيّتها، وضرورة ألاّ نجعلها الحكم الفصل في مناهجنا التعليمية، وأن نتولى – بدلاً من ذلك – إعادة صياغتها وفق ثوابت التصوّر الإسلامي الذي لا يخضع للتقلبات والنسبيات والأهواء التي أدانها القرآن الكريم بالحسم الواضح: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى} (سورة النجم: ٢٣).

شيء عن العمق الغيبي:

ونستطيع أن نذهب خطوات أبعد من هذا، بعدما أكدت الكشوف الفيزيائية والكوزمولوجية الأكثر حداثة، العمق الغيبي للظواهر الطبيعية الكبرى، وكيف أن العالم المادي لا يعدو أن يكون مجرد قشرة سريعة الانكسار. فبعد تفجير القنبلة الذرية، ومن بعدها الهيدروجينية والنيوترونية، تأكدت هذه الحقيقة، وأن ما وراء القشرة الهشّة، تحتها تماماً، على بعد خطوات منها، مخفية عن العيان، ومنطوية في عالم الغيب، قوى هائلة تفوق التصوّر، وتؤكد الحقيقة القرآنية التي طالما أشار إليها كتاب الله مراراً وتكراراً، من أن عالم الغيب أشد ثقلاً وحضوراً من العالم المشهود.

والظاهرة لا تقتصر على الغيب الفيزيائي وحده – إذا صح التعبير – ولكنها تمتد لكي تشمل الخلائق كافة، والقوى والطاقات الهائلة التي ينطوي عليها الكون، مروراً بالملائكة والجان، ووصولاً إلى كلمة الله التي إذا أرادت شيئاً فانما تقول له (كن فيكون).

أية قوة هائلة، مطلقة الإسار، غير محدودة، تنطوي عليها كلمة (كن) هذه؟ أية فاعلية جبارة لا يقف أمامها شيء، تملك هذه القدرة اللامحدودة على الخلق والإنشاء؟ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (سورة الكهف: ١٠٩)... ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ...﴾ (سورة لقمان: ٢٧).

والعقل البشري الذي لا يزال، رغم كشوفه المدهشة، طفلاً يحبو عند حافات الكون، لن يكون بمقدوره إدراك ما تعنيه كلمة (الغيب)، وما تنطوي عليه من قوى خلاّقة هائلة، غير محدودة.

هايزنبرغ وشرودنجر واينشتاين وماكس بلانك، والفيزيائيون والكوزمولوجيون الذين جاءوا بعدهم، فتحوا في القشرة المنظورة ثغرات ضيقة جداً، فرأوا الأعاجيب، وكانت القنبلة الذرية واحدة من ثمار هذه الأعاجيب... ترى ماذا لو رفع الغطاء كلّه؟ ما الذي سنراه؟

الشاهد القرآني:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (سورة التكوير: ١-٦). ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ (سورة الانفطار: ١-٤).[٨]

"وأما تسجير البحار فقد يكون معناه ملؤها بالمياه. وإما أن تجيئها هذه المياه من فيضانات كالتي يقال أنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها. وإما بالزلازل والبراكين التي تزيل الحواجز بين البحار فيتدفق بعضها في بعض. وإما أن يكون معناه التهابها وانفجارها، كما قال في موضع آخر (وإذا البحار فجرت)، فتفجير عناصرها، وانفصال الايدروجين عن الأوكسجين فيها، أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الذرة، وهو أشد هولاً. أو على أي نحو آخر. وحين يقع هذا فان نيراناً هائلة لا يتصور مداها تنطلق من البحار. فإن تفجير قدر محدود من الذرات في القنبلة الذرية أو الايدروجينية يحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا، فإذا انفجرت ذرات البحار على هذا النحو أو نحو آخر، فان الإدراك البشري يعجز عن تصوّر هذا الهول، وتصوّر جهنم الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة"[٩]

محدودية عالم الشهود:

هذا عن العالم والكون، فماذا عن الإنسان؟

(الكسيس كاريل) في (الإنسان ذلك المجهول)، ومن أجل تأكيد عجز الإنسان، ونسبية معرفته عن معجزة العقل، وطرائق عمل الدماغ البشري، يؤكد أن العلم الطبيعي إذا كان قد أوغل في كشوفه، وقطع المسافات الطوال بخصوص الظواهر الطبيعية، فإنه يكاد يحبو ويتعثر في فهمه لخبايا النفس البشرية... يقول: "اننا بتعلمنا سرّ تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريباً على كل شيء موجود على ظهر البسيطة، فيما عدا أنفسنا... إن علم الكائنات الحية بصفة عامة – والإنسان بصفة خاصة – لم يصب مثل هذا التقدم... إنه لا يزال في المرحلة الوصفية... فالإنسان كل لا يتجزأ وفي غاية التعقيد، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه أو في أجزائه في وقت واحد... فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة! وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب. إن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية، ما زالت غير معروفة... ونحن لا نملك أي فن يمكننا من النفوذ إلى أعماق المخ وغوامضه، أو إلى الاتحاد المتناسق بين خلاياه... وعلينا أن ندرك بوضوح أن علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعاً"[١٠]

بل إن الفيزيائيين الكبار الذين أشرنا إليهم كشفوا عن حقيقة أخرى: أنه حتى

الكشوف الفيزيائية المتعاملة مع المادة والطاقة والضوء والكتلة... لم تبلغ حافات اليقين، وأن نسبة الاحتمال فيها كبيرة وكبيرة جداً، وأنها تنطوي على أعماق غائرة مغيّبة عن الأنظار، وعن أكثر الأجهزة التقنية قدرة على الكشف والايغال.

ومن الواضح، كما يقول (سوليفان)، أن حقيقة كون العلم مقصوراً على معرفة البنى، وليس الماهيات، هي حقيقة ذات أهمية إنسانية عظيمة لأنها تعني أن مشكلة طبيعة الحقيقة لم يبت فيها بعد، ولم يعد يطلب إلينا الآن أن نعتقد بعدم وجود مقابل موضوعي لاستجابتنا للجمال... إن تطلعاتنا الدينية وحسّنا الجمالي ليسا بالضرورة ظواهر وهمية، كما جرى الافتراض في السابق.[١١]

ما الذي نخلص إليه من هذا العرض الموجز سوى أن عالم الشهود لا يعدو أن يكون بقعاً صغيرة ومنحسرة في البنية الكونية، وهو كذلك في النفس البشرية، بتقلباتها التي لا حدود لها، وبطرائق عمل الدماغ البشري، حيث لا يبدو في معظم الأحيان سوى الخمس من كتلة الجليد العائمة، بينما تظل الأخماس الأربعة الأخرى مغيبة عن الأنظار باعتبارها عالماً غيبياً.

ثنائية الغيب والشهود:

في ضوء ذلك كلّه الا يتحتم أن نرجع إلى القرآن الكريم لمتابعة ما الذي يريد أن يقوله بخصوص ثنائية الظاهرتين الكونية والإنسانية، ما بين الشهود والغيب؟

أربع وخمسون مرة ترد كلمة (الغيب) باشتقاقاتها المختلفة، في كتاب الله، مما يدلّ على الثقل الكبير والحضور المؤكد اللذين أولاهما القرآن الكريم لعالم الغيب، بل إن نقطة الارتكاز الأساسية في الإيمان، والتي وردت في الآية الثالثة من سورة البقرة، هي الإيمان بالغيب: ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة البقرة: ١-٣).

بعدها تتوالى الآيات لكي تعرض الحقيقة الغيبية وتتعامل معها، من أكثر من زاوية، وعلى أكثر من مستوى.[١٢]

إننا – على سبيل المثال – عندما نقرأ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ...﴾ (سورة الأنعام: ٥٩) أو ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ (سورة الفرقان: ٦)، يتجه فكرنا على الأغلب إلى العالم اللامنظور، الكائنات اللامرئية، الوجود المغيّب عن الأنظار: الملائكة، الجان، الشياطين، الجنة، النار... الخ، أو – حتّى – الأرزاق المقدّرة من السماء، ولكنه نادراً ما يتجه إلى ما ينطوي

عليه الكون من طاقات وأسرار مغيّبة، فيزيائية هائلة لا يتصورها عقل. ولقد قدّر للإنسان أن يطلع على جانب ضئيل منها عندما فجّر الذرة، ولكن ماذا بخصوص الذي لم يكتشف، أو يفجّر بعد من طاقات وأسرار الكون التي يمسك الله سبحانه بمفاتيحها، أو ينزّلها بقدر معلوم؟

إن الانقلاب الكوني الكبير يوم القيامة، والذي أشرنا إلى بعض شواهده، قد يقّربنا بعض الشيء. تلك الآيات التي تحّدثنا عن انفطار السماء، وانتشار النجوم، وتكوير الشمس، ودك الجبال، وتسجير البحار.

إن علينا أن نقف طويلاً عند عبارة (مفاتح الغيب) وعبارة (السرّ في السموات والأرض)، ونتجاوز تسطيح التفاسير القديمة، ونستدعي أكثر الكشوف الفيزيائية والكوزمولوجية جدّة وحداثة، لكي ندرك أبعادهما المدهشة والمذهلة، ولكي يتبيّن لنا – بحق – أن كتاب الله سبحانه، وكما حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ).

"إن حقيقة الغيب من مقوّمات التصوّر الإسلامي الأساسية، لأنها من مقومات العقيدة الإسلامية الأساسية، ومن قواعد الإيمان الرئيسية، وذلك أن كلمات (الغيب) و (الغيبية) تلاك في هذه الأيام كثيراً – بعد ظهور المذهب المادي – وتوضع في مقابل (العلم) و(العلمية) والقرآن الكريم يقرر أن هناك (غيباً) لا يعلم (مفاتحه) إلا الله، ويقرر أن ما أوتيه الإنسان من العلم قليل، وهذا القليل انما آتاه الله به بقدر ما يعلم هو – سبحانه – من طاقته ومن حاجته وأن الناس لا يعلمون – فيما وراء العلم الذي أعطاهم الله إياه – الاّ ظناً، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً. كما يقرر سبحانه أن الله قد خلق هذا الكون، وجعل له سنناً لا تتبدل، وأنه علّم الإنسان أن يبحث عن هذه السنن ويدرك بعضها، ويتعامل معها في حدود طاقته وحاجته وأنه سيكشف له من هذه السنن في الأنفس والآفاق ما يزيده يقيناً وتأكداً أن الذي جاءه من عند ربّه هو الحق، دون أن يخلّ هذا بسنن الله التي لا تبديل لها، بحقيقة (الغيب) المجهول للإنسان، والذي سيظل كذلك مجهولاً..."[١٣]

شهادات كبار العلماء:

لن يتسع البحث لإيراد الشواهد الكثيرة على تداخل ظاهرتي الغيب والشهود في البنية الكونية، وعلى المساحة الواسعة التي يحتلها (الغيب) في نسيج هذه البنية، لذا سيتم الاكتفاء بثلاثة منها قد تغني عن المزيد:

(سوليفان): "لقد أصبح العلم شديد الحساسية ومتواضعاً نسبياً، ولم نعد نلقّن الآن أن الأسلوب العلمي هو الأسلوب الوحيد

الناجح لاكتساب المعرفة عن الحقيقة. إن عدداً من رجال العلم البارزين يصرّون بمنتهى الحماس على حقيقة مؤداها أن العلم لا يقدم لنا سوى معرفة جزئية عن الحقيقة، وأن علينا لذلك، أن لا نعتبر أو يطلب إلينا أن نعتبر كل شيء يستطيع العلم تجاهله مجرد وهم من الأوهام"[١٤]

(اينشتين): "إني أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التي تكشف عن نفسها في أضأل جزيء من جزيئات الكون"[١٥]

(الفرد كاستلر): "إننا كلما أوغلنا في دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً... فسوف يظل دائماً شيء مخفياً عنا"، فلما سألوه: "مخفي بمن؟ "أجاب: "بالله!"، ثم وصف متابعه في استمرار البحث بالقوانين المعروفة، إذ اكتشف أنه بعد التوغل إلى أمد بعيد، توقفت القوانين عن العمل، وأنه دخل مرحلة لم تعد تسري فيها هذه القوانين الطبيعية المعروفة في الأرض، مما جعله يسأل نفسه: "أترى علم الفيزياء الذي نمارسه في الحقيقة ليس علماً واحداً؟ أي أنه يوجد علمان كل منهما يعمل مستقلاً عن الآخر: علم للمرئيات وعلم للمخفيات... أو بعبارة أخرى: علم للمحسوسات أو لهذه الدنيا، وعلم فيزياء آخر لغير المحسوسات، أي لغير دنيا البشر، أي للآخرة... وكل منهما له قوانينه الخاصة التي لا تسري الاّ على عالمه؟!"[١٦]

هذه الحقائق تقودنا مرة أخرى إلى ضرورة التكامل المعرفي في أكثر صيغه انفساحاً، والذي يتساند فيه عالم الغيب وعالم الشهادة، أو الوحي والوجود، أو بعبارة أدق: المعرفة المنبثقة عن عالم الغيب وتلك التي نتعامل مع عالم الشهادة.

فنحن – إذن – أمام ضرورات التكامل عبر حلقات تنداح فيعقب بعضها بعضاً، وهي في انديا حها تزداد اتساعاً، بدءً من الحلقة التربوية في المدرسة، مروراً بالحلقة الأكاديمية في الجامعة، وبالحلقة المعرفية في دائرتها الأشمل، وانتهاء بحلقة الكشوف الفيزيائية والكوزمولوجية.

فلا يخطرن على البال أن الدعوة إلى التكامل المعرفي، عبر هذا المؤتمر أو ذاك، تنصب فقط على علاج مشكلة تربوية، أو أكاديمية، أو حتى معرفية صرفة، وانما تمضي لعلاج أزمة الإنسان في كون يتطلب منه البحث عن إضاءة فوقية تعينه على بناء معرفة أكثر قدرة على مقاربة الحقائق، واستجابة لمطالب الإنسان.

عزلة المائتي عام بين المعرفتين الإنسانية والإسلامية

سواء كان هناك قصدية مسبقة، أم هو الجهل بالمطالب والضرورات التعليمية والتربوية، فإننا منذ ما يقرب من القرنين من الزمن، أنشأنا نمطين من المؤسسات التعليمية، وأقمنا بينهما جداراً كونكريتياً صلباً يصعب تخطّيه.

المؤسسات المعنية بالعلوم أو المعارف الإنسانية، وتلك المعنية بالعلوم أو المعارف الإسلامية، حيث لم يتح لخرّيجي الأولى أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإسلامية التي تمكنهم من التأصيل الضروري لما يتلقونه من علوم إنسانية، قدمت إليهم جاهزة من الغرب، بكل ما تنطوي عليه من تضادّ – في بعض حلقاتها – مع أسس التصوّر الإسلامي ومقوّماته. كما أنه لم يتح لخرّيجي الثانية أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإنسانية التي تمكنهم من أن يكونوا في قلب العصر، ملمّين بالحدّ الضروري من معارفه، قديرين على المشاركة في إعادة صياغته برؤية معاصرة، تملك في الوقت نفسه معاييرها التصوّرية التي تحفظ لها شخصيتها وتحمي خصوصياتها.

على مدى أربعين عاماً وأنا أمارس تدريس عدد من العلوم الإنسانية في العديد من الجامعات: التاريخ وفلسفته، الحضارة، مناهج البحث، التربية، الاجتماع، الأدب، الاقتصاد... إلى آخره... فكنت ألحظ هذا الفراغ المخزن في عقل الطالب الجامعي إزاء العلوم الإسلامية. إنهم وهم يدلفون إلى مرحلة الدكتوراه لا يحسنون حتى قراءة الآيات القرآنية، ولا يعرفون شيئاً عن مصطلح الحديث، أو العقيدة، أو أصول الفقه، ناهيك عن علوم القرآن الكريم.

رؤية العالم بعين عوراء، بل بعيون الآخرين، دون أن تضبط الرؤية، ولو بالحدود الدنيا من المعرفة الإسلامية. ولنا أن نتصوّر كيف سيكون هؤلاء الخرّيجون أرقاماً هجينة مضافة إلى الساحة الثقافية التي تعجّ بأنصاف المتعلمين... وكيف أن تعاملهم مع مطالب مجتمعاتهم وتحدياتها، سيزيدها فوضى واضطراباً. وهم في نهاية الأمر سيكونون ممن ينطبق عليهم مضمون الحديث الشريف عن ذلك المسافر المنبتّ الجذور، الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى!

فماذا عن خريجي علوم الشريعة، أو العلوم الإسلامية؟ إنهم – بالتأكيد – ليسوا بأفضل حالاً من زملائهم (الإنسانيين)! لأنهم غادروا معاهدهم دون أن يملكوا مقومات التعامل الفاعل مع الحياة، أو القدرة على إعادة صياغتها، بل وقيادتها كذلك! وأنى لهم ذلك وهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن معارفها الإنسانية التي بدونها لن يكونوا قادرين على الإلمام بمطالبها، والاستجابة لتحدياتها، لأنهم لم يسبروا غورها العميق، بل لم يبلغوا – حتى – شواطئها.

لم يعقد جسر بين المعرفتين يعين كلاً منهما على التفاعل والأخذ والعطاء وتبادل الخبرات. وزاد الأمر سوءً أن معاهدنا وجامعاتنا قبلت المعرفة الإنسانية على عواهنها، وكما تشكلت في ديار الغرب، بمنطلقاتها، وفلسفتها، وأهدافها، ومعطياتها وتأسيساتها ونتائجها... تقبّل كامل لعلم الاجتماع الغربي، ولعلم النفس الغربي، ولعلوم الإدارة والاقتصاد الغربية، وللقانون والسياسة الغربيين، وللآداب والفنون الغربية، وللتاريخ وفلسفته، والدراسات الحضارية، وفق نموذجها الغربي.

عملية تنزيل للقوالب المعرفية الجاهزة، وباستسلام تام لمعطياتها، ليس فقط في معاهدنا وجامعاتنا، بل وحتى في مدارسنا الابتدائية ومتوسطاتنا واعدادياتنا. وبما أن تلك المعرفة كانت تنبثق – في الأعم الأغلب – عن رؤية علمانية، وأحياناً، بل وفي كثير من الأحيان، مادية ذرائعية، ترفض الإيمان بالغيب، وتتنكر لله واليوم الآخر، وتلتصق بالمنفعي والمنظور، فيما يتناقض – ابتداء – مع تأسيسات المعرفة الإسلامية المبنية على الإيمان بالغيب، وعلى منظومة القيم الأخلاقية، فلنا أن نتصوّر، وقد عزلت هذه المعرفة عن معادلها الإسلامي، كيف سيكون الحصاد مريراً، وكيف ستخرج أجيال الطلبة وقد فكت ارتباطها بكل ما هو إسلامي أصيل.

والحق أنه "لا يوجد عربي مسلم مخلص يقف ضد تعلّم الجوهر الحقيقي في الحضارة الحديثة واستيعابه، من اكتشافات ومخترعات وعلوم نافعة وكل جديد مفيد يتفق مع جوهر عقيدتنا السمحاء. ولكن الذي حدث بالنسبة لحملة (التعليم العصري) في العالم الإسلامي أنها لم تبدأ البداية الصحيحة، ولم تتخذ شكل القرار الذاتي الحضاري المستقل والنابع من إرادة عربية مسلمة حرة، ومن تخطيط يمتلك الرؤية والوعي ويعرف مواقع أقدامه. لقد بدأ ما سمي بالتعليم العصري على أنقاض نظام التعليم الأهلي الذي كان سائداً في العالم الإسلامي، ولم يأت انبثاقاً منه وتطويراً له، كما كان يجب أن يبدأ ويكون، وكما حدث في الغرب ذاته في مطلع نهضته"[١٧]

وزاد الأمر سوءً أن هذه المعرفة المستوردة، التي فعلت فعل السمّ في التكوين الثقافي للأمة (كما يقول محمد أسد: ليوبولد فايس)[١٨]، لم تتقبل في مناهجها التربوية والتعليمية، أي شيء عن المعرفة الإسلامية، لكي تكون بمثابة الضابط والمرشّد، ولو في حدوده الدنيا، لمأساة الابحار في خضم المعارف الأجنبية، اللهم إلاّ فيما يسمى دروس الدين، وأحياناً الثقافة الإسلامية، والتي تعمد –

لسبب أو آخر – في أن تنطوي على قدر كبير من الهزال، والتهميش، بل والتنفير، فيما يزيد من حالة التقبل النفسي للمعطى الغربي، والجهل المطبق بالمعطى المعرفي الإسلامي.

صحيح أن محاولات عديدة سعت عبر العقود الأخيرة، لتجاوز الأزمة وتحقيق اللقاء المنشود بين المعرفتين، لكنها في نهاية الأمر لم تشكل سوى بقع محدودة ومبعثرة على مساحة واسعة، تعاني فيها المعرفتان من قطيعة غير مبرّرة على الإطلاق.

شيء عن الحصاد المرير:

لنقف لحظات عند جانب من الحصاد المرير لعزلة المائتي عام مع هؤلاء الخرّيجين: الحالة النفسية والاجتماعية والوظيفية التي عانوا منها ولا يزالون، مقارنة بالحالة نفسها في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، يوم أن كان المعني بالعلوم الشرعية، أو الفقيه، يقود الحياة، ثم ما لبث أن انسحب إلى هامش الحياة، فأصبحت تقوده بضغط الضرورات النفسية والاجتماعية والوظيفية. وكان يملك عقلاً ابتكارياً متوقداً، يقدر في لحظة على تكييف هذه المفردة أو تلك وفق مقاصد الشريعة، فيعين على تمكين الخبرة الإسلامية من التواصل والاستمرار بالالتحام بالحياة، ثم ما لبث أن فقد هذا التألق، أو تعمد أن يطفئه استجابة لحالة اجتماعية يحكمها تقليد السابقين، واتباع خطى الآباء والأجداد، وتعين على نسج خيوطها الكالحة ضغوط السلطة الاستعمارية (الخارجية) تارة، والمحلية (الداخلية) تارة أخرى، وهي الضغوط التي استهدفت عزل الشريعة عن الحياة، ونسف الجسور المقامة بين الطرفين، بما فيها "الفقيه" الذي أريد له ألاّ يشارك في عملية التغيير، أو الصياغة، أو إعادة تعديل الوقفة، وأن يتحول إلى واعظ، أو خطيب جمعة تقليدي، أو مدرّس دين أو لغة عربية، يتلقى في معظم الأحوال أجره الشهري من الحكومات. وإذ تعمّد أن يكون الأجر زهيداً لا يكاد يسدّ الرمق، وكان العالم أو الفقيه غير قادر على أية حرفة إضافية تعينه على الارتقاء بمستواه المعيشي صوب الحدّ الأدنى من سويته المعقولة، انعكس ذلك كله عليه: فأصبح مسحوقاً، ممتهناً، ضعيفاً، لا يملك في معظم الأحيان "الشخصية" الآسرة القوية المؤثرة التي تمكنه من أداء دوره المطلوب.

لقد رأينا جميعاً هذا بأم أعيننا... ثمة حالات إستثنائية بكل تأكيد، ولكنه الاستثناء الذي يعزز القاعدة ولا ينفيها.

في محاضرة عن "قيمة التاريخ" ألقيتها على طلبة كلية آداب جامعة الموصل، أشرت إلى ما يمكن اعتباره إحساساً بالنقص "مركب نقص" يعاني منه طلبة أقسام التاريخ تجاه الفروع المعرفية الأخرى: إنسانية وصرفة

وتطبيقية، بينما نجد هؤلاء الطلبة في جامعات العالم المتقدم يتمتعون بأعلى وتائر الثقة والطموح، والاعتقاد بأنهم يمضون للتخصّص في واحد من أكثر فروع المعرفة الإنسانية أهمية وفاعلية، ونحن نعرف جيداً كيف أن العديد من قادة الغرب وساسته ومفكريه، والمهيمنين على مفاصل الحياة الحسّاسة فيه هم من خريجي أقسام التاريخ.

الحالة نفسها تنطبق – بدرجة أو أخرى – على طلبة العلوم الإسلامية، بل إننا قد نجد بعضهم ينحدر باتجاه وضعية من الإحساس بالامتهان النفسي والاجتماعي لم يأذن بهما الله ورسوله لعلماء هذه الأمة ودارسي علومها الشرعية.

نحن – إذن – قبالة حالة نفسية – اجتماعية – وظيفية تتطلب العلاج والتجاوز، وإيجاد البدائل المناسبة لعالم متغيّر يدخل قرنه الحادي والعشرين... عالم تشاء إرادة الله سبحانه أن تشتعل فيه على مدى البصر، في مشارق الأرض ومغاربها، صحوة إسلامية تتطلب ترشيداً، من أجل الاّ تنعطف بها السبل وتضل الطريق بين الإفراط والتفريط... بين تشدّد لا يشكمه ويعيده إلى الجادة الاّ العلم الشرعي المنضبط الصحيح، وتسيّب لا يكفّه عن الترهل والارتجال الكيفي الاّ العلم الشرعي المنضبط الصحيح. وفي الحالتين لا بّد من عودة الفقيه، أو العالم، إلى قلب الحياة، وتسلّمه كرة أخرى مواقع الريادة والقيادة... لا بّد من التحقّق بأقصى وتائر الفاعلية والتألقّ من أجل تحقيق الهدف الملّح، قبل أن يفلت الزمام، وتتشرذم الصحوة، ونفقد جميعاً القدرة على توظيفها تاريخياً من أجل الإعانة على البدء بنسج خيوط المشروع الحضاري الإسلامي الذي آن له أن ينزل إلى الحياة لكي يجيب – كما يقول كارودي – على كل الأسئلة الكبيرة التي تؤرق الإنسان في العصر الراهن، ويقدم البديل المناسب بعد انهيار جلّ النظم والايديولوجيات الشمولية والوضعية التي لم تعرف الله.

وإذا كان الاستعمار يوماً، قد مارس دوره الماكر في لعبة تجهيل العالم وإفقاره وتعجيزه وتغريبه، ومضى أكثر لكي يعزله تماماً عن الحياة، و(يفصّله) على الصورة التي يريد، فما يلبث أن يصير "حالة" يتندّر بها المتندّرون، فان هذا "المؤثر" السّيء قد غادر بلادنا في نهاية الأمر، فلسنا ملزمين بالاستمرار على تقاليده، ولا بّد من التداعي لتعديل الوقفة الجانحة التي صنعناها بأيدينا – أولاً – ما في هذا شك، ثم جاء الاستعمار لكي يزيدها انحرافاً وجنوحاً.

مقترحات تطبيقية لتجاوز الازدواجية :

ابتداءً لا بد من إعادة النظر في مسألة وجود كليات أو معاهد للعلوم الإسلامية

منعزلة عن تلك المعنية بالعلوم الإنسانية. ألا يمكن – مثلاً – أن تخترق "موضوعات" أو "مفردات" العلوم الإسلامية سائر الكليات والمعاهد المعنية بالعلوم الإنسانية أو أن تؤسس أقساماً أو فروعاً لها في تلك الكليات والمعاهد لكسر العزلة وتحقيق التحام أكثر بين مقاصد الشريعة وبين سائر المعارف الإنسانية، كالإدارة والاقتصاد، والقانون والسياسة، والنفس والاجتماع، والجغرافيا والتاريخ، واللغة والآداب والفنون، فيكون هذا فرصة مناسبة للتحقق أكثر فأكثر بالتأصيل الإسلامي للمعرفة، أو على الأقل، تنفيذ بداية صحيحة قد تؤول، مهما طال الوقت، إلى نتائجها المنطقية المتوخاة في التعامل مع سائر المفردات المعرفية في شتى التخصّصات من خلال الثوابت الإسلامية نفسها؟

قد يعترض على هذا بضرورة أن يكون هناك – في نسيج الأنشطة الجامعية – مؤسسات أكاديمية مستقلة لعلوم الشريعة، من أجل تخريج المتخصصين في هذا الفرع المعرفي بالذات، الذي قد تلحق به، قدر ما يسمح به المجال، موضوعات معرفية أخرى، في هذا الحقل أو ذاك، ولكن تبقى مهمة هذه المؤسسات منح الشهادة في علوم الشريعة وليس في أية علوم أخرى.

وهذا حق، وهو ضرورة من ضرورات التخصّص العلمي، ولكن هل يمنع هذا من تنفيذ صيغة مضافة تتمثل في مغادرة العلوم الشرعية لمؤسساتها التخصصية، والتحامها مع الفروع والأقسام والمعاهد والكليات الإنسانية، بل وحتى العلمية الصرفة والتطبيقية، لتحقيق هدفين ملحّين: أوّلهما ذلك الذي سبق وأن أشرنا إليه بخصوص محاولة وضع التأسيسات الأولى لإسلامية المعرفة التي لن تتحقق ما لم يتم اللقاء بين النمطين المعرفيين، فيصير الوحي والوجود معاً، أو الدين والعلم، مصدرين لصياغة المفردات؟

وثانيهما كسر جدار العزلة بين علوم الشريعة والحياة، وإعادة الدم إلى شرايينها المتصلبة، ومنحها الحيوية والمرونة التي تمكنها من التموضع في قلب العصر لا بعيداً عنه.

قد يعترض – أيضاً – بالقول في أن ساعات الفروع والأقسام الإنسانية لا تسمح باستضافة العلوم الشرعية، أو بأن مادة (الثقافة الإسلامية) أصبحت البديل المناسب للّقاء بين الطرفين.

وهذا حق كذلك، لكن تبقى هنالك تساؤلات في هذا السياق قد تخطيء وقد تصيب: إن "ساعات" الفروع والأقسام الإنسانية ليست قدراً نهائياً لا فكاك منه، ولطالما جرى تكييفها واستبدالها وإعادة جدولتها في العديد من الكليات لتحقيق غرض أشد إلحاحاً. ومن ثم فإنه ليس

مستحيلاً إذا كنا حادين في إيجاد مواقع مناسبة لعلوم الشريعة في الكليات الإنسانية أن نعيد الترتيب فيما يعطي لهذه العلوم الفرصة المناسبة في خارطة الموضوعات المقررة على مدى سنوات الدراسة الجامعية.

وبالنسبة للثقافة الإسلامية، فانها حققت ولا ريب قدراً طيباً لدى استضافتها في المعاهد والكليات المختلفة، ولكنه – على أية حال – ليس القدر المطلوب لأنها لم تتجاوز – في معظم الأحيان – ساعة أو ساعتين أو ثلاثاً في الأسبوع، لا تكاد تغطي سوى جوانب محدودة من فكر الإسلام وثقافته، فضلاً عن معارفه الشرعية، ويتم فيها التعامل ركضاً على سطح الظواهر والمفردات، دونما أي قدر من التعّمق والايغال. ويتخرج طالب القانون أو السياسة أو الإدارة أو الاقتصاد أو الآداب... إلى آخره، وهو لا يملك عن الإسلام سوى شذرات وقطوف وخطوط عامة في أحسن الأحوال.

إن مادة "الثقافة الإسلامية" ضرورية لتكوين بعض الأطر الفكرية الأصيلة في عقل الطالب الجامعي، لكن هذا وحده لا يكفي إذا أردنا أن يكون القانوني والاقتصادي والإداري والمؤرخ والأديب، متوافقين في نبضهم ومعرفتهم وأنشطتهم التخصصية مع مطالب هذا الدين ومقاصد شريعته.

قد يكون هذا حلماً، أو هدفاً بعيد المنال، ولكن الأعمال الكبيرة تبدأ دائماً بالحلم، بالطموح للوصول إلى الأهداف البعيدة... ورحلة الألف ميل – كما يقول المثل – تبدأ بخطوة واحدة.

من ناحية أخرى، فإن على المعاهد والكليات المعنية بعلوم الشريعة، أن تتقبل بدورها استضافة أكبر قدر ممكن من موضوعات المعرفة الإنسانية المذكورة، من أجل تمكين طلبة هذه المعاهد والكليات من المعارف المعاصرة، في أحدث كشوفها ومعطياتها، ومنحهم الخلفيات الكافية عنها، الأمر الذي يتمخّض ولا ريب عن جملة نتائج منها – على سبيل المثال – الإعانة على إزالة حواجز العزلة والتغريب بين الشريعة والمعرفة الإنسانية، وبينها وبين الحياة.

ومنها جعل خريجي هذه المؤسسات أكثر حيوية وقدرة على الخطاب، ووضعهم، بتمكينهم من معارف العصر، في قلب العصر قديرين على النقد والمقارنة والتمحيص، قديرين – أيضاً – على ايصال مطالب المعرفة الشرعية، والتحقق بمقاصدها، في ضوء تناقضات واحباطات المعرفة الوضعية، وعلى إسهام أكثر فعالية في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي البديل.

إن هذا سيقدم – بدوره – ثمرة أخرى هي تجاوز الإحساس بالنقص الذي سبق وأن

أشرنا إليه، والذي هيمن على أجيال المعنيين بالعلوم الشرعية عبر القرنين الأخيرين، والتحقق بالثقة والاعتزاز بالذات، في وتائرها المعقولة التي تتجاوز بهؤلاء الخريجين حالات العقم والشلل، وعدم القدرة على الإبداع والإحسان والابتكار والإضافة والتجديد...

إن علينا أن نتجاوز الاستسلام لتقاليد منهجية قادمة من عصور عتيقة هي غير عصرنا، محملة بموضوعات ومفردات لم تعد تصلح للقرن الجديد، واستبدالها بمناهج أكثر مرونة، تملك القدرة على استضافة واستيعاب المعارف الحديثة، وتمكّن المتعاملين معها على تجاوز العزلة، والتغرّب والانقطاع، إلى تنفيذ حوار فعال مع تحديات العصر وهمومه المعرفية والثقافية، والإعانة – بالتالي – على بلورة وصياغة المشروع الحضاري المرتجى.

وفي السياق نفسه يستحسن أن نكون حذرين من الانسياق وراء التقسيمات التقليدية لأجدادنا أنفسهم وهم يتحدثون عن علوم "نقلية" وأخرى "عقلية"، وكأن هناك جداراً فاصلاً بين العلمين.

ويتساءل المرء: ألم يدخل الإسلام لكي يصوغ العلوم العقلية ويتوغل في جزئياتها ومسالكها، برؤيته المتميزة وتحليله الخاص؟ ويتساءل –كذلك – ألم تكن العلوم النقلية نفسها عقلية بمعنى من المعاني؟ أي بكونها استجابة ناجحة متفردة لمطالب العقل البشري في هذا الفرع المعرفي أو ذاك؟

إننا بحاجة إلى التريّث قليلاً، ونحن نتعامل مع التقسيمات والمصطلحات، وأن نتجاوز الكثير منها – إذا اقتضى الأمر – لكي ننحت ونصوغ مفرداتنا المنسجمة ورؤيتنا العقدية المتميزة.

إن الحلقات الإسلامية لا تزال تعاني – إلاّ في حالات استثنائية – من ثنائية يمكن لمؤسسات علوم الشريعة، أن تعين على تجاوزها: ففي أحد الطرفين يقف إسلاميون متمرسون بالمعرفة المعاصرة، ولا يكادون يعرفون شيئاً عن علوم الشريعة. وفي الطرف الآخر يقف إسلاميون متمرسون بعلوم الشريعة، ولكنهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن العلوم الإنسانية والمعارف الحديثة.

والخندق عميق، والهوّة محزنة ولا ريب، والنتائج السيّئة لهذا الانفصال، أو الثنائية، تنسحب على مساحات واسعة من الجهد الإسلامي المعاصر الذي يلتحم بالحياة الثقافية والمعرفية دونما عمق فقهي، أو يمضي بالايغال في هذا العمق حيناً آخر، بعيداً عن مجرى الصراع الفكري المحتدم قبالته صباح مساء.

ولقد أوقعت هذه الثنائية، الطرفين، في مشاكل عديدة، قد يقود تراكمها إلى تشكل إرث من الأخطاء التي يصعب تداركها ما لم نسارع بإيجاد الحلّ المناسب، بالتحقق بتقارب

بين الطرفين من خلال بذل جهود استثنائية، والاتفاق على منهج أكثر توازناً يضع في حساباته قطبي المسألة، حيث يصير التعامل الأكاديمي مع علوم الشريعة، فرصة طيبة لتحقيق الوفاق.

وما من ريب في أن فقه الحياة التي أراد لنا هذا الدين أن نعيد صياغتها وفق مقاصده، وأن نمسك بزمام قيادتها كي لا يعبث بمقدّراتها المضلّون عن سبيل الله، ويميل بها الذين يتبعون الشهوات والأهواء والظنون، الميل العظيم الذي حذّر منه كتاب الله ﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾ (سورة النساء: ٢٧)... إن فقه الحياة هذا ليس حالة بسيطة ذات وجه واحد، وانما هو حالة مركبة ذات وجوه شتى. فهناك الفقه الشرعي الذي يتعامل مع الجزئيات والكليات، أي مع مفردات الشريعة في هذا الجانب أو ذاك، ومع مقاصدها الكبرى التي تجعل المعطيات الفقهية تصبّ في هدفها الكبير ذي الفضاء الواسع سعة الحياة نفسها.

هناك الفقه الدعوي الذي يمنح الناس في كل زمن ومكان القناعة بأحقية هذه الشريعة في حكم الحياة وقيادتها.

وهناك، فضلاً عن هذا وذاك، الفقه الحضاري الذي يعيد تشكيل الحياة وفق مقاصد الشريعة في ضوء إدراكه لقوانين الحركة التاريخية، وسنن الله في الخلق والعالم والوجود، وعلى هدى رؤية مقارنة نافذة لخرائط العالم الحضارية ومن أجل صياغة المشروع الحضاري المتميز، والتحقق – في الوقت نفسه – بصيغ مناسبة في التعامل مع الحضارات الأخرى أخذاً وعطاءً...

إن الفقه الحضاري، كما أنه عمل في التاريخ للبحث عن أصول وقوانين التشكل الحضاري، فهو عمل في صميم العصر، وتطلع للمشاركة في المصير البشري من خلال صياغة المشروع الحضاري البديل الذي يستمد حيثياته ويتلقى توجيهاته من مقاصد الشريعة وآلياتها الفقهية، والذي يجاهد من أجل التجذّر في الأرض والانتشار فيها بقوة الفقه الدعوي وآلياته الفاعلة.

والآن، فان إحدى مشاكل المناهج الجامعية بصدد علوم الشريعة أنها تعطي طلابها الفقه الشرعي، وتمضي معهم في الفقه الدعوي إلى منتصف الطريق، ولكنها لا تكاد تعطيهم شيئاً عن الفقه الحضاري. فها هي ذي الحلقة الضعيفة في "عقل" خريجي المعاهد الشرعية، والتي تساعد بدورها على حفر الخنادق وتعميق الهوّة بين الشريعة والحياة، وتعين على تأكيد تلك الثنائية المقيتة التي عزلت ولا تزال حشود الخرّيجين عن الدخول في نسيج الحياة، وإعادة صياغتها، فضلاً عن تسنّم مراكز القيادة فيها، والشهادة عليها.

إن الفقه الحضاري يستدعي دراسة علمية منهجية لتاريخنا الحضاري، من أجل استمداد مؤشرات العمل في الحاضر والمستقبل، وهي -كما هو واضح - ليست مسألة ترفيه، ولا حتى أكاديمية صرفة، وانما هي مسألة حيوية ترتبط أشد الارتباط بالاشتغال التربوي، لأن حلقة كهذه معنية باستخلاص البدائل التي يمكن أن نتقدم بها إلى ذوات أنفسنا كأمة، وإلى العالم على امتداده، في سياق مشروع حضاري يشارك في صياغة المستقبل. فضلاً عن أن فقهاً كهذه يمنحنا صورة عن مصداقية تحوّل الشريعة بمقاصدها وتأسيساتها التصورية والاعتقادية، إلى واقع تاريخي متحقق في الزمن والمكان، أي في التاريخ، كما أنه سيعرّفنا على عوامل الانهيار الحضاري التي ساقتنا إلى المواقع المتخلقة في خرائط العالم.

هناك - بكل تأكيد - نقص في محاولة توظيف بعض الحلقات الجامعية للارتفاع بوتائر العمل إلى مستويات أعلى.

بعض هذه الحلقات قد وظف بالفعل ولكن في حدوده الدنيا، وبصيغ مترعة بالشروخ والأخطاء (وربما الكسل العقلي)، وحلقات أخرى لم تمسها يد في هذه الجامعة أو تلك. وفي كلتا الحالتين فإن المطلوب، هو الإفادة من كل الفرص المتاحة لتخريج عالم الشريعة الأقدر أكاديمياً والأكثر فاعلية وقدرة على الابتكار والعطاء.

هناك - على سبيل المثال - (البحث الخاص) أو (بحث التخرج) الذي يكلف به طلبة المرحلة الأخيرة من البكالوريوس (الليسانس) على مدى عام دراسي بأكمله، ويشرف عليه - في الغالب - أستاذ المادة الأقرب في تخصصه الدقيق، إلى الموضوع مجال البحث.

إن البحث الخاص هذا، فرصة جيدة، في حالة الاختيار المدروس لموضوعاته، لتحقيق تلاحم أكثر مع المعرفة المعاصرة والحياة، ولجعل علوم الشريعة تغادر رفوف المكتبات العتيقة وتنفض عنها التراب، تتحرك وتنبض وتتنفس في قلب العصر، مقدمة الشاهد (العلمي) على قدرتها التي لا يأسرها زمن أو مكان، على متابعة المتغيرات والشهادة عليها.

والمسألة قد لا تكلف كثيراً، فبمجرد أن يبذل الأستاذ جهداً مخلصاً لترتيب منظومة من موضوعات البحث الخاص، في بدء كل عام دراسي، وتوزيعها على طلبة المرحلة المنتهية وفق توجهاتهم ورغباتهم وقدراتهم المعرفية قدر الامكان، تم متابعة عملهم أوّلاً بأول، من أجل أن تأتي بحوثهم بشكل أكثر احكاماً وإبداعاً.

وبمجرد أن يتحقق هذا وذاك فإن حصيلة طيبة قد تتمخض عنه متمثلة بحشود

من البحوث التي تمرّن الطالب على البحث، وتمنحه الدربة المنهجية الكافية، والتي تقدم – في الوقت نفسه – نويّات أو مشاريع بحوث قد ترفد المكتبة الإسلامية أو تعدها بالمزيد من العطاء.

والذي يحدث – في كثير من الأحيان – اعتبار البحث الخاص، مفردة اعتيادية في مناهج المعاهد والكليات، كأية مفردة أخرى، قد لا تقتضي وقفة خاصة أو جهداً مضافاً أو اهتماماً كبيراً، وبالتالي فإن التعامل معها سيتحرك عند السفوح الدنيا، فلا يبدع ولا يعلّم ولا يبتكر ولا يضيف جديداً. بل قد تنعكس الحالة أحياناً لما هو أسوء من هذا، وهي تأكيد عقلية التقليد والاجترار، والتعلّق بتقاليد عصور تجاوزها التاريخ، بل – ربما – تعميق "النفرة" في نفسية الطالب ازاء كل ما يتعلق بعلوم الشريعة، واندفاعه – في المقابل – صوب ما يعتبره تحققاً أكثر مع الحياة التي يعيشها بعقله ووجدانه، بعيداً عن مطالب الشريعة ومقتضياتها.

وبموازاة هذا، وفي حلقة تالية، أكثر أهمية، لم يحسن التعامل مع مرحلة الدراسات العليا: (الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه) ولم توظف هذه الفرصة الفريدة للتعامل مع موضوعات غير تقليدية، تعين على تحقيق الهدف المنشود. وها هنا أيضاً، يتحتم "الإحسان" في اختيار الموضوعات المناسبة لهذه الرسائل والأطاريح وتوضيح مبرراتها، وترتيب خططها، بما يجعل الطالب أقدر على التعامل معها وفق منهج أكثر دقة وإحكاماً.

ويتذكر المرء في هذا السياق ما فعلته وتفعله مؤسسة (كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي) من وضع منظومة بحوث للدراسات العليا: بعناوينها، ومفرداتها، وخططها، ومسوّغاتها، ومستوياتها الأكاديمية، بين أيدي الباحثين، ليس هذا فحسب، بل الإعانة – أحياناً – على اختيارها وتنفيذها، ونشرها في نهاية الأمر، من أجل دعم أهداف المعهد وتوجهاته الأساسية في التأصيل الإسلامي للمعرفة.

فلا يكفي – في هذه المرحلة – أن نترك الطالب يختار موضوعه، فقد يكون هذا الموضوع تكراراً لما سبق وأن عولج أكثر من مرة، وقد يكون غير مناسب، كمشروع عمل لمرحلة الماجستير أو الدكتوراه، وقد يأتي – وهذا هو الأهم – بنتائج معاكسة قد تدفع الطالب، والقارئ معاً، إلى تأكيد العزلة والانفصام بين الشريعة والحياة.

ولا يتطلب الأمر أكثر من بذل اهتمام أكبر في مسألة الاختيار، وأن يدخل الأساتذة المشرفون، الذين يفترض فيهم الإخلاص والعلم والجدية، في مجال تخصصهم، بشكل أكثر فاعلية في إعانة الطالب على العثور على

الموضوع المناسب، والأخذ بيده قدر الإمكان، من أجل تنفيذ رسالة أو أطروحة ذات مستوى عالٍ منهجاً ومضموناً وتوثيقاً.

هناك ضرورة تنمية الخبرات التدريسية لطلبة الشريعة، قبيل تخرّجهم، وتعميق قدرتهم على الخطاب الإسلامي من خلال الدورات التدريبية، والاستفادة من علوم النفس والتربية وأصول التدريس، ومنحهم الفرصة "التطبيقية" المناسبة في التدريس في المتوسطات والاعداديات أسوة بما تفعله كليات التربية التي تبذل جهداً مضافاً على المطالب الأكاديمية، من خلال منح طلبتها المعرفة والخبرة والآليات التي تمكنهم من أن يكونوا "مدّرسين" أكفاء. وقد ينضاف إلى الخبرة التدريسية بالنسبة لطلبة العلوم الشرعية، الخبرة الخطابية التي يمكن أن تحفز وتمنح الدربة الكافية من خلال فرص التطبيق عبر سني الدراسة الجامعية.

هناك – أيضاً – ضرورة تحفيز كليات الشريعة ومعاهدها على صياغة وتنفيذ برامج عمل مؤسسية تضعها في قلب العصر، وتزيد من فاعليتها، وتدفعها، إدارة وأساتذة وخرّيجين، إلى المواقع القيادية المؤثرة في المجتمع.

لقد أخذ هذا التقليد، الذي يعمل تحت شعار "الجامعة والمجتمع" ينتشر أكثر فأكثر على مستوى العديد من الكليات والأقسام العلمية عبر العقود الأخيرة، فصرنا نجد مكاتب أو مؤسسات استشارية في هذا القسم أو ذاك من كليات الهندسة، أو العلوم، أو الطب، أو الزراعة، أو القانون، أو الإدارة، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو – حتى – التربية والآداب. وأصبحت هذه المكاتب تحقق – بمرور الوقت – أكثر من هدف، ففضلاً عن الالتحام أكثر بالمجتمع والحياة، وفضلاً عن منح الفرصة للكفاءات الميدانية للتنفيذ، والإضافة، والاكتشاف والإبداع، فإن هذه المؤسسات تجيء بمثابة فرصة مضافة لتعميق القدرات التخصصية والمعرفية للتدريسيين، وربما لطلبتهم كذلك. هذا إلى أن ممارسات كهذه تدرّ دخلاً موفوراً يعين الأقسام والكليات، والإدارة الجامعية في نهاية الأمر، على توظيف هذا المردود لمزيد من العطاء والإبداع.

لماذا تظل معاهد الشريعة وكلياتها – في معظم الأحيان – بمعزل عن هذا كله؟ في الوقت الذي يتحتم أن تكون أكثر إفادة من هذه التجربة بسبب من كثرة القنوات التي تصل بينها وبين المجتمع الذي طالما انتظر الإشارة من علمائه وفقهائه لكي يعدلوا وقفته هنا، ويعينوه على المضي هناك وفق أكثر الصيغ التزاماً بمطالب هذا الدين؟

لا يسمح المجال في الاستفاضة، فلابّد – إذن – من الاكتفاء بالتأشير على بعض

الحلقات الممكنة في ممارسة كهذه من مثل: النشر، مشاريع التأليف المشترك، التحقيق والفهرسة، الأعمال الموسوعية، الحلقات الدراسية، الندوات والمؤتمرات، الإنتاج الفني والإعلامي، إقامة الجسور وتوسيع التعامل مع المؤسسات المعنية بالمعرفة الإسلامية، المشاركة الفعالة في أنشطة التأصيل الإسلامي للمعرفة وصياغة حيثيات المشروع الحضاري، البحوث والدراسات والمقترحات الاستشارية.

سأقف لحظات عند إحدى هذه الحلقات كمقترح للعمل يمنح كليات الشريعة فرصة ميدانية أخرى للتحقق، ويدفعها باتجاه مزيد من الالتحام بالحياة الاجتماعية، وبالواقع اليومي لجماهير المسلمين.

يتضمن المقترح إصدار دورية، أو سلسلة كتب ميّسرة في الفقه، تعالج المسائل المعاصرة والمستجدة، فضلاً عن القضايا الثابتة، وتعتمد أسلوباً حديثاً في اللغة، ومنهجاً يسعى لتوحيد المواقف في الحالات الخلافية الحادة التي تحيّر المسلم وتربكه.

يمكن تسمية المحاولة المقترحة بالمورد، أو الدليل الفقهي للمسلم المعاصر، أو المنهاج الفقهي، أو كتاب الجيب الفقهي لمفردات المسلم اليومية... أو غيرها من التسميات... والمهم أن يبذل المشروع جهداً حيوياً في تقديم البدائل الفقهية الواضحة المحددة لعدد من مفردات الحياة والسلوك، وبخاصة تلك القضايا الملحة من مثل (شروط الزكاة في زمن تحوّل النشاط المالي والاقتصادي، إلى شبكة معقدة من المعطيات التي تنطوي على عشرات الحالات وهي جميعاً تنتظر الجواب الفقهي... ومن مثل قضايا الزواج والأحوال الشخصية، والتعليم والعمل الوظيفي، وعمل المرأة والمساحة المتاحة لها للتحرك في الحياة العامة، وشروط الحجاب، ومعضلات الجاليات الإسلامية في الديار غير الإسلامية، ووسائل الترفيه... إلى آخره).

إن المحاولة ترتبط ولا شك بمسألة فتح باب الاجتهاد أو توسيع قنواته، فلابدّ – أولاً – من تنفيذ جهد عملي وآخر دراسي لإضاءة هذه المسألة، وقد يجيء الدليل المقترح محاولة عملية لاختبار إمكان تحقيق تغطية فقهية لأهم المستجدات.

ويستحسن من أجل نجاح المحاولة، أن يقتصر الدليل، أول الأمر، على مسائل محددة وربما مسألة واحدة، كالزكاة، لكي تكون أشبه بجهد تجريبي لغرض اختبار مدى نجاحه وانتشاره، وبعدها يمكن التحول لإصدار جزء آخر يعالج مسألة أخرى كقضية الزواج، أو العمل الوظيفي، أو دور المرأة، أو التوظيف الإعلامي... الخ.

على المستوى الفني يمكن أن ينفذ المشروع بصيغة دورية أو مجلة فصلية تمضي

أعدادها لتغطية المفردات الملحة واحدة إثر أخرى، أو بصيغة كتاب ذي أجزاء متتالية يختص كل جزء بموضوعة ما، ويتم توزيع المفردات على عدد من خيرة الفقهاء الذين يجمعون بين الإلمام بالعلوم الشرعية وبين الانفتاح على الثقافة المعاصرة وتحدياتها.

ويمكن – كذلك – من أجل كسب الوقت ولأغراض إعلامية، فتح ملف في واحدة أو أكثر من المجلات الإسلامية المعنية بالموضوع، تطرح فيه المسائل المنهجية والفكرية والفنية التي يتطلبها المشروع، وقد تمضي المجلة للبدء في معالجة إحدى المفردات ووضع الحلول الفقهية لجوانبها كافة ثم التحول إلى مفردة أخرى، لكي تتشكل في نهاية الأمر بدايات جادة للدليل المقترح.

وقد يكون في سياق جهد كهذا القيام بمحاولة ببليوغرافية لحصر وفهرسة جل الجهود الدراسية التي عالجت المسائل الفقهية من خلال رسائل وأطاريح الدراسات العليا، أو في المؤلفات المستقلة، أو على صفحات الدوريات المتخصصة، أو في إصدارات المؤسسات الشرعية والفقهية والقضائية والتشريعية.

وقد يكون مهماً – كذلك – وضع منظومة من الموضوعات الملحة، مع المسوّغات والخطط البحثية التفصيلية المرسومة بعناية، لكي تكون بمثابة حقل للاختبارات بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، ويستحسن توزيع كراريس مستقلة بهذه الموضوعات ومسوّغاتها وخططها على المعاهد والجامعات والمؤسسات المعنية بالدراسات العليا في مجال الفقه والعلوم الشرعية.

إن معضلات العصر الحديث ومستجداته تمثل تحدياً ملحاً للعقل المسلم، وهي بمثابة اختبار لقدرته على الفاعلية في صميم العصر من خلال اعتماد وتحكيم الأصول الإسلامية: القرآن والسنة والسوابق الفقهية، وان الاستجابة لهذا التحدي لا تحقق فقط إجابة على العديد من الأسئلة الملحة في معترك الحياة، وانما تؤكد – على المستويين العقدي والحضاري – قدرة هذا الدين على إعادة صياغة الحياة في كل زمن ومكان وفق تصوراته المتميزة، وهي مسألة ترتبط – مرة أخرى – أشد الارتباط بالمشروع الحضاري الذي يتوخاه المسلم الجاد بمواجهة، أو كبديل، عن كل الإخفاقات التي شهدتها القرون الأخيرة بسبب الممارسات الإسلامية الخاطئة نفسها، أو بتأثير من ضغوط الآخر، وغزوه الفكري، والحضاري بوجه عام.

ثمة – فضلاً عن هذا وذاك – ضرورة إغناء الخبرات المعرفية والتخصصية لأساتذة علوم الشريعة وطلبتها من خلال التوسع في تنفيذ نظام الأساتذة الزائرين ذهاباً وإياباً (أي استدعاء أساتذة من أقسام وكليات

وتخصصات أخرى لإلقاء محاضرات في أروقة الشريعة، وإرسال أساتذة الشريعة إلى الأقسام والكليات الإنسانية للاحتكاك ببيئات تدريسية ومعرفية متنوعة). وهذا سيمنح التدريسيين والطلبة معاً خبرات أكثر تنوعاً وخصباً على مستوى الأداء التدريسي من جهة، وإغناء التخصص وتعميقه من جهة أخرى، ويحقق حواراً فعالاً بين علوم الشريعة والعلوم الإنسانية لتحقيق التحام أكثر بمطالب العصر ومقتضياته، واستجابة أشد فاعلية وتنوعاً وخصباً لمشاكله وتحدياته.

ولا بد – أخيراً – من الإشارة إلى تجربة عدد من المعاهد والجامعات الإسلامية التي بدأت منذ عدة عقود، في هذا البلد أو ذاك، في تنفيذ مناهج أكثر حداثة في التعامل مع علوم الشريعة وتدريسها، فكسرت طوق العزلة، والتحمت أكثر بمطالب العصر، وقدرت على توظيف معارفه وتقنياته لتقريب أهدافها، وحققت الوفاق الضائع بين المعرفتين الإسلامية والإنسانية، وسعت – ولا تزال – لإقامة الجسور المقطوعة بين الفقيه والمفكر، من أجل أن تضع الفقيه في قلب الحياة، وتمنح المفكر خبرة بالمعرفة الإسلامية، تعينه على التأصيل، وتحميه من غوائل الارتجال والجنوح.

لا يستطيع المرء أن يكون مبالغاً في التفاؤل، ولكن رحلة الألف ميل تبدأ – كما يقول المثل – بخطوة واحدة، ويكفي هذه المعاهد والجامعات أنها وضعت خطواتها الأولى على الطريق، ونفّذت شيئاً من المأمول، وهو كثير، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه.

ومهما يكن من أمر فإن معاهد وجامعات كهذه تمثل فرصة جيدة للاستفادة من خبرتها، وإقامة الجسور معها، والمضي لإغناء مطالب اللقاء والالتحام بين المعرفتين الإسلامية والإنسانية بالمزيد من المعطيات.

خاتمة:

ينطلق البحث من إضاءة جذور الاشكالية التي تتطلب – بالضرورة – تكاملاً معرفياً، والتي تقودنا إلى اهتمامات فلسفة المعرفة، حيث في التصوّر الإسلامي – تحديداً – لا يكفي أن يعمل العقل (والحواس بطبيعة الحال) الجهد للوصول إلى (الحقيقة)، إذ لا بّد من إعانة، أو إضاءة (فوقية) تأخذ بيد العقل وتمكنه من تحقيق المطلوب، وهكذا يصبح الوحي ضرورة ملازمة للعقل إذا أريد اكتناه أسرار الوجود، وإعادة صياغته بما ينسجم ومهمة الإنسان الاستخلافية والعمرانية في هذا العالم. وسيقودنا هذا إلى التحقق بمفاهيم "أسلمة المعرفة" أو "التأصيل الإسلامي للمعرفة"، بمعنى اعتماد ثوابت العلم الديني المتشكل بقوة الوحي معياراً لبناء

ما يتمخض عن الكشف العقلي الذي طالما انتهى –إذا عمل بمعزل عن ضوابط الوحي – إلى الوصول إلى نتائج احتمالية، ظنية، بعيدة – بدرجة أو أخرى – عن حافات اليقين، بشهادة كبار فلاسفة العلم وعلماء النفس والفيزياء والكوزمولوجي، وبمتابعة شواهد أخرى من كشوف العقل النسبية والقلقة في علمي النفس والاجتماع وفلسفة التاريخ.

أكد البحث – في موازاة هذا – على عمق الظاهرة الغيبية في البنية الكونية والإنسانية، وتغطيتها المساحات الأوسع بالمقارنة مع عالم الشهود، والاهتمام البالغ الذي أولاه التصوّر الإسلامي للغيب، فيما يجيء مطابقاً لاستنتاجات العديد من فلاسفة العلم، وعلماء الفيزياء والكوزمولوجي والنفس.

هذه الحقائق تقودنا – بالضرورة – إلى التحقق بمفاهيم التكامل المعرفي، ليس فقط لخدمة وتأكيد المطالب الدينية والإيمانية عموماً، وانما وبموازاتها تماماً: إعانة المطالب العلمية على الوصول إلى أهدافها بأكبر قدر ممكن من الانضباط المنهجي، إذا صحّ التعبير.

بالانتقال من العام إلى الخاص نجد كيف أن التكامل المعرفي يعد ضرورة أكاديمية، تحديداً، بسبب ما فعلته ظاهرة الاعتقال في زنزانات التخصّص الدقيق من تضحّل معرفي وتسطّح ثقافي، وغياب في القدرة على الإبداع والإضافة والاكتشاف، بل حتى في "اللغة" التي يفترض أن تمارس وظيفتها في الخطاب بأكثر صيغه فاعلية وقدرة على التوصيل.

الجامعات، بسبب من غياب التكامل المعرفي، تخرّج أجيالاً من أنصاف المتعلمين، وتعين الأمية المقنّعة على التزايد والانتشار، ولا بّد –إذن – من تدارك الموقف بكسر أقفال زنزانات التخصّص الضيّقة والانفتاح المعرفي في فضائه الواسع.

أكد البحث على مسألة أن التكامل المعرفي لا يأخذ مساراً نمطياً واحداً وانما يتحرك وفق اتجاهات ثلاثة: تكامل بين نمطين متغايرين من المعرفة، وتكامل بين علوم كل معرفة على حدة، وتكامل بين مفردات التخصّص الدقيق نفسه.

حتى إذا ما جئنا إلى ثنائية المعرفتين الإنسانية والإسلامية تحديداً، باعتبارهما الموضوع الأساس للبحث، وجدنا كيف كانتا ولا تزالان تعانيان من القطيعة – بدرجة أو أخرى – فرضت نفسها على معاهدنا وجامعاتنا منذ بدايات تشكلها الأولى قبل أكثر من قرن ونصف القرن.

المؤسسات المعنية بالعلوم والمعارف الإنسانية، وتلك المعنية بالعلوم والمعارف الإسلامية، حيث لم يتح لخرّيجي الأولى أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإسلامية التي

تمكنهم من التأصيل الضروري لما يتلقونه من علوم إنسانية، قدمت إليهم جاهزة من الغرب، بكل ما تنطوي عليه من تضاد – في بعض حلقاتها – مع أسس التصوّر الإسلامي ومقوّماته. كما أنه لم يتح لخرّيجي الثانية أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإنسانية التي تمكنهم من أن يكونوا في قلب العصر، ملمّين بالحدّ الضروري من معارفه، قديرين على المشاركة في إعادة صياغته برؤية معاصرة، تملك في الوقت نفسه معاييرها التصوّرية التي تحفظ لها شخصيتها وتحمي خصوصياتها.

صحيح أن محاولات عديدة سعت عبر العقود الأخيرة، لتجاوز الأزمة وتحقيق اللقاء المنشود بين المعرفتين، لكنها – في نهاية الأمر – لم تشكل سوى بقع محدودة ومبعثرة على مساحة واسعة تعاني فيها المعرفتان من قطيعة غير مبّررة على الإطلاق.

يعرض البحث لجملة من مخرجات الحصاد المرير لعزلة المائتي عام بين المعرفتين وللوضع السيئ الذي لا يحسد عليه خرّيجوها، ثم يخلص إلى جملة من المقترحات للخروج من الأزمة، وللتحقق بالتكامل المعرفي المنشود. وقد أريد لهذه المقترحات أن تكون (عملية) قابلة للتطبيق، من أجل الإعانة على تحقيق المطلوب، وتخريج النخب المتميزة، القديرة على الإبداع والعطاء، والإسهام الفاعل في إعادة صياغة الحياة الإسلامية في ضوء مطالب مشروعها الحضاري، وفي تسنّم المراكز القيادية التي تعينها على ذلك.

وهذه المقترحات ليست نهاية المطاف، بطبيعة الحال، إذ ترك الباب مفتوحاً لتقديم المزيد من أجل تحقيق هذا الهدف العزيز. ولعلّ هذه بالذات هي التوصية الأكثر أهمية والتي يخلص إليها هذا البحث❑

*بحث مقدّم لمؤتمر (التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي)، والذي نظمّه (المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، بالتعاون مع (جامعة أبو بكر بلقائد)، و(جمعية العلماء المسلمين) في (تلمسان: الجزائر)، ١٤-١٦ إبريل عام ٢٠١٠م.

الهوامش:

(١) ينظر بالتفصيل: خليل، عماد الدين، تهافت العلمانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م، هامش٥، ص ٥٤-٥٥.

(٢) الاقتصاد السياسي، ترجمة محمد سلمان الحسن، عن: محمد علي نصر الله. أضواء على نمط الإنتاج الآسيوي، مجلة آفاق عربية، بغداد، سنة٢ ، عدد٦.

(٣) حسين، طه، ألوان، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م، ص ١٥٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٤.

[٥] صديقي، عبد الحميد، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر، د.ت. ص ٧٨-٧٩.

[٦] كوستلر، آرثر ورفاقه، الصنم الذي هوى، ترجمة فؤاد حمودة، دمشق: د.ت: ١٩٦٠م ، ص ٥٧-٥٨.

[٧] الأنصاري، محمد جابر، المحاورة الأخيرة بين سارتر ودي بوفوار، مجلة الدوحة، عدد٧٧، مايو١٩٨٢م.

[٨] وللمزيد تنظر الآيات التالية: النازعات ٦-٩، الزلزلة ١-٥، القارعة ١-٥، الطور ٦-١٠، الرحمن ٣٧-٣٨، الواقعة ١-٦، الحاقة ١٣-١٦، المعارج ٨-١٠، القيامة ٧-١٠، المرسلات ٨-١٥.

[٩] قطب، سيد في ظلال القرآن، ط٣٧، دار الشروق، ٢٠٠٨م، ٣٨٣٩/٦.

[١٠] كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت: مكتبة المعارف، د.ت.، مقتطفات من الكتاب المذكور.

[١١] حدود العلم، د.م، بيروت: الدار العلمية، ص ٣٩-٤٠.

[١٢] تنظر الآيات التالية: البقرة ٣٣، آل عمران ١٧٩، الأنعام ٥٩، ٧٣، يونس ٢٠، هود ١٢٣، النحل ٦٥، فاطر ٣٨، الطور ٤١، الجن ٢٦، المائدة ١٠٩، النمل ٧٥.

[١٣] قطب، سيد، في ظلال القرآن، ١١١٤-١١١٣/٧.

[١٤] حدود العلم، ص ٣٢-٣٣.

[١٥] ينظر: الحكيم، توفيق. الأحاديث الأربعة، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٨٣م ، ص ٢٧.

[١٦] ينظر: المرجع السابق، ص ٢٨، نقلاً عن كتاب كاستلر: المادة هذا المجهول.

[١٧] الأنصاري، محمد جابر. تحديد النهضة، بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٩٢م ، ص ٤٩.

[١٨] الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، ط ٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥م ، ص ١٨.

الاتجاه النقلي في التفسير، وسؤال الغاية

ضياء الدين محمد - مصر
diaa.allithy @yahoo.com

قد يبدو للوهلة الأولى أن الغاية من وراء التفسير لا تحتاج إلى كثير شرح، فماذا ستكون الغاية من تفسير القرآن سوى فهم آياته؟ وهذا حقّ ولكنه غير كاف، خاصة إذا كنا بصدد دراسة تفسير له مكانة تأسيسية في العقل الإسلامي، وهو تفسير (جامع البيان عن تأويل القرآن)، المعروف بـ(تفسير الطبري)، وهو الكتاب الذي يعدّ المصنف الرائد فيما يعرف بالاتجاه النقلي في التفسير.

إن السعي لفهم معاني آيات القرآن الكريم ليس بالأمر الصعب" فالقرآن ليس كتاباً ملغّزاً، بل إنه يقوم أساساً على مبدأ البيان، وقد نزل بلسان عربي مبين. حتى وإن

استغلق على بعض السامعين فهمه، فلن يكون استغلاقاً كاملاً، خاصة في جانب اللغة. أما ما يُستفسر عنه من آيات القرآن" فعادة يكون رغبة من السامع في الاستزادة من التفاصيل، أو فهم أوضح لما ورد في آياته من أحكام، أو معرفة أبعاد أكثر عمقاً من المعاني التي يزخر بها القرآن. هناك، دون شك، غاية أبعد من فهم المعنى المباشر لآيات القرآن.

ومعرفة غاية التفسير عند الإمام (الطبري)، توجب الكشف عن مفهوم القرآن عنده، لما بين مفهوم القرآن وغاية التفسير من علاقة وثيقة، تتضح إذا تأملنا ما قاله الإمام (الطبري) في مقدمته النظرية المطولة، التي صدّر بها تفسيره، في محاولة لبناء نسق تفسيري نقلي، تمّ اعتباره والاعتماد عليه لقرون عديدة.

حيث يقول (الطبري) في مقدمة تفسيره عن القرآن: "... فإنّ من جسيم ما خصّ الله به أمة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) من الفضيلة، وشرَّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، حفظَه ما حفظ عليهم –جلّ ذكره وتقدست أسماؤه –من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم (صلى الله عليه وسلم) دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامةً واضحة، وحجةً بالغة"(١). ويمكن للدارس أن يستخرج من هذا النص فكرتين أساسيتين:

الأولى: أن القرآن كتاب يتميز عن سائر الكتب بأنه محفوظ. وذلك التميز ينتقل من القرآن إلى أصحاب القرآن، الذين يؤمنون به، ليكون حفظ الله ما حفظ عليهم من القرآن نعمة منه سبحانه عليهم، تميّزهم عن سائر الأمم، كما تميّز القرآن عن سائر الكتب.

الثانية: أن هذا القرآن هو الدليل على حقيقة نبوة النبي (صلى الله عليه وسلم). وهذه الفكرة تحدد، بوضوح، مكانة القرآن من الدين، لتجعله هو الدين نفسه. لأنه إذا كان القرآن هوالدليل على حقيقة النبوة، وليس هناك دين بغير نبوة" فبالتالي ليس هناك دين بغير قرآن. ويتلاقى المفهومان ليصبح: القرآن هو الدين، والقرآن محفوظ، إذن فالدين محفوظ.

وهنا نلاحظ كيف يتخذ القرآن مكانته في فهم المفسر، باعتباره هو الدين. وأهم ما في هذا الربط بين القرآن والدين، هو تحول القرآن من كونه يحوي مبادئ وشرائع الدين إلى (الدين) نفسه، بما يمثله الدين في أذهان أتباعه من أهمية قصوى في إصلاح الحال وسعادة وسلامة المآل، وهو ما يمنح القرآن نفس المكانة والتأثير الممنوحين للدين.

وهذا التحول في مفهوم القرآن يحدث، بالضرورة، تحولاً في طريقة التعامل معه. فالسعي إلى فهم القرآن يعني هنا السعي إلى فهم الدين، وكل ما سيسفر عنه هذا الفهم من أفكار تتعلق بالدنيا والآخرة، والحلال والحرام، والأمر والنهى، سيشكّل (الدين) في أذهان أولئك المؤمنين بالقرآن، المتلقين للتفسير (أو للدين في هذه الحالة) في الوقت نفسه.

وهذا الفهم هو ما جعل عملية التفسير (أو ربما غايته) تتخطى كونها فهماً أو شرحاً لمحتوى الآيات، إلى كونها إنشاء لمعالم الدين. ولكننا إذا نظرنا في نتاج هذه العملية، سنجده كمّاً هائلاً من العلوم والمبادئ والقضايا، التي شكلت عبر السنين وعي المسلمين بدينهم.

إن التفسير ليس شرحاً للآيات الواردة في القرآن، بل هو الدخول في حالة تفاعل جدلي منتج، بين ذات قارئة، وبين القرآن، الذي يُنظر إليه باعتباره هو الدين الذى تدين به تلك الذات، والذي يحدّد طريقة حياتها، وما يجب أن تفعل، وما يجب ألا تفعل، ويحّدد كذلك مصيرها، وما ستؤول إليه.

لم يعد التفسير إذن هو ذلك الفعل السهل القاصد فهم الآيات، بقدر ما صار فعلاً يسعى للتثبت من صحة ذلك الفهم" فصحة فهم النص تعني صحة فهم الدين، وهو ما يؤدي في النهاية إلى صحة الدين (المحفوظ) من الله. وكما أن الدين/ القرآن محفوظ" فوجب على عقل المفسر أن يكون على مستوى تلك "النعمة الإلهية الكبرى"، وأن يكون فهمه للدين/ القرآن أيضاً محفوظاً.

ومن هنا بدأ السعي نحو إنشاء نسق للفهم (أو للتفسير) يتسم – قدر الإمكان – بالسلامة المحققة لصحة الفهم. والتي تقل أو تنعدم فيها فرص الخطأ أو اللبس. وقد تحقق هذا النسق عبر مفهومين تفسيريين هما: (وحدة المصدر)، و(موثوقية المصدر).

وحدة المصدر:

كان حرص المفسر منذ اللحظة الأولى، وبفعل ما تم إيضاحه حول مكانة القرآن وغاية التفسير، على أن يتسم النص المفسَّر (التفسير) بأهم سمات النص المفسَّر (القرآن). ومَثّل ذلك الحرص الضمانة الأولى، والكبرى، لمجيء الفهم خالياً من الخطأ، أو مما يضر بنعمة (الحفظ الإلهي) للقرآن.

وإذا تساءلنا: ما هي السمة المميزة للنص المفسَّر، الواجب توافرها فى النص المفسِّر؟ سنجد أنها (قطعية الثبوت). فلا يشك مسلم، ناهيك بأن يكون مفسراً، في قطعية ثبوت القرآن، وأنه وحي من الله، نزل به الروح الأمين على قلب الرسول ليكون من المنذرين. فذلك من عقيدة الملة، ومنكرها

خارج منها. ومن هنا، توفر جهد المفسر، وعمله الدؤوب، لإكساب النص التفسيري تلك السمة. ولكن هل يمكن ذلك، وإذا كان ممكناً فكيف؟

إن قطعية الثبوت التي يتميز بها القرآن، تثير سؤالاً ضرورياً، وهو: من أين استمد القرآن قوة الثبوت، التي تجعله في أذهان المؤمنين به (لا سيما مفسروه) تصل إلى درجة القطعية، التي لا يرقى إليها شك أو ظن؟ والجواب هو: مصدر القرآن. فكونه كلام الله، أو نسبته إلى الله، تجعله في أرقى درجات اليقين" وذلك لتوفر يقين مماثل، وسابق على هذا اليقين، في وجود الله سبحانه (مصدر القرآن).

فالقرآن ثابت لا ريب في وجوده وثبوته" لأنه من الله، ولكن هناك عوامل أخرى ساعدت على إحداث قطعية ثبوت القرآن، إلى جانب مصدره، وهي طريقة تناقله. فالقرآن كان مكتوباً في (اللوح المحفوظ)(٢) (ونلاحظ دلالة وصف اللوح بأنه محفوظ)، نزل به ملك كريم، (جبريل عليه السلام): أمين الوحي، الروح الأمين (ونلاحظ كذلك دلالة الصفة التي اشتهر بها جبريل، والتصقت به في الوعي الإسلامي، وهي صفة (الأمانة)، مع ما تشترك فيه الأمانة من معانيها مع الحفظ) على قلب النبي الكريم (الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم). إنها سلسلة لا يرقى إليها شك.

فليس مصدر القرآن وحده هو ما يتصف بيقينية الوجود" بل إن الوسائط التي انتقل بها القرآن من الله إلى النبي (المستقبل الأول من البشر)، كلها تتسم بما يؤدي في النهاية إلى حدوث قطعية ويقينية الثبوت. كل ما سبق يشكل نسقاً تصورياً وذهنياً راسخاً لدى الجماعة المسلمة، لا سيما علماؤها ومفسروها.

ويظل السؤال قائما: هل من الممكن أن يتسم التفسير بما يتسم به القرآن من تلك السمة؟ وإذا كان ممكناً، فكيف؟

لم يكن أمام المفسر، وهو الحريص على تقوية تفسيره، بمشابهته بأهم سمة تميز القرآن، سوى صنع نسق نقلي مكمّل لنسق تناقل القرآن، يكون التفسير به امتداداً للقرآن، من حيث المصدر (الله)، وهو ما يخلق الظاهرة المفهومية، التي نسميها (وحدة المصدر). فإذا كان التفسير بالنقل يعرف بأنه: "التفسير الذي يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة، وما نقل عن التابعين، من كل ماهو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"(٣).

فإن كل طرف من أطراف هذا التعريف، يمثّل أداة يستخدمها المفسر في تفسير النص. وبالنظر في هذه الأدوات، نكتشف أنه بإمكاننا (ولعل هذا ما كان يقصد إليه المفسر، وقد نجح) أن نمد خطاً نازلاً من النسق النقلي السابق ذكره للقرآن، ونكمل به نسقاً آخر يبدو ناتجا عنه، ومكملاً له، محققاً تسلسلية تبدو منطقية ومقبولة على كافة المستويات، خاصة المستوى الزمني. ويكون هذا النسق المكمل للنسق النقلي، هو ذاته نسق التفسير الذي يبدأ من مصدر النص (الله)، وحتى (التابعين) نزولاً، كالتالي:

الله

اللوح المحفوظ

جبريل

الرسول

الصحابة

التابعون

ويبدو مما سبق حركة القرآن في تناقله، نزولاً من السماء إلى الأرض (من الله إلى الناس)، عبر عدة حلقات سماوية، تليها حلقتين أرضيتين، وفي الوسط رابط أرضي، لديه إمكانية التواصل مع السماء" وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

والأصل في هذا النسق هو تناقل (النص). غير أن المفسر قد استثمره بقوة ومنطقية ظاهرتين في تناقل (المعنى)، باعتبار المعنى هو ما يحويه النص، أو باعتبار أن النص ليس إلا معناه. والحقيقة أن الحركة النازلة للنص، عبر وسائط نقله، قد تحولت من النزول (في تناقل النص) إلى الصعود (في استمداد المعنى).

فالمفسر، وهو ابن القرن الثالث، وينتمي إلى عصر التابعين، كما في حالة الإمام (الطبري)، يذهب بالآية – حين يريد فهمها – إلى من هو أعلى منه في النسق (وأعلم منه بالطبع)" وهو (الصحابي)، والذي يذهب بدوره إلى المصدر الأعلى (والأعلم بالطبع)، وهو (النبي) المتصل بالسماء عبر الوحي "وأعلم الناس بمراد رب الناس"، والمتحمّل أمانة التبيين بجانب أمانة التبليغ. فالقرآن في هذا النسق ذو حركة نازلة، ولكن التفسير ذو حركة صاعدة.

ذلك الصعود هو ارتقاء بـ (النص) من مجال التداول (على الأرض)، إلى مجال الإنتاج (في السماء). فلقد تمّ إنتاج القرآن في السماء، ليتداوله الناس بالتلقي والفهم على الأرض. ولكن المفسر هنا، بما يفعله من (عملية إعلاء) يرقى بالنص (بغرض فهمه فهماً صحيحاً) من مجال التداول، إلى مجال الإنتاج، ملتمساً المعنى منه وفيه. وهو ما يؤدي إلى التوحيد بين مصدر إنتاج النص، وإنتاج المعنى، ليكتسب المعنى ما للنص من ميزة صدوره عن جهة (سماوية مقدسة) لا تقول إلا الحق. ويصبح (المعنى) مثل (النص)،

قدر الإمكان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولقد مثّل النجاح في توحيد مصدر كل من النص والمعنى (عبر عملية الإعلاء من التابعين إلى الصحابة إلى الرسول .. إلخ) نجاحاً في إنشاء مجال ذو ثقة لإنتاج المعنى، عبر طريق آمن للوصول، بناءً على فكرة مفادها: أن المعنى المراد إنتاجه من النص لن يكون صحيحاً، إلا إذا كان طريق الوصول إليه صحيح أيضاً(٤).

ومثّل النسق النقلي، المكمّل لنسق تناقل القرآن الأول، ذلك الطريق الآمن، والصحيح، للوصول إلى المعنى. وهذا المفهوم (وحدة مصدر إنتاج كل من النص والمعنى) هو ما جعل (المأثور) الأداة المهيمنة على التفسير عند الإمام (الطبري)" لما حققته هذه الأداة من غاية حفظ (الفهم) و(المعنى)، المؤدية إلى الإبقاء على (حفظ النص).

موثوقية المصدر:

لقد سعى العقل التفسيري إلى توحيد مصدر كل من القرآن والتفسير، ليُكسب التفسير ثبوتاً قطعياً أو شبه قطعي، كثبوت القرآن، بهدف الوصول بالتفسير إلى أعلى درجات الصحة، وأعلى درجات أمن اللبس والبعد عن الخطأ. ولا شك أن قداسة القرآن، وأهميته في حياة الجماعة المسلمة (التي يتوجه إليها كل من القرآن والتفسير) هي السبب وراء ذلك.

ولاحظنا كذلك أن عملية التوحيد هذه (بين مصدر إنتاج النص، ومصدر إنتاج المعنى) تمّت عبر عملية إعلاء للمعنى، عبر وسائط تناقل النص المختلفة، التي صارت في الوقت نفسه وسائط لتناقل المعنى.

وحدوث عملية التفسير وفق مفهوم (وحدة المصدر)، يعني أن يتم إنتاج المعنى في نفس مجال ونطاق إنتاج النص. وقد تم هذا بالفعل فيما عُرف من أدوات التفسير بـ (تفسير القرآن بالقرآن)(٥) – الذي يوصف بأنه أوثق طرق التفسير، وأشرفها، فيصبح النص في هذه الحالة هو ما يفسر نفسه. وليس أصدق، ولا أصح، من كلام الله، حين يفسّره كلام الله. فالمجال هنا واحد فعلاً، وكلا الطرفين (النص والمعنى) على نفس الدرجة من الثبوت(٦) .

غير أن مشكلة واجهت العقل التفسيري، وهي أن القرآن لم يحط بنفسه تفسيراً. وثمة آيات عديدة لا تفسير لها داخل القرآن، بالآليات المعروفة لتفسير القرآن بالقرآن (من حمل المجمل على المفصل، وحمل المطلق على المقيد، وحمل العام على الخاص.. إلخ)" فكان لابد من اللجوء إلى المصدر الثاني بعد القرآن، وهو أحاديث الرسول. واكتسب الرسول – بفضل مكانته الفريدة في نسق

التناقل- إمكانية الاستقبال والإرسال (الإبلاغ)، والتفسير أيضاً. والشواهد على ذلك من السنة كثيرة، وأحاديث الرسول في شرح وتفسير آيات القرآن مشهورة(٧).

وأهم ما في التفسير المأثور، والمنسوب إلى الرسول، أنه كان يُتعامل معه - من قِبل المفسرين- باعتباره وحياً. ففي عقيدة المفسر، السنة وحي، مثلها مثل القرآن. فلم تكن فكرة تفسير القرآن بالحديث بعيدة عن التفسير وفقاً للمصدر الواحد.

ولكن الأمر تغير حين ظهرت المشكلة من جديد، فالرسول لم يفسر القرآن الكريم كله، فظهرت الحاجة إلى اللجوء إلى المصدر الثالث في نسق التناقل، وهو الصحابة.

وأهم ما يجب ملاحظته في تفسير الصحابة (وكذلك التابعين) أنهم لا ينتمون بحال من الأحوال إلى مصدر إنتاج النص (كالقرآن، وأحاديث الرسول، التي يُتعامل معها باعتبارها وحياً كالقرآن)، فهم وسائط ناقلة للنص، تستقبله من الرسول، وتنقله للأجيال التالية (التابعين). حتى فيما يخص المعنى، فقد تلقوا من الرسول شرح معاني بعض آيات القرآن، إلى جانب حفظهم للنص، ونقلهم له إلى من جاءوا بعدهم. فهم في الأصل يقومون بمهمة الوسيط الناقل، سواءً للنص أو للمعنى.

ولكن مع مرور الزمن، بدأ الصحابة يجتهدون في استنباط معاني القرآن، وبالتدريج بدأوا يقدمون إسهامات ملموسة في إنتاج المعنى. ولكن ظل العقل التفسيري اللاحق لهم، حائراً في التعامل مع أقوالهم، لا لشيء في محتواها، ولكن لذلك التحول الذي طرأ على الصحابة، وحوّلهم من (وسيط) إلى (مصدر)، بعد أن كان المعنى يستمد من مصدر خالص (القرآن)، ومن وسيط لديه قدرة وإمكانية أن يكون مصدراً (الرسول).

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد وراء ذلك التحير" بل كان هناك سبب أعمق، وهو التساؤل حول مدى موثوقية ما يصدر عن الصحابة من تفسيرات، مقارنة بموثوقية التفسير عبر القرآن نفسه، وعبر كلام الرسول الموحى إليه.

وبرغم قوة التساؤل، إلا أن الحاجة إلى معرفة المزيد من معاني القرآن باتت ملحة جداً. وظهرت كثير من المساحات الفارغة في معنى النص بحاجة إلى من يملأه. لذا، حاول العقل التفسيرى أن يجد حلاً جذرياً لما يتهدد (المعنى) الصادر عن الصحابة من أزمة فقدان الموثوقية (موثوقية المصدر)، وذلك بالتأكيد على نسبة ما يصدر عنهم إلى الرسول، باعتبارهم صحابته وتلامذته، وأكثر الناس حفظاً وفهماً لما نزل إليه من القرآن. ووجد العقل التفسيري ما يساعده على إكساب

أقوال الصحابة موثوقية في وجود أشخاص بعينهم من الصحابة اشتهروا بعنايتهم بالقرآن ومعناه حتى في حياة الرسول، وأشهرهم (عبد الله بن عباس).

فلقد تجاوزت موثوقية (ابن عباس) – كمصدر– مجرد كونه تلميذاً مباشراً للرسول، إلى كونه مصدراً معتمداً للتفسير بدعوة (مستجابة بالطبع) من الرسول لـ(ابن عباس) أن يعلّمه الله التأويل(٨). ليكتسب (ابن عباس) سطوة تفسيرية هائلة، تفوق ما لأقرانه من أصحاب الرسول، تظهر بوضوح في (تفسير جامع البيان) الزاخر بأقوال (ابن عباس) في التفسير.

ولم يكن الإمام (الطبري) – رحمه الله – هو وحده من منح (ابن عباس) تلك المساحة الهائلة في التفسير" بل هو الوعي الإسلامي عبر السنوات، الذي رسخ لديه حجية (ابن عباس) في التفسير، بفعل دعاء الرسول له، وبفعل علمه أيضاً(٩).

وبعد انقضاء عهد الصحابة، ظهرت هذه الإشكالية أكثر في عهد التابعين، خاصة لما ظهر في عهدهم من تخوف من الكلام في التفسير. ويحكي الإمام (الطبري) في (جامع البيان) ذلك التخوف، الذي سيطر على بعض التابعين، بشأن الكلام في التفسير" حيث كان أحدهم إذا سُئل لم لا يفسر، يردّ بقول بالغ الدلالة على ما استنتجناه من قبل، قائلا: "إنها الرواية عن الله"(١٠).

لقد اختصر التابعي في وعيه كل حلقات السلسلة الناقلة للنص والمعنى، على حد سواء، وارتقى إلى المصدر، ليجعل التفسير (الذي هو معنى النص، وليس النص نفسه) رواية (بما يشير إليه اللفظ من نقل) عن الله (مصدر النص).

أما أولئك التابعون الذين فسروا، فقد كان الواحد منهم يبذل أقصى ما لديه من جهد، ليثبت أولاً صلته بأقرب مصدر له (الصحابي)، وأنه تلقى القرآن على يديه، كما هو الحال عند (مجاهد بن جبر) (أحد أكبر مفسري التابعين)(١١)، الذى سعى جاهداً أن يثبت صلته الوثيقة في التفسير بـ(ابن عباس).

ويظهر مما سبق، كيف أن العقل التفسيري سعى جاهداً لإكساب مصادر المعنى (معنى القرآن) موثوقية، عبر ربطها بمصدر أو أقرب النقاط الممكنة للمصدر الأصلي، مستدلاً على ذلك بما وسعه من أدلة. وساعده في ذلك كون مصادر المعنى هي ذاتها وسائط نقل النص. ويبدو كيف أن المعنى كان لصيقاً بالنص، ينتقلان معاً بنفس الأسلوب القائم على الإسناد (حدثني .. حدثني ..).

ويعدّ الإسناد، في الذهنية العلمية الإسلامية، أداةً من أكثر الأدوات رسوخاً،

ليس فقط لتداول المعرفة، ونقلها، ولكن للتثبت من صحتها، بإثبات صدورها عن مصدر أول لا يرقى إليه شك، تناقلها عبر وسائط تتسم بالحفظ والأمانة (أو بالضبط والعدالة، كما في علم الحديث). ومن المعروف أن تفسير القرآن أول ما بدأ كباب من أبواب الحديث(١٢)، وتمّ التعامل معه (علمياً) بنفس الطريقة التي تمّ التعامل بها مع الحديث❑

الهوامش:

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق وتخريج: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د.ت

(٢) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (سورة البروج: ٢١، ٢٢)

(٣) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٥م ١١٢/١

(٤) وقد يحيلنا هذا إلى ما ذكره الإمام (الطبري) سابقاً، من نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن القول في القرآن بالرأي، حتى لو كان القول صائباً. وهو ما يعني أن الرأي: هو كل قول يتم إنتاجه خارج ذلك النسق الآمن والصحيح لإنتاج المعنى. انظر: جامع البيان. الطبري. ٧٧/١

(٥) وهي الأداة التى اعتمد عليها الإمام (الطبري) في تفسيره بشكل ملحوظ، وأوردنا عليها أمثلة، ويمكن الرجوع إلى أي جزء من تفسير (الطبري) للتأكد من الاعتماد الواضح على القرآن كأداة للتفسير.

(٦) ولعله من المفيد في هذا السياق، أن نذكر أن أول من فسر القرآن بالقرآن كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يظهر ذلك في كثير مما روي عنه. ومنه ما ذكره الدكتور (محمد حسين الذهبي) في كتاب (التفسير والمفسرون) (٣٦/١) مما رواه أحمد والشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} ﴿الأنعام:٨٢﴾ شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (يعني: لقمان عليه السلام): إن الشرك لظلم عظيم؟ إنما هو الشرك.

(٧) تزخر كتب السنة والتفاسير التي اعتمدت على المأثور (وعلى رأسها: جامع البيان) بكثير من التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن الأمثلة على ذلك: ما أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما عن عدي بن حبان قال: قال رسول الله: إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين هم النصارى. وما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: الصلاة الوسطى صلاة العصر.

(٨) يذكر الدكتور (عبد العزيز بن عبد الله الحميدي) في رسالته المعنونة بـ (تفسير ابن

عباس ومروياته في التفسير وكتب السنة).ص١١ ذلك فيقول: "وكان من أسباب قوة فهمه وإدراكه وغوصه في المعاني الدقيقة، وسرعة حله للمشكلات، التي يحار فيها ذوو الألباب، دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) له بالفقه في الدين، والعلم بالتأويل. وقد رويت في هذا المعنى روايات كثيرة، منها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٨/١) حيث قال: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت (ميمونة)، فوضعت له وضوءً من الليل، قال فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس، فقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل".

(٩) ويذكر الدكتور (محمد حسين الذهبي) في (التفسيروالمفسرون ٥٢/١) أن من يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور يرى أثر هذه الدعوة النبوية يتجلى واضحاً فيما صح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

(١٠)يذكر الإمام (الطبري) كثير من الروايات التي يرويها بإسناده، وتفيد هذا المعنى، في مقدمة تفسيره (ص ٨٦)، منها: قول عُبيد الله بن عمر: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيَّب، ونافع. وقول يحيى بن سعيد: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آيةٍ من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئًا. وكذلك قول ابن سيرين: سألت عَبِيدة السلماني عن آيةٍ، قال: عليك بالسَّداد، فقد ذهب الذين علمُوا فيمَ أنزل القرآن. وقول يزيد بن أبي يزيد: كنا نسأل سعيدَ بن المسيَّب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سَكَتَ كأن لم يسمع. وقول: الشعبي: والله مَا مِن آية إلا قد سألتُ عنها، ولكنه الروايةُ عن الله. وغيرها من الروايات.

(١١)روى الفضل بن ميمون أن مجاهدا قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وروي عنه أيضاً أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية: فيم نزلت، وكيف كانت. وعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب حتى سأله عن التفسير كله. (محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ٧٩/١). ومن اليسير ملاحظته أيضاً شيوع أقوال (مجاهد) في كتب التفسير بالمأثور، كعلامة على موثوقيته كمصدر ينتمي إلى جيل التابعين، تماماً كما هو الحال مع (ابن عباس) كمصدر ينتمي إلى جيل الصحابة.

(١٢)التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ٣٦/١.

سيرة ذاتية

ضياء الدين محمد/ مصر/١٩٩٠

ماجستير، بتقدير ممتاز، مايو ٢٠١٥ ، عن رسالته: (منهجية الطبري في التفسير: الأدوات والمفاهيم)/ كلية الآداب، جامعة القاهرة.

نشر له:

– دراسة: (الأسس المعرفية للتفسير والترجيح عند الطبري) مجلة التأويل، العدد الثاني، ٢٠١٥.

– مقال: (المصريون في قلب الليل)، مجلة إحنا، عدد ٩١، يوليو ٢٠١٢.

– مقال: (وجوه أخرى للسادات)، الموقع الإلكتروني لجريدة الدستور، الجمعة ١٦ مارس ٢٠١٢.

– مقال: (خطاب المناضل والحاكم ومحترف الصناديق)، الموقع الإلكترونى لجريدة التحرير، فبراير ٢٠١٣

المشاركات والدورات:

- مشاركة في مؤتمر (التراث العربي قراءة جديدة) بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، عنوان الورقة (نحو قراءة جديدة للتراث التفسيري)، ٢٠١٥.
- دورة الأسس المنهجية للكتابة العلمية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، جامعة القاهرة (يناير ٢٠١٣)
- دورة تحليل الخطاب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة (ديسمبر٢٠١٢)
- المشاركة لمدة عامين في (ورشة البلاغة وتحليل الخطاب)

مشروعية الحرب في الإسلام

(2 - 2)

سالم الحاج

المناقشة والترجيح:

قد رأينا فيما سبق أن أدلة القائلين بأن علة القتال هي الكفر، تنحصر في عدد من الآيات، بالإضافة إلى الحديث المعروف: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..."، وعلى ذلك فإن مناقشة ما

قيل حول تلك الآيات والحديث، ستوضح لنا أبعاد الموضوع، وستتيح لنا فرصة الترجيح:

مناقشة الآيات:

أولاً/ قوله تعالى: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلو سبيلهم} التوبة/٥.

عرفت هذه الآية بـ(آية السيف)، وذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنها نسخت كل ما قبلها من الآيات(١)، والذين لا يقولون بالنسخ منهم يذهبون إلى أنها رسمت صورة العلاقة بين المسلمين وغيرهم في مراحلها الأخيرة(٢).. و"عندما يمر القارئ بنصوص القرآن المتضمنة للمراحل المذكورة، يجد كثيراً من المفسرين والمؤرخين وغيرهم من العلماء، ينصون على نسخ المراحل كلها بنصوص المرحلة الأخيرة التي يطلقون عليها (آية السيف). ومعنى هذا أنه يجب على المسلمين أن يقاتلوا كفار الأرض كلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم صاغرون، لأن هذه هي المرحلة الأخيرة، وقد نسخت ما قبلها من المراحل، والمنسوخ لا يجوز العمل به. ولكن رجّح المحققون عدم النسخ لأي مرحلة من المراحل الجهادية، وهو الظاهر"(٣).

يقول صاحب (التفسير المنير): إن "قوله تعالى {فاقتلوا المشركين} عام في كل مشرك، وفي كل من كفر بالله، كما ذكر (ابن العربي)، ولكن السنّة خصت منه المرأة والصبي والراهب، وخصّ من القتل المثلة، للنهي عنها في السنة، وعن قتل الصبر بالنبل ونحوه..."، "وخصّت الآية أيضاً بأهل الكتاب بإقرارهم على الجزية، فيخيّرون بين الإسلام أو الجزية أو القتل"(٤).

ويقول (الفخر الرازي) في تفسيره لهذه الآية: "وذلك أمر بقتلهم على الإطلاق، في أيّ وقت، وأيّ مكان"(٥).

ولأنه يذهب إلى عدم نسخها لآيات القتال الأخرى، يقول – في محاولة للتوفيق بينها وبين آيات القتال التي سبقتها – : "فإن قيل: هبْ أنه لا نسخ في الآية، ولكن ما السبب في أن الله تعالى أمر أولاً بقتال من يقاتل، ثم في آخر الأمر أذن في قتالهم، سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا؟ قلنا: لأن في أول الأمر كان المسلمون قليلين، فكان الصلاح استعمال الرفق واللين والمجاملة، فلما قوي الإسلام، وكثر الجمع، وأقام من أقام منهم على الشرك، بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حالاً بعد حال، حصل اليأس من إسلامهم، فلا جرم أمر الله تعالى بقتالهم على الإطلاق"(٦).

وهذا النوع من التوفيق بين هذه الآيات كثير الشيوع، حتى عند الكتاب المحدثين(٧).. وهو يرجّح أن هذا الأمر (آية السيف) خاص بمشركي العرب.

ويرد أصحاب الاتجاه الثاني (القائلين بأن سبب الجهاد هو الحرابة) بأن هذه الآية لا ينبغي أن تفهم على إطلاقها، لأنها تعارض الآيات الأخرى المحكمة، مثل قوله تعالى: {لا إكراه في الدين}، وغيرها. وعلى ذلك فإن ملابسات وظروف نزول هذه الآيات، تبيّن أن المراد بهذا الأمر هم مشركو العرب، الذين حاربوا المسلمين، ونصبوا لهم العداء، وأخرجوهم من ديارهم، ونقضوا عهودهم.. فجاءت الآية الكريمة تأمر المسلمين بردّ عهود الكافرين، وإمهالهم مدة أربعة أشهر، ثم يخيّرون بعدها بين القتال، أو التوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة!

وحول الإشكال الذي تثيره الآية الكريمة في تخييرها للمشركين بين الإسلام أو القتل – وهو ما يناقض الآيات الأخرى، كقوله تعالى: {لا إكراه في الدين}، ويناقض ما نعلمه من أن الدين إنما يكون عن طريق الإقناع والاقتناع – تلخصت الإجابات في الاتجاهات الثلاثة التالية(٨):

١- إن دعوة الناس إلى الإسلام عن طواعية ودون إلزام، إنما كانت في صدر الإسلام، أيْ قبل مشروعية الجهاد القتالي، ثم إن هذا الحكم نسخ فيما بعد بآية السيف هذه، وبحديث "أمرت أن أقاتل الناس...".

وهذا رأي ضعيف يعتمد على ظاهر الآية والحديث، وهو مناقض – كما قلنا – للآيات الأخرى، ولروح الإسلام التي ترفض التقليد في الدين، والإكراه على الإيمان.

٢- ذهب أكثر الفقهاء والمفسرين إلى أن هذا الحكم لم ينسخ، وأن الآيات التي تدلّ على الدعوة إلى الإسلام دون إكراه، محكمة... ثم إن أصحاب هذا الرأي انقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن (الناس) هنا هم: الوثنيون، ومن في حكمهم من الملاحدة. وأما من عداهم فهم المعنيون بقوله تعالى {لا إكراه في الدين}، وقوله {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين...}، وبالآيات الكثيرة الدالة على الأمر بالدعوة دون إكراه. (مغني المحتاج ٢٢٣/٤، كشاف القناع ٤٠/٣، بداية المجتهد ٢٧١/١).

أما الفريق الثاني، فقالوا: إن الدعوة لا يجوز أن تقترن بأيّ إكراه، لا في حقّ الوثنيين، ولا في حقّ غيرهم.. والأمر بقتل المشركين في قوله تعالى {فاقتلوا المشركين}، إنما هو لوصف الحرابة فيهم، لا بسبب كفرهم.. وبه قال الإمام (مالك)، وأصحابه، و(الأوزاعي)، وجمع كبير من الفقهاء. (أحكام القرآن لابن العربي ٨٨٩/٢، الجامع

لأحكام القرآن للقرطبي ٧٦/٨، بداية المجتهد ٢٧١/١)[٩].

ولكن هذا الفريق – كما نقل لنا الدكتور (البوطي) آراءهم – لم يرفع الإشكال الحاصل من ربط الآية أو تخييرها للمشركين بين (القتل) أو (التوبة والإسلام)... وإنما يرتفع هذا الإشكال إذا قلنا: إنه حكم خاص بمشركي العرب – وهم أهل الحجاز، وما جاورها، عند أكثر المحققين – نتيجة لمحاربتهم ونقضهم العهود..[١٠].

وهكذا يتضح أن قوله تعالى: {فاقتلوا المشركين}، ليس دليلاً على صحة دعوى ذلك الرأي القائل بأن سبب القتال هو الكفر.. وهذا ما يتضح ويتأكد أكثر عند النظر إلى أسباب النزول، والواقع الذي جاءت هذه الآيات لمعالجته من جهة، وبعد الالتفات إلى سياق الآيات قبلها، وبعدها، من جهة أخرى.. الأمر الذي يجعلنا نقطع بأن هذا المعنى الظاهري الذي يفهم لأول وهلة من الآية الكريمة، ليس هو المقصود:

فسياق الآيات قبلها – وخاصة الآية (٣) – يشير إلى أن (قتل المشركين) ليس هدفاً لذاته، بل إن الله سبحانه ليتوجه إلى هؤلاء الكافرين – وفي مقام الشدّة هذا – بالنصح والترغيب والترهيب: أن توبوا إلى الله، فهو خير لكم، لأنكم إن توليتم لن تعجزونه سبحانه.. وليس هذا أسلوب من أزمع على إبادة الكافرين بسبب كفرهم، بل هو أسلوب من يرغب في هدايتهم، ويرجوها، ويزّينها لهم.. وهو الأمر الذي يؤكد أن (الإيمان) أمر اختياري، لا إكراه فيه!

وكذلك تأتي الآيات التالية لـ(آية السيف) هذه، لتؤكد – بما لا يدع مجالاً للشك – أن سبب القتال ليس هو الكفر، بل الحرابة.. فقوله تعالى في الآية التالية مباشرة: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره} التوبة/٦، يدلنا أنه لو كان سبب القتال هو الكفر، لما كان لهذا الطلب من داع، ولكان التناقض بين الآيتين واضحاً. "إن تلبسهم بالكفر – لو صح ما فهمه الشافعية، ومن معهم – وثيقة إجرام تلاحقهم، ولا تنفكّ عنهم. وإن جاز إمهالهم حتى يسمعوا كلام الله، بأمل هدايتهم" فليس ثمّة أيّ مبرر لاصطحابهم مكرّمين، تحت درع من الحماية لهم، ليعودوا من حيث جاءوا، كما كانوا، مشركين جاحدين.. إذاً، فلماذا هذه الرعاية والحماية لهم، بهذا الأمر الإلهي المبين؟ السبب في ذلك: اختفاء الحرابة منهم.."[١١].

ثم يأتي قوله تعالى – في الآية التالية – : {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم} التوبة/٧.. وفي هذا دلالة صريحة أيضاً، على أن الكفر ليس هو سبب القتال.. إذ لو كان الأمر

كذلك، لما جاز عقد المعاهدات مع المشركين، فضلاً عن الأمر بالاستقامة لهم ما استقاموا لنا!

ويتأكد ذلك في الآيات التالية: {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة} التوبة/ ٨. إذ لو كان الكفر – بحدّ ذاته – هو المانع من قيام العهود بين المسلمين والمشركين، "لما ورد شيء من هذا الكلام قط.. إذ سيّان بعد الكفر، الذي هو علة القتال والقطيعة (أيْ: حسب هذا الرأي) أن يكونوا أمناء على العهد، أو مضيعين له، وخائنين له"([١٢]).

وأخيراً، نذكر النكتة التي أشار إليها الإمام (الرازي) في تفسير قوله تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك..}، حيث قال: إن الله سبحانه ذكر هذه الآية بعد (آية السيف)، لأنه لما كانت (آية السيف) تلقي في الروع أن الحجة قد قامت على المشركين، وأن ما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كاف في إزاحة عذرهم وشبهاتهم، وذلك يقتضي أن لا يلتفت إلى المشركين، فيما لو طلبوا الحجة والدليل، بل يُطالبَون: إما بالإسلام، وإما بالقتل.. فجاءت هذه الآية إزالة لهذه الشبهة([١٣]).

ونذهب بكلام الإمام (الرازي) إلى نهاياته، فنضيف إليه: إن الشبهة الأقوى التي ينبغي أن تزال بهذه الآية، والآيات التي تليها، هو أن لا ينصرف الذهن إلى أن الأمر بـ(قتل المشركين) قد جاء نتيجة لمعنى الكفر عندهم، وإنما لدفع حرابتهم وعدوانهم، إذ إن (كفرهم) له أساليبه الخاصة في العلاج، تلك هي: الدعوة والبيان: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه..}. وهذا ما ذهب إليه صاحب (المنار) بقوله: "وإذ كان تبليغ الدعوة هو الواجب الأول والأهمّ المقصود من الرسالة – وإنما كان وجوب القتال لحمايتها، والحرية في تبليغها، والعمل بما تتضمنه، ومنع أهلها وصيانتهم من الفتنة والاضطهاد لأجلها – وجب التبليغ قبله، وكفّ القتال عمن يظهر الرغبة في سماع كلام الله، للعلم بمضمونها، والوقوف على ما نهى وأمر" م١٠، ص١٧٧.

ثانياً: قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عند يد وهم صاغرون} التوبة/٢٩.

قال الذين ذهبوا إلى أن (الكفر) هو السبب الباعث لقتال الكفار: إن هذا دليل واضح على صدق دعواهم، حيث أمر الله سبحانه فيها بقتال أهل الكتاب، حتى

يسلموا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.. وقالوا: إن قبول (الجزية) من أهل الكتاب، جاء تخصيصاً بعد الأمر العام في (آية السيف)، احتراماً لأهل الكتاب، وتمييزاً لهم عن غيرهم من المشركين.

ولكن التدبر في الآية يهدي إلى أن هذا المعنى غير مسلّم لهم، إذ لو كان (الكفر) هو سبب قتالهم، لما جاز قبول الجزية منهم، إذ إن دفعهم (الجزية) لن يزيل عنهم صفة (الكفر) هذه.. وهذا واضح! "إذن فما المشكلة التي أنهاها نظام الجزية، حتى انتهى، بسبب ذلك، القتال؟ إنها مشكلة واحدة، هي مشكلة الحرابة"([١٤]).

هذا أولاً، ثم إن الآية أمرت بالقتال لا بالقتل، والفرق بين الصيغتين واضح.. فالمقاتلة "مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين".. "فأنت تقول: قتلت فلاناً، إذا بدأته بالقتل. وتقول: قاتلته، إذا قاومت سعيه إلى قتلك بقتل مثله، أو سابقته إلى ذلك، كي لا ينال منك غرة"([١٥]).

فقد أُمر المسلمون، إذاً، بمقاتلتهم، لأن هؤلاء مقاتلون لهم ابتداءً. والمتابع للسيرة النبوية يتضح له بجلاء أن المسلمين لم يبدأوا اليهود، أو غيرهم، بقتال.. ولكن اليهود، وقد أعماهم الحقد والتعصب، لم يطيقوا على المسلمين صبراً، فانخرطوا في التآمر عليهم، ثم نقضوا عهودهم، وبدأوا في الاشتراك فعلياً في الكيد بالمسلمين.. وهذا كله ثابت في السيرة، لا نعلم له خلافاً..

وبذلك يتضح أن الواقع التاريخي الذي جاءت هذه الآية لمخاطبته، ومعالجته، يؤكد نفس المعنى الذي ذهبنا إليه، وهو أن الذي أُمر به المسلمون إنما هو رد العدوان وإنهاء الحرابة، ولم يؤمروا بقتل المشركين، أو غيرهم، بسبب كفرهم..

ثالثاً: قوله تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين} البقرة/ ١٩٢-١٩٣.. وقوله تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله} الأنفال/٣٩.

ذهب أغلب المفسرين إلى أن (الفتنة) هنا هي الشرك أو الكفر، وإن (الانتهاء) المطلوب هو الانتهاء عن الكفر.. فقد ذهب (ابن عباس) إلى أن معنى الآية: فإن انتهوا عن القتال. وذهب (الحسن) إلى أن المعنى: فإن انتهوا عن الشرك، لأنه لا غفران لهم إلا إذا انتهوا عن الشرك: {إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} النساء/٤٨([١٦]).. وهكذا فسرها الإمام (ابن كثير) في تفسيره: "أيْ: فإن تركوا القتال في الحرم، وأنابوا إلى الإسلام والتوبة، فإن الله يغفر ذنوبهم"، و"إن انتهوا عما هم

فيه من الشرك وقتال المؤمنين، فكفّوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عدوان إلا على الظالمين"([١٧]).

ولا تشذّ أغلب كتب التفسير الحديثة عن هذا الاتجاه، فهذا صاحب (التفسير المنير) يقول: "إن معنى هذه الآيات هو أن تقصدوا "بقتالهم أن تزول الفتنة والكفر، وأنواع الإيذاء والضرر التي تلحق بالمسلمين بوجودهم في مكة"، "فإن انتهوا عما كانوا عليه، وكفّوا عن قتالكم، ورجعوا عن الكفر، وأسلموا، وسالموا، فلا تعتدوا عليهم، إلا على من ظلم واعتدى، فيكون قتاله تأديباً له، وإصلاحاً لشأنه"([١٨]).

وعلى هذا، فإن هذا الفريق من المفسرين يفسّر (الفتنة) و(الانتهاء) المذكورين في الآية، بأنه الكفر، والانتهاء عنه، دون التفات إلى سياق الآيات نفسها، أو اهتمام بمصادمة هذا المعنى لذلك الأصل القرآني {لا إكراه في الدين}.. إن سياق الآيات، في (سورة الأنفال) مثلاً، يدور حول مكر الذين كفروا بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبالمؤمنين، وتكذيبهم بالآيات، وإنفاقهم للأموال، للصد عن سبيل الله، أيْ باختصار: فتنة المؤمنين عن دينهم.. فجاءت هذه الآيات تحثّ الكافرين على الانتهاء عن فتنتهم هذه: {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف، وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين}، وإذ لم ينتهوا، فإن الطلب يتوجّه إلى المسلمين بمقاتلة هؤلاء المشركين، المصرين على إجرامهم وفتنتهم وقتالهم للمؤمنين: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة}، أيْ: حتى لا تبقى الفتنة في الدين.. وهكذا، وبدلاً من أن تؤخذ هذه الآيات لتأكيد حرية التدين، وإبراز مبدأ {لا إكراه في الدين}، جعلها هذا الفريق دليلاً معاكساً على إجبار الكافرين للدخول في الإسلام![١٩]).

ويذهب صاحب (تفسير المنار)، في لفتة ذكية، وانتباه إلى سياق الآيات، ومعرفة بطبيعة الواقع الذي جاءت هذه الآيات لمعالجته، إلى تفسير (الانتهاء) بالمعنيين معاً، أيْ "فإن[انتهوا] عن القتال، فكفّوا عنهم، أو عن الكفر، فإن الله يقبل منهم"([٢٠]).. وهي لفتة تغنينا عن التكلّف لتغليب أحد المعنيين.. وبذلك يكون معنى الآيات: قاتلوا هؤلاء الكفار المحاربين لكم، حتى لا تبقى الفتنة في الدين، أي حتى "لا تكون لهم قوة يفتنونكم بها" [ويكون الدين لله]، "أيْ يكون دين كل شخص خالصاً لله، لا أثر لخشية غيره فيه، فلا يفتن لصدّه عنه، ولا يؤذى فيه، ولا يحتاج فيه إلى الدهان والمداراه"([٢١]).

والحقيقة إن المفسرين الذين ذهبوا إلى الاستشهاد بهذه الآيات، كدليل على قولهم بأن القتال إنما شرع بسبب الكفر، وأن المطلوب من هؤلاء الكافرين هو الانتهاء عن

كفرهم، والدخول في الإسلام، وإلا فإن مصيرهم القتل. أقول إن هؤلاء المفسرين إنما ذهبوا إلى المعنى المعاكس تماماً!.. فهذه الآيات من أبلغ آيات الكتاب الكريم في الدفاع عن حرية التدين، ومنع الإكراه فيه.. وقد جرّها هؤلاء، الذين كبر عليهم "أن يكون الإذن بالقتال مشروطاً باعتداء المشركين، ولأجل أمْن المؤمنين في الدين"([٢٢]) وأرادوه مطلوباً لذاته، جرّوها جرّاً إلى معنى فيه معارضة واضحة للآيات المحكمات التي تؤكد أن [لا إكراه في الدين]، وأن الدعوة إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة..

مناقشة الأحاديث:

سبق أن بيّنا أن أهم حديث يحتج به الفريق القائل: إن الكفر هو سبب القتال، هو الحديث الذي رواه (الشيخان) عن (ابن عمر).. أما الحديث الآخر، فليس لهم فيه حجة تصمد أمام المناقشة من باب أولى:

والحديث، كما رواه (أبو داود)، و(الترمذي)، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم" أي صغارهم.

فالحديث يعالج الحالة الواقعية التي كان يعايشها المسلمون، حيث كانت الحرب بين المشركين والمسلمين هي الحالة الدائمة والأمر الطبيعي.. ومن ثمّ، فإنه من الطبيعي أن نحمل الحديث على معنى: اقتلوا أئمة المشركين ورؤوسهم. وإلا فإن الأحاديث الصريحة الصحيحة قد وردت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تنهى عن قتل غير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ المسنين.. وتأتي كلمة (الشيخ) في هذه الأحاديث مقيّدة بصفة (الكبير)، أو (الفاني)، للدلالة على أنه ليس من أهل القتال.. ومن ذلك الحديث الذي رواه (أبو داود): (ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة).. (وانظر الأحاديث الأخرى التي أوردناها فيما سبق). فتقييد كلمة (الشيخ) هنا بـ(الفاني)، يدل على أنها عند إطلاقها، إنما تعني المحاربين ورؤوس الشرك بالدرجة الأولى.. ثم "إن التقابل الذي نراه بين هذين الفريقين – ولا ثالث لهما في الحديث – يوضح أن المراد بالشيوخ كل من عدا الصغار، فدخل فيهم حتى الشباب تبعاً"([٢٣]).

أما حديث (ابن عمر) (رضي الله عنهما)، ونصّه: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله" (رواه الشيخان).

فقد ذكرنا، عند تفسير الآية (٥) من سورة (التوبة)، أن العلماء اختلفت آراؤهم حول المعنى الظاهري الذي يفهم منها،

فذهب البعض إلى أن هذه الآية قررت الحالة النهائية للعلاقة مع المشركين، أيْ أن يعمل فيهم السيف حتى يسلموا. وذهب آخرون إلى أن [لا إكراه في الدين]، وأن الآية إنما تخص المشركين العرب وحدهم. وغيرهم ذهب إلى أن الدعوة – سواء بالنسبة لمشركي العرب، أم غيرهم – هي واحدة، وإن طريقها الإقناع والإيمان، ولا يجوز الإكراه عليها، وأن المقصود من قوله تعالى [فاقتلوا المشركين] إنما هو لوصف الحرابة فيهم، لا بسبب كفرهم..

وهذا الكلام يصلح أن يكون مدخلاً لمناقشة هذا الحديث.. إذ إن ظاهره يثير المشكلة نفسها: مشكلة الإكراه في الدين!

ومن جهة أخرى، فإن اللفظ المستعمل هنا جاء على صيغة (أقاتل)، وقد حكى (البيهقي) عن الإمام (الشافعي) قوله: ليس القتال من القتل بسبيل، وقد يحلّ قتال الرجل، ولا يحلّ قتله([٢٤]). فالمقاتلة غير القتل، "وقد أطنب (ابن دقيق العيد) في (شرح العمدة) في الإنكار على من استدل بهذا الحديث على ذلك (أيْ: على قتل تارك الصلاة) وقال: لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل، لأن المقاتلة مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين على ذلك" (فتح الباري ٥٨/١). فإذا كان الاستدلال على قتل تارك الصلاة بهذا الحديث باطلاً – كما يقول (ابن حجر)، وغيره – لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبّر في حقّه بكلمة المقاتلة لا القتل، فكيف يصحّ الاستدلال بهذا الحديث ذاته، على قتل من أبى الدخول في الإسلام، مع أن تارك الصلاة عمداً يتحمّل عهدة التكليف بمقتضى كونه مسلماً، كما يتحمّل عهدة الإذعان لعقوبات الحدود. أما غير المسلم، فلا يتحمّل عهدة شيء من ذلك؟![٢٥].

ثمّ إن هذا الحديث (وكذلك آية السيف) يطرح إشكالاً آخر، عالجه الفقهاء، واختلفوا فيه كذلك، وهو: هل يجوز أخذ الجزية من (المشركين) و(الوثنيين)، من العرب أو غيرهم، على اعتبار أن (آية الجزية) خصصت أهل الكتاب من عموم قوله تعالى [فاقتلوا المشركين]، وجاءت السنة النبوية لتستثني (المجوس)، قياساً لهم على أهل الكتاب؟! بالطبع إن ظاهر الآية (والحديث) يدلان على عدم جواز ذلك، وهذا ما ذهب إليه الحنابلة والشافعية والظاهرية والشيعة الإمامية.

وذهب آخرون إلى جواز عقد الذمة لجميع أصناف غير المسلمين، إلا عبدة الأوثان من العرب، وحجتهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، في حين أجاز عقد الذمة للمجوس مثلاً، فدلّ على جواز عقد الذمة لغير مشركي العرب. وهذا قول الحنفية..

وذهب (الأوزاعي)، و(مالك)، وظاهر مذهب الزيدية، إلى جواز عقد الذمة لجميع أصناف غير المسلمين، لا فرق بين وثني عربي وغيره.. وحجتهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ الجزية من المجوس، فدلّ ذلك على جواز عقد الذمة لجميع أصناف غير المسلمين([٢٦]).

ورجّح الدكتور (عبدالكريم زيدان) القول الثالث من هذه الأقوال.. ولتأييد رأيه بيّن أن (آية الجزية) نزلت بعد (آية السيف)، فلما نزلت كان (نصارى نجران) أول من دفع الجزية – قبل وفاته (صلى الله عليه وسلم) – كما أخذها (عليه الصلاة والسلام) من المجوس، وهم ليسوا أهل كتاب.. وفي هذا دليل على جواز أخذها من غيرهم من المشركين، "وإنما لم يأخذها من مشركي العرب، لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية([٢٧]).. وأشار الدكتور (زيدان)، لتأييد ما ذهب إليه، إلى نكتة أخرى، وهي: إن كفر مشركي العرب لم يكن بأغلظ من كفر المجوس، بل على العكس، فإن العرب كانت على بقايا دين إبراهيم (عليه السلام)، ولا يستحلّون ما يستحلّه المجوس من نكاح الأمهات والبنات، وكانوا يقرّون بتوحيد الربوبية، بخلاف المجوس.. فكيف تعقد الذمة لأولئك، ولا تعقد لهؤلاء؟!([٢٨]).

وأما حديث "أمرت أن أقاتل الناس..." – يقول الدكتور (زيدان) – : فقد قال البعض بأن المراد هنا: المشركون من غير أهل الكتاب، أو أن المراد به: أهل الكتاب (شرح القسطلاني على صحيح البخاري ج١، ص١٠٦).. وقال آخرون: يجوز حمل الحديث على أنه كان قبل نزول آية الجزية، أو أن يحمل على مشركي العرب فقط (حاشية السندي على متن النسائي ج٥، ص١٥). فجمع هذه الاحتمالات في مدلول الحديث، لا يبقي حجة للمستدلين به على عدم جواز عقد الذمة لغير أهل الكتاب([٢٩]).

وهكذا نرى أن الحديث ليس حجة لمن ذهب إلى أن السبب الباعث على القتال هو الكفر، هذا فضلاً عن أن الحديث (معلول)، بما ينزل به عن درجة الصحة: قال الشيخ (محمد رشيد رضا) في تفسيره: "إن في إسناده من الغرابة ما استغرب معه بعض نقاد الحديث تصحيح الشيخين له، مع امتناع الإمام أحمد عن إيراده في مسنده، على سعته وإحاطته بأمثال هذه الأحاديث. وقد صرّح قوم من العلماء باستبعاد صحته، كما قال (الحافظ) في شرحه من (الفتح)، وهو مخالف لحديث (أبي هريرة)، الذي خرّجه الجماعة كلهم، وقال بعضهم بتواتره"([٣٠]).

الواقع التاريخي:

لن نستطرد في مناقشة الواقع التاريخي، إذ إن تفصيل ذلك يحتاج إلى بحث مستقل – كما أشرنا إلى ذلك – وسنكتفي بإيراد شبهة قوية، ذكرها الدكتور (عبد الكريم زيدان) في كتابه (مجموعة بحوث فقهية)، مؤداها أن أعمال الخلفاء الراشدين، وحركة الفتح الإسلامي، تؤيد الرأي القائل بأنه ليس للكافرين إلا السيف أو القتل.. حيث يقول: "إنهم فتحوا البلاد المجاورة، وأبطلوا أنظمتها الباطلة، ونفذوا فيها القانون الإسلامي، وأدخلوها في سلطان الدولة الإسلامية، وصارت جزءاً منها، ولم ينكر عليهم أحد مطلقاً، فيكون هذا النهج مجمعاً عليه من قبل الجميع، وهو أعظم إجماع قام على مسألة شرعية" ص٥٧.

وهذا الكلام فيه نظر. والذي لا شك فيه أن إعلان الحرب من قبل المسلمين على الفرس والروم، إنما كان بسبب الخوف منهم، فقد كانوا مصدر تهديد دائم.. حتى أن الخوف من الغزو الرومي كان يشغل بال المسلمين، ويقلق نومهم، سنوات عديدة.. وقد جاءت (غزوة مؤتة) في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) رداً على تحرشات واعتداءات الروم، وتجميعهم للجيوش، استعداداً لغزو الجزيرة.. وكذلك الفرس، الذين لم يكتف ملكهم بتمزيق رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقتل رسوله، بل أرسل إلى عامله على (اليمن)، يطالبه بإحضار النبي (صلى الله عليه وسلم) أسيراً إليه، وهذا بالطبع يعني غزو (المدينة)، وإعلان الحرب على المسلمين. وهكذا رأينا كيف "انتشرت جيوش المسلمين شرقاً وغرباً ضد امبراطوريات أكبر وأقوى، ولكنها توقفت عن عبور البحر إلى (الحبشة)، الأضعف والأقرب"([٣١])، لأنها كانت مسالمة، ولم تبدأ المسلمين بعدوان. ولهذا كانت دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين، في حديثه المعروف: "اتركوا الأحباش ما تركوكم"! ولو كان الأمر غير ردّ العدوان والحرابة، لما كان لاستثناء (الحبشة) من موجب.

وأما ما يُستشهد به في هذا المجال عادة، وأعني كلمة (ربعي بن عامر) المعروفة: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة...إلخ"، فإنه يجب فهم هذا القول بما لا يتعارض مع الآيات القرآنية، ومع الغرض من إرسال الرسل وإنزال الكتب (التبليغ وإقامة الحجة). وإلا فإن ظاهر معناه يوحي بأن هدف خروجهم هو: إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده!.. وبالطبع فإن هذا هدف كلي لدعوة الإسلام، وليس القصد من ذلك مقاتلة الناس لإخراجهم من الكفر إلى الإيمان! وهذا واضح، لأن إخراج

الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، بهذا المعنى، ليس مشروعاً، ولا مطلوباً.. ولم ينقل لنا التاريخ أن المسلمين أجبروا الناس على الإسلام بعد فتح بلدانهم.. وبالتالي، فإن هذه المقولة – على افتراض صحتها – لا تشكل دليلاً على دعوى أن الفتوحات الإسلامية إنما قامت لنشر الإسلام، وفرض الجزية على غير المسلمين!..

أما من أراد تفسيراً لتوغل المسلمين فيما وراء أرض العراق وبلاد الشام، إلى أقاصي الهند شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً.. فلعلنا نجد في كلمة الإمام (محمد عبده)، وتلميذه (رشيد رضا) – بالاضافة إلى ما ذكرناه آنفاً – تفسيراً لذلك.. حيث يقول: "وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقاً لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي يده على جاره الضعيف، ولم نعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من المسلمين"([٣٢]).

خاتمة:

وهكذا، وبعد مناقشة أدلة الفريق القائل بأن السبب الباعث على القتال هو الكفر، وأن على المسلمين أن يحملوا السيف، ويقاتلوا الآخرين، لتخييرهم بين الإسلام أو السيف أو الجزية، تبيّن لنا أن الصواب هو في جانب الفريق الثاني (وهم جمهور الفقهاء، الذين ذهبوا إلى أن الحرابة هي السبب الباعث على القتال).. ويتأكد هذا الاتجاه أكثر لما رأيناه من أن الأخذ بظاهر الآيات والأحاديث التي استند إليها الفريق الأول، يصطدم اصطداماً مباشراً بما هو معلوم من الدين بالضرورة، من أن الدعوة إلى الإيمان، إنما تكون عن طريق الاختيار والاقتناع، وأنه [لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي..]، مع ملاحظة أن نفس قاعدة التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتل (التي كان المسلمون يتبعونها في حروبهم مع أعدائهم، قبل البدء بقتالهم)، تدلّ دلالة واضحة على أن الكفر ليس هو السبب الباعث على القتال، إذ لو كان الأمر كذلك، لما كان ثمة معنى لإقرارهم على كفرهم، وقبول الجزية منهم، وهذا من الوضوح بمكان!

ثم إننا، من جهة أخرى، نجد أن الله سبحانه قد أكّد – في كثير من الآيات القرآنية – حقيقة أساسية مهمة، وهي: إن الاختلاف والتعدد والتمايز مطلب كوني، وإرادة إلهية نافذة، ومن ثمّ فمحاولة إزالة هذا التعدد والتمايز والاختلاف هو حرث في بحر: [ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين] هود/١١٨، [ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم] المائدة/٤٨.. إن التمايز والاختلاف

والتعدد هي صفات ثابتة ودائمة للكائنات، وهي الصيغة المقابلة والمؤكّدة لوحدانية الله تعالى، فهو وحده الفرد الصمدّ!.. ولهذا يذهب (محمد جلال كشك) إلى أن الإسلام إنما شرع (الجهاد) "لحماية هذا التعدد، وحماية حرية الاختيار. ومن ثمّ يجب أن يتصدى المسلمون لكل دعوة شمولية، تريد أن تفرض نظاماً واحداً، أو فكراً واحداً، أو عقيدة واحدة، على الناس، سواء داخل المجتمع الإسلامي، أو على نطاق الجنس البشري.."([٣٣]). وقد رأينا كيف استخرج صاحب (المنار) – استناداً إلى قوله تعالى: [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة..] – قاعدة: أن الغاية من القتال في الإسلام هي تأمين حرية الدين، ومنع فتون أحد واضطهاده لإرجاعه عن دينه([٣٤])..وهو تخريج قوي تؤيده الآيات العديدة حول حرية الدعوة!.

ولا بدّ قبل أن نختم هذا البحث، من الإشارة إلى ما ذكره الأستاذ الدكتور (يوسف القرضاوي) في كتابه (أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة)، حيث ذكر تحت فقرة (فكر واقعي): "ومن الجدل الذي لا ضرورة له، ولا جدوى من ورائه اليوم: ما يثار بين الحين والحين حول طبيعة الجهاد العسكري (القتال) في الإسلام: هل هو جهاد (هجومي) لنشر الإسلام في العالم، أو هو (دفاعي) عن عقيدة الإسلام وحرماته وأرضه؟"([٣٥]).

فهو يرى أن مثل هذه الأبحاث تدخل ضمن خانة الجدل غير المنتج، وغير ذي الفائدة العملية، ويعلل رأيه هذا بأسباب ثلاثة، هي:

١– إن هناك، في كثير من البلاد الإسلامية جهاداً عينياً، لم نقم بواجبنا تجاهها، ولم نؤد الذي علينا نحوها.. فكيف نترك ونهمل هذا الجهاد الدفاعي المفروض علينا، لنتحدث عن جهاد هجومي نظري لا طائل ورائه؟

٢– إن المقصود من هذا الجهاد الهجومي – عند القائلين به – هو إزاحة الأنظمة الطاغوتية، لكي لا تشكل حاجزاً، وتمنع تبليغ دعوة الله.. وهذا الحاجز لا وجود له اليوم.. ونحن – مع ذلك – أشد الناس تقصيراً في الاستفادة من الوسائل الإعلامية الهائلة، التي وفرتها الحضارة الحديثة في التبليغ والدعوة.. فكيف نهمل ونقصّر فيما هو واجب اليوم، وما هو في مقدورنا واستطاعتنا، لنتحدث عن جهاد هجومي لإزاحة الأنظمة الطاغوتية التي لا تسمح بنشر الدعوة؟!

٣– إننا عالة على غيرنا في القوة العسكرية.. والذين نريد أن نجاهدهم جهاداً هجومياً، هم الذين يصنعون السلاح ويزودوننا به.. ولولاهم لكنا عزلاً لا نقدر

على شيء! فما معنى أن نتحدث عن الهجوم لإخضاع العالم لرسالتنا، ونحن لا نملك من السلاح إلا ما ملكوه لنا، وسمحوا ببيعه إيانا؟

وهذه أسباب واقعية ومنطقية جداً.. تبيّن – في الحقيقة – مدى بعد تلك الآراء التي تتحدث عن (الجهاد الهجومي)، و(دار الإسلام، ودار الحرب)، عن تفهّم الواقع، واستيعاب معطياته! فضلاً عن مصادمتها للأدلة الشرعية، كما رأينا. ولكنّا مع ذلك لا نوافق الدكتور (القرضاوي) على ما ذهب إليه من أن طرح مثل هذه الآراء هو من باب الجدل والمراء غير المنتج.. فليس الموضوع – كما نرى – ترفاً فكرياً، بل هو مما يساهم في تكوين العقلية المسلمة اليوم، ويعين على وضوح الرؤية، ويؤثر في طريقة التفكير والنظر، ويحدد الأساليب والوسائل التي ينبغي أن تتبعها الحركات والأنظمة الإسلامية، كما يبلور استراتيجياتها وخطط عملها الدعوية والسياسية.. ولذلك فإننا نعجب أن توضع مثل هذه الأبحاث في خانة الجدل الذي لا ضرورة له، ونرى – على العكس– ضرورة التصدي لمثل هذه الأفكار، التي تستند إلى تراث فقهي وفكري كبير، لا بد من تقويمه، وتجديد النظر فيه..❑

الهوامش:

(١) انظر: التفسير المنير – د. وهبة الزحيلي، ج٢، ص١٨٤، ص١٧٨" تفسير المنار، م١٠، ص١٦٦–١٦٨.

(٢) التفسير المنير – الزحيلي، ج٢، ص١٨٤، مجموعة بحوث فقهية – عبدالكريم زيدان، ص٦١.

(٣) الجهاد في سبيل الله – د. القادري، ج١، ص١٨٨.

(٤) التفسير المنير – الزحيلي، ج١٠، ص١١١.

(٥) التفسير الكبير – الفخر الرازي، م٨، ج١٥، ص٢٢٥.

(٦) التفسير الكبير – الرازي، م، ج٥، ص١٢٨" وكذلك تفسير ابن كثير، م٢، ص٣٩٣.

(٧) انظر مثلا: الإسلام – سعيد حوى، ص٤٠٤" الجهاد – محمد نعيم ياسين، ص٥٤" التفسير المنير، ج١٠، ص٦١.

(٨) انظر: الجهاد في الإسلام – البوطي، ص٥٣–٥٤.

(٩) وانظر: أحكام الذميين – د. عبدالكريم زيدان، ص٢٦–٢٧، وتفسير المنار، م٢، ٢٠٩. وانظر كذلك: تفسير ابن كثير: حيث يفسر {واقتلوهم}، عند كلامه عن قوله تعالى في سورة البقرة/ ١٩١: {واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم}، يقول: "أي لتكون همتكم منبعثة على قتالهم، كما همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادكم التي أخرجوكم منها، قصاصاً".

(١٠) تفسير المنار، م١١، ص١٢٤–١٢٥.

(١١) الجهاد في الإسلام – البوطي، ص٩٩.

(١٢) الجهاد في الإسلام – البوطي، ص١٠٠–١٠١، ويشير الدكتور البوطي إلى أنه لم يجد من أثبت أو قال بأن هذه الآيات سابقة في النزول على (آية السيف)، حتى يصح الادعاء بأنها منسوخة بها.

(١٣) التفسير الكبير – الفخر الرازي، م٨، ج١٥، ص٢٢٦–٢٢٧.

(١٤) الجهاد في الإسلام – البوطي، ص١٠١.

(١٥) الجهاد في الإسلام – البوطي، ص٦٠، ص١٠١.

(١٦) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ج٢، ص١٨٠.

(١٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، م١، ص٢٨٣.
(١٨) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ج٢، ص١٨٠.
(١٩) تفسير المنار، رشيد رضا، م١، ص١٤١.
(٢٠) تفسير المنار، م٢، ص٢١١.
(٢١) تفسير المنار، م٢، ص٢١١.
(٢٢) تفسير المنار، م٢، ص٢١٠.
(٢٣) الجهاد في الإسلام، البوطي، ص١٠٤.
(٢٤) الجهاد في الإسلام، البوطي، ص٦٠.
(٢٥) الجهاد في الإسلام، البوطي، ص٦١.
(٢٦) أحكام الذميين، د. عبدالكريم زيدان، ص٢٦-٢٧.
(٢٧) تفسير المنار، م١٠، ص٢٨٠.
(٢٨) أحكام الذميين، عبدالكريم زيدان، ص٢٨-٢٩.
(٢٩) أحكام الذميين، عبدالكريم زيدان، ص٢٩-٣٠، ويشير في الهامش إلى (زاد المعاد ج٢، ٢٢٤).
(٣٠) تفسير المنار، م١٠، ص٢٨١.
(٣١) مجلة التضامن/ العدد (٥١) ١٩٨٤/٣/٣١. (مقال محمد جلال كشك).
(٣٢) تفسير المنار، م٢، ص٢١٦.
(٣٣) مجلة التضامن، مقال لمحمد جلال كشك/ العدد (٥١) ١٩٨٤/٣/٣١.
(٣٤) تفسير المنار، م١٠، ص١٤١.
(٣٥) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩١، ص١٠٠-١٠٢.

المصادر والمراجع:

١- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

٣- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٤- تفسير روح المعاني، الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

٥- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٦- الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٧- الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٠.

٨- مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبدالله دراز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٩- الإسلام، سعيد حوى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٩٧٩.

١٠- الجهاد في سبيل الله، د. عبدالله بن أحمد القادري، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.

١١- فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣.

١٢- غاية المراد في قضايا الجهاد، علي بن الحاج، منشورات الجبهة الإسلامية للانقاذ، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

١٣- مجموعة بحوث فقهية، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، الطبعة الثانية، ١٩٧٦.

١٤- أحكام الذميين والمستأمنين في الإسلام، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، الطبعة الثانية، ١٩٧٦.

١٥- نظام الحكم في الإسلام، تقي الدين النبهاني، سلسلة منشورات الراية.

١٦- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، مكتبة المعارف، بغداد، الطبعة الخامسة، ١٩٩٠.

الكورد السوريون والحركة السياسية

د. فرست مرعي

في مدينة عامودا الواقعة في الجزيرة السورية أجبرت سلطات الاحتلال الفرنسي أعضاء المنظمة الوطنية الكوردية (خويبون) المؤسسة في العام ١٩٢٧م، والمؤلفة بصورة رئيسة من مثقفين ذوي خلفيات ارستقراطية وعشائرية على الإقامة هناك، فكان أن جعل الشيوخ الصوفيون من نشاطات هذه المنظمة بين صفوف سكان بلدة عامودا أمراً أقرب إلى الاستحالة، من خلال إدانة نزعتهم القومية والعلمانية. وكان الشيوخ القادريون على وجه التحديد الذين كانوا جميعاً من السادة، وبالتالي يعدون أنفسهم من أصول عربية لا كوردية، يرددون على مسامع الحاضرين أن الاسلام لا يعرف سوى أمتين: أمة المؤمنين، وأمة الكافرين، وكانوا يعدون النزعة القومية الكوردية التي تدعو لها (خويبون) مؤامرة علمانية لتقسيم أمة الاسلام، على أساس وجود تقارب بين الأخيرين وبين اليزيديين الكورد ونخبة من رجال الدين النصارى المهجرين إلى سوريا قادمين من تركيا، والمدعومين من ضباط مخابرات فرنسيين، ومن المرسلين الدومنيكان الفرنسيين الذين كان لهم في تلك الحقبة نشاط تنصيري وثقافي واجتماعي ملحوظ بين

الأقليات الدينية والإثنية في منطقة الجزيرة السورية.

وبخصوص الحياة السياسية في المجتمع الكوردي في سوريا فقد نشطت جمعية خويبون (= الاستقلال)، وكانت الأخيرة تضم جيل الرواد من المثقفين الكورد من أمثال: الأخوين جلادت عالي بدرخان وكاميران عالي بدرخان، اللذين هربا من البطش الكمالي التركي، وقدري جان وعثمان صبري، وحاجوأغا زعيم تحالف الهفيركان العشائري، وممدوح سليم، وجكر خوين (= الشاعر) وغيرهم. وكانت هذه الجمعية تنشط على مستوى عموم كوردستان غير أنه لم يكن لها تأثير كبير على المجتمع الكوردي بالنظر إلى أنها كانت محصورة ضمن بعض القوميين من مثقفي النخبة ومن زعماء العشائر والبكوات، إضافة إلى أن أسلوب عملها لم يكن يساعد على إنهاض المجتمع الكوردي، وفق رأي أحد السياسيين الكورد من المحسوبين على اليسار (= قاسملو)، ولكن الحقيقة انها استطاعت إيقاظ الشعور القومي على أقل تقدير في غرب كوردستان، إن لم يكن في جميع أرجاء كوردستان.

أقبل الشعب الكوردي في سوريا بشكل واسع على الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي السوري، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وبداية استقلال سوريا، لأن كثيرين من الكورد رأوا في الحزب المذكور طريقاً للخلاص القومي، وكان وجود (خالد بكداش) الكوردي على رأس الحزب الشيوعي السوري يشجع على ذلك، وقد لعب الحزب الشيوعي السوري فيما بعد دوراً كبيراً في تعزيز مبادئ الماركسية والعلمانية بين الجماهير الكوردية، مما كان له الأثر الكبير في زعزعة إيمان عدد كبير من المثقفين الكورد، وكان له تداعيات خطيرة فيما بعد على الساحة السياسية الكوردية، لأن غالبية الأحزاب الكوردية السورية تكاد

تكون قد خرجت من رحمه، رغم أن قسماً منها حاول النضال من أجل نيل الحقوق القومية الثقافية والسياسية للكورد، إلا أنها استندت في طروحاتها ونظرياتها على الأسس الماركسية اللينينية، الموضة الشائعة آنذاك في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث كان الخلاف في مجمله حول طرح أولويات النضال القومي على النضال الطبقي عند النخبة الكوردية التي كانت إلى حد كبير تتفهم الواقع الكوردي أكثر من الشيوعيين السوريين.

وتم تأسيس أول تنظيم سياسي كوردي باسم (الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا) في ١٤ /٦/ ١٩٥٧م، واستطاع هذا الحزب في زمن قياسي أن يجمع حوله أوسع قطاعات الكورد في سوريا، وقد تعرض للملاحقة بدءاً من مرحلة الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨-١٩٦١م، ومروراً بحقبة حكم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي سيطر على مقاليد الأمور في سوريا اعتباراً من شهر آذار عام ١٩٦٣م ولغاية الآن. ولأسباب موضوعية فقد انقسم هذا الحزب في ٥ آب ١٩٦٥م إلى حزبين يسار ويمين.

ويبدو من سياق تاريخ مجمل الأحزاب الكوردية السورية أن إنشقاقاتها وتشظياتها إلى أحزاب وحركات جديدة، كانت تعددية مفرطة لا تتفق مع ضرورات واحتياجات الكورد، ويبدو أن التفسيرات المختلفة للنظرية الماركسية اللينينية وتطبيقها على الواقع الكوردي كان أحد الأسباب المهمة، فضلاً أن العامل الذاتي لعب دوراً في ذلك، كل ذلك كان على حساب الإسلام كدين ونظام حياة، لأن خمسينيات وستينيات القرن العشرين أفرزت تحولات اقتصادية واجتماعية مهمة، لا سيما بعد الوحدة المصرية – السورية ١٩٥٨-١٩٦١م، وظهور المد القومي العربي الذي نادى به جمال عبدالناصر في خطاباته، مما أدى إلى تقوية الوعي القومي الكوردي بصورة غير مباشرة، هذا الوعي الذي تلقى عوناً من أخبار الحركة الكوردية التي قادها الزعيم الكوردي العراقي الملا مصطفى البارزاني ضد الحكومة العراقية عام ١٩٦١م وما بعدها.

وقد تكررت ظاهرة الانقسامات في الحركة الكوردية في سوريا في العقود الأخيرة. ويوجد الآن على ساحة العمل السياسي الكوردي أكثر من ثلاثين حزباً سياسياً.

إن تنامي النزعة القومية الكوردية المؤسسة على الأفكار اليسارية والعلمانية، أدى إلى فقد الشيوخ الصوفيين نفوذهم أمام هذه التطورات، لا سيما وأن التصوف بموروثه العقائدي والطرقي وإلى حد ما الخرافي لا يستطيع مواجهة الأفكار العلمانية،

لأن الكثير من أبناء الشيوخ أنفسهم انتموا إلى حركات وأحزاب يسارية كرد فعل على النهج غير العلمي والعقدي للشيوخ ومريدي تلك الطرق، وهذه تتم مواجهتها فقط عن طريق العقيدة الإسلامية الصحيحة التي كانت في بدايات نهوضها في تلك الحقبة في المنطقة الكوردية، والتي لم تستطيع إكمال مشوارها أو الوقوف على قدميها، لأن الانقلاب البعثي في سوريا عام١٩٦٣م وقف عقبة كأداء في وجه الصحوة الإسلامية المتنامية في سوريا (= الإخوان المسلمون تحديداً)، ووجه لها ضربات قوية لا سيما في عقود السبعينيات أيام التصويت على الدستور، والثمانينيات من القرن العشرين (= مجزرة حماه عام ١٩٨٢م وتدمر مثالين على ذلك)، وكانت لها تداعياتها الخطيرة على مجمل الساحة السورية عامة والكوردية خاصة.

موقف النظام العلوي من الكورد السوريين

في الوقت الذي كان النظام العلوي السوري يحارب الحركة القومية الكوردية السورية، ويلغي الهوية الكوردية، ويمنع تجنيس آلاف الكورد بالجنسية السورية التي حرموا منها في عهده وعهد سلفه، ويلقي بقياداتها وكوادرها في السجن، كان يمنح تسهيلات ومساعدات كبيرة للأحزاب الكوردية العراقية العلمانية والإسلامية على حد سواء، التي كانت تناضل ضد نظام صدام حسين في العراق من أجل الحقوق الكوردية، حيث سمح لمجاميع منهم بالتدريب في معسكرات الجيش السوري، وسهل لهم نقل السلاح المرسل إليهم من ليبيا القذافي وجهات أخرى، والموافقة على إقامة بعض قياداتهم وكوادرهم العليا في دمشق والقامشلي وفتح ممثليات لهم فيها، مع توفير ضمانات الإقامة والسكن والتنقل من وإلى إيران وليبيا والدول الأوروبية.

في نفس الوقت كانت هناك خلافات أيضاً بين النظام السورى والنظام التركي بسبب فقدان لواء الإسكندرونة السوري عام ١٩٣٩م ، والخلاف حول السدود العديدة التي أنشأتها تركيا على نهر الفرات، مما أدى إلى تذبذب مناسيب المياه القادمة إلى سوريا، كمنسوب مياه نهر الفرات الذي يتدفق إلى الأراضي السورية قادماً من تركيا، لذلك قام الرئيس السورى العلوي حافظ الأسد باحتضان قيادة حزب العمال الكوردستاني التركي التي فرت إليها عام ١٩٨٠م بعد اشتداد الحملة الأمنية التركية ضدهم، وقدم للحزب ولزعيمه (عبدالله اوجلان) كل الإمكانيات المتوفرة، مما ساعد الحزب على تعزيز قواعده وشن هجمات ناجحة في العمق التركي. وقد وفرت السلطات السورية كل

التسهيلات بما فيها إقامة قواعد التدريب له في سوريا وفي سهل البقاع اللبناني حيث مقر القيادة وقاعدة التدريب الرئيسة، اعتباراً من عام ١٩٨٤م، مع الدعم اللوجستي لشن هجماته على الأراضي التركية. وفضلاً عن ذلك كان يغض النظر عن التحاق الكورد السوريين بصفوف حزب العمال الكوردستاني التركي بغية مقاتلة النظام التركي أيضاً، وعندما رفع حزب العمال في البداية شعار كوردستان مستقلة، تمتع بتعاطف كوردي كامل في سوريا، ولم يجد صعوبة في تجنيد الكثير من الشباب في جو مشحون بالحماسة القومية ونسبة عالية من البطالة، وكانت السلطات السورية الأمنية تغض النظر عن التحاق هؤلاء الشباب بالحزب بناء على تعليمات القيادة السورية. إنها لعمر الحق مفارقة؟ وهكذا استطاع الرئيس السورى (العلوي) بذكاء شديد أن يصدر المشكلة الكوردية إلى خارج حدود بلاده (أي ترك الكورد والعرب والترك (= جميعهم من أهل السنة، يتصارعون فيما بينهم)، وذلك باستخدام الكورد كورقة ضغط على تركيا من اجل حل مشكلة توزيع مياه نهر الفرات، وإبعاد أي ضغوط على النظام العلوي الحاكم.

وقد سمح حافظ الأسد بدخول ستة أكراد إلى البرلمان السورى فى عام ١٩٩٠م، وهم بالدرجة الأولى أعضاء في الحزب الشيوعي السوري الذي تربطهم به علاقات إثنية تقليدية، وكان الأخير عضو في الجبهة الوطنية التي شكلها حزب البعث مع بعض الأحزاب السائرة في فلكه كتجميل لوجهه القبيح أمام أنظار العالم، وقد زاد عددهم فيما بعد ليصل إلى ٣٨ عضواً، وذلك فى إشارة إلى أنه ليس عنصرياً، ويتعامل مع الكورد السنة بشكل علماني، وهو ما روج له كثيراً.

ومع ذلك لم يسمح حافظ الأسد مطلقاً بعودة الـ ١٤٠ ألف كوردي إلى ديارهم في محافظة الجزيرة، وهو بذلك كشف عن الوجه الآخر لعنصرية وطائفيته كما لم يسمح لأكراد سوريا بإنشاء جمعيات أو نقابات كوردية. أيضاً رفض النظام السورى السماح للكورد بإنشاء مدارس كوردية، على غرار المدارس المسيحية للأرمن والسريان والكلدان، ومن ثم حرمانهم من التحدث بلغتهم الخاصة، في الوقت الذي يسمح بالتحدث باللغات الاجنبية غير العربية.

المشروع الوطني الكوردي قبل الانتفاضة السورية

تنطلق كل الأحزاب الكوردية في سوريا من الأرضية السورية، وتعتبرها ساحة نضالها الرئيسة مع التنويه بأن انطلاقها من الأرضية السورية لا يعني عدم تعاطفها مع أبناء

جلدتها في كوردستان العراق وتركيا وإيران وبشكل عام مع الكورد في جميع أماكن وجودهم.

كما تعتبر الكورد في سوريا جزءاً من الشعب السوري، ولا تستخدم معظم الأحزاب الكوردية في سوريا تعبير كوردستان سوريا إلا أخيراً (= روز آفا)، بل تعتبر غالبيتها نفسها جزءاً من الحركة السياسية الوطنية والتقدمية والديمقراطية في سوريا، وتحدد أسلوب عملها بالنشاط السياسي الجماهيري الديمقراطي السلمي، وبربط نضالها مع نضال كل الوطنيين والتقدميين والديمقراطيين في سوريا على اختلاف انتماءاتهم، وهي تؤكد أنها لن تنجر إلى أساليب العنف، بل إنها ترفض وتدين بشدة كل أشكال العنف، وكل أشكال الانتقام والحروب الأهلية.

وتطالب هذه الأحزاب بتأمين حقوق الكورد القومية المتمثلة في الحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية في إطار الوطن السوري، وعدم التمييز بين المواطنين على أساس الدين أو الجنس أو العرق، وإلغاء تطبيق القوانين الاستثنائية ولا سيما المرسوم التشريعي رقم ١٩٣ وغيره من الإجراءات والتدابير التي تؤدي إلى عرقلة التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للشعب الكوردي، إضافة إلى سلسلة من القرارات والأوامر الإدارية التي لا يمكن حصرها، كما تناضل من أجل إطلاق الحريات الديمقراطية كحرية التعبير وحرية الصحافة.

ورغم ما حدث في مارس/آذار ٢٠٠٤ فيما يعرف بأحداث القامشلي فإن الحركة الوطنية الكوردية في سوريا لا تعتبر نفسها حركة قومية كوردية فقط وإنما تطرح نفسها كحركة وطنية على مستوى سوريا وكحركة تقدمية وكحركة ديمقراطية في آن واحد، وهي تربط نضالها القومي بالنضال الوطني السوري العام، بمعنى أن همها ليس فقط هماً قومياً كوردياً، وإنما هماً وطنياً سورياً أيضاً.

وهذه الحركة تعتبر أحداث القامشلي فتنة أقدمت على افتعالها جهات محدودة من السلطة حينما أوصلت الأمر إلى استعمال الرصاص الحي ضد المواطنين الكورد في ملعب كرة القدم بالمدينة، مما أدى إلى الهبة الشعبية للجماهير الكوردية في كل مناطق وجودها، وقدمت تلك الجماهيرعشرات الشهداء ومئات الجرحى وحوالي ٥٠٠٠ معتقل استشهد بعضهم تحت التعذيب.

وينبغي القول إن كافة الأحزاب الكوردية في سوريا محظورة وغير مرخص لها لعدم وجود قانون للأحزاب في سوريا، وهي تمارس نشاطها بشكل سري، غير أنه من المعروف أن أغلبية الأحزاب السورية، ومن

بينها الكوردية، أصبحت تعمل بشكل علني منذ عام ٢٠٠٠م، ولهذا السبب قلما تخلو السجون السورية من المعتقلين السياسيين الكورد بسبب قيامهم بأنشطة سياسية مثل القيام بالاعتصامات في العاصمة دمشق أو تنظيم الاحتفالات والندوات السياسية... إلخ.

وتبذل الحركة الوطنية الكوردية جهداً كبيراً من أجل تعزيز التلاحم الوطني بين الكورد وغيرهم من أبناء الشعب السوري بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية، ويمكن القول إنها تحقق تقدماً ملحوظاً في هذا الاتجاه، بالرغم من صعوبة إيصال خطابها السياسي وتعقد الأوضاع الداخلية، كما يمكن القول أيضاً إن مختلف مكونات الشعب السوري والقوى السياسية في سوريا قد بدأت مرحلة جديدة تتميز بالتفهم والواقعية للواقع الكوردي.

والحركة الوطنية الكوردية في سوريا ترى أن حل القضية الكوردية في سوريا يتم في دمشق وليس في مكان آخر، وأنه مرتبط تماماً بحل المسائل الديمقراطية لباقي أبناء الشعب السوري، وتكرس هذه الرؤية في الممارسة العملية، وهكذا فأن مواقفها هذه تنعكس بشكل إيجابي على كل الوطنيين السوريين على اختلاف أطيافهم.

خارطة الأحزاب السياسية الكوردية في سوريا بعد الانتفاضة

بعد الانتفاضة السورية في ١٥آذار ٢٠١١م صدر قانون جديد للأحزاب يتيح للمرة الأولى التعددية السياسية وإنشاء الجمعيات والأحزاب السياسية، كما صدر دستور الجديد ينهي هيمنة حزب البعث على السلطة.

الأحزاب المحظورة وغير المرخصة تعمل بشكل سري وبدرجات مختلفة من التسامح من قبل الأطراف الحكومية، الأحزاب الكوردية والآشورية عليها رقابة، أما الرقابة الأشد فهي على الأحزاب الإسلامية، على سبيل المثال يعاقب القانون بالإعدام من ينتسب لجماعة الإخوان المسلمين السورية، وينصّ القانون على إجبار الأحزاب تبني رؤية الدستور للجمهورية، بما فيها القومية العربية رغم وجود أحزاب ترفض هذه الفكرة مثل الحزب السوري القومي الاجتماعي.

تتألف الحركة السياسية الكوردية في سوريا من ١٢ حزباً كوردياً، وكذلك من ٣ أطر سياسية جامعة، إضافة إلى عدد من الأحزاب الأخرى خارج الأطر المذكورة وهي:

أولا: المجلس السياسي الكوردي في سوريا، ويضم حالياً ٨ أحزاب كوردية، ويعتبر الإطار الرئيس الذي يضم معظم

عبد الحكيم بشار

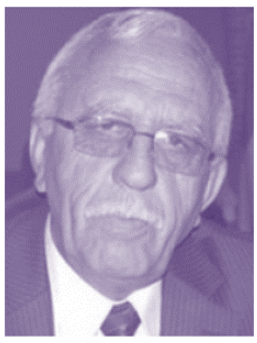
محمد موسى محمد

اسماعيل حمي

أطراف الحركة الكوردية في سوريا، حيث تمكنت الحركة لأول مرة في عام ٢٠٠٩م من تأسيس ائتلاف عريض كهذا الذي يتألف من:

١- الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا (البارتي) جناح الدكتور عبد الحكيم بشار، وهو قريب من الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي برئاسة مسعود البارزاني وحليفه التقليدي في مختلف المراحل. بارتب.

٢- الحزب اليساري الكوردي في سوريا: يقوده محمد موسى محمد، وهو حزب علماني تأسس في ٥ أغسطس (آب) ١٩٦٥. ويعتبر المرحوم عثمان صبري الذي أسس أول حزب سياسي كوردي في سوريا عام ١٩٧٥ رمزاً لليسار الكوردي في سوريا، ولعموم المنحدرين من مدرسة اليسار الكوردي في سوريا.

٣- حزب اليكيتي (=الاتحاد) الكوردي في سوريا: يقوده الآن إسماعيل حمي، ويتميز هذا الحزب بأن الأمين العام أو السكرتير فيه يتبدل بشكل دوري، بحيث يتولى أحد أعضاء المكتب السياسي هذا المنصب لمدة ٣ أو ٤ سنوات، وينفرد اليكيتي من بين الأحزاب الكوردية بهذا التقليد الديمقراطي، وهو حزب يساري التوجه وينحدر من المدرسة اليسارية نفسها.

٤- حزب آزادي الكوردي في سوريا: يقوده خير الدين مراد، المقيم خارج سوريا، في النرويج تحديداً، ويعتبر هذا الحزب أيضاً حزباً علمانياً وذا ميول يسارية، وينحدر من المدرسة ذاتها التي انحدر منها كل من اليكيتي واليساري الكوردي في سوريا.

٥- الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا (البارتي)، جناح نصر الدين إبراهيم، الذي يعتبر أكثر اعتدالاً، لكنه يعتبر بدوره

خير الدين مراد

نصر الدين إبراهيم

جمال شيخ باقي

تسعينيات القرن الماضي، ويتحالف مع البارتي، جناح الدكتور (عبد الحكيم بشار).

سليل مدرسة اليسار الكوردي، وبرز هذا الفصيل على الساحة حينما انقسم البارتي في نهاية ثمانينات القرن الماضي إلى فصيلين، إثر وفاة سكرتيره العام كمال أحمد آغا بحادث سير، ويرتبط جناح البارتي هذا بتحالف مع الحزب اليساري الكوردي.

٦- الحزب الديمقراطي الكوردي السوري، الذي يقوده جمال شيخ باقي: ويعتبر من الأحزاب المعتدلة في الحركة الكوردية، ويتميز بموضوعية طرحه وأفكاره السياسية وهدوئه وعدم انجراره إلى المعارك الجانبية الكوردية – الكوردية.

٧- حزب المساواة الديمقراطي الكوردي في سوريا: يتزعمه حالياً (نعمت داود). وانفصل هذا الحزب عن الحزب الديمقراطي التقدمي الكوردي في سوريا منذ

٨- الحزب الوطني الديمقراطي الكوردي في سوريا: يتزعمه طاهر صفوك، الذي انفصل عن حزب المساواة الديمقراطي الكوردي في سوريا بعد وقت قصير من انفصاله مع عزيز داود عن حزب عبد الحميد درويش، ويتحالف بدوره مع البارتي، جناح الدكتور عبد الحكيم بشار.

ثانيا: أحزاب المجلس العام للتحالف الديمقراطي الكوردي في سوريا، ويتألف من حزبين فقط، وهما:

١- حزب الوحدة الديمقراطي الكوردي في سوريا: ويتزعمه محيي الدين شيخ آلي، الذي انفصل عن(البارتي) حينما كان موحداً منذ ثمانينيات القرن الماضي.

٢- الحزب الديمقراطي التقدمي الكوردي في سوريا: ويقوده عبد الحميد درويش، وتربطه علاقة تحالفية مع حزب

نعمت داود

طاهر صفوك

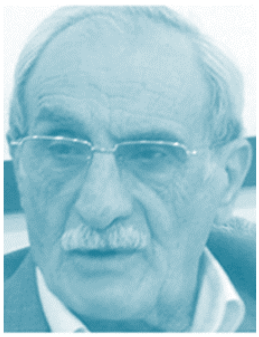
عبد الحميد درويش

الوحدة الديمقراطي إلى جانب عدد من المستقلين.

ثالثا: الأحزاب الخارجة عن الإطارين:

١- حزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي القريب من حزب العمال الكوردستاني، الذي يقوده حالياً (صالح مسلم)، ويطالب بالإدارة الذاتية لكورد سوريا، وهو حزب جماهيري كبير قياساً إلى باقي أحزاب الحركة الكوردية في سوريا.

٢- تيار المستقبل الكوردي في سوريا، الذي جمد عضويته في المجلس السياسي الكوردي في سوريا، وكذلك في مجموع الأحزاب الكوردية ويقوده (مشعل التمو) (اغتيل مؤخراً).

رابعاً: مجموع أحزاب الحركة الكوردية في سوريا، وهو إطار تشكل بعد انطلاق الثورة السورية الحالية في ١٥ مارس (آذار) الماضي، ويضم جميع الأحزاب الواردة أسماؤها أعلاه، عدا تيار المستقبل الكوردي. وأطلقت هذه الأحزاب مجتمعة مبادرتها الشهيرة من مدينة قامشلو الواقعة شمال شرق سوريا بُعيد انطلاق الاحتجاجات في المدن الكوردية، التي تنطوي على الرؤية الكوردية أو خارطة الطريق الكوردية، لحل المسألة السورية عامة والكوردية خاصة، على قاعدة الاعتراف الدستوري بالكورد، كثاني أكبر قومية في البلاد.

خامساً: أحزاب أخرى خارج الأطر الثلاثة، وهي أحزاب كثيرة، لكن لا يوجد إجماع من قبل الأحزاب المذكورة أعلاه بالاعتراف بها، الأمر الذي يبقيها خارج الأطر الكوردية، وكذلك أطر المعارضة الوطنية السورية أيضاً، وتبقى معزولة عن الحراك بسبب إشهار الفيتو في وجهها من قبل الأحزاب الأخرى، إذ يكفي استخدام حق النقض (الفيتو) من قبل أحد الأحزاب الـ١٢

التي سبق ذكرها بحق هذا الحزب الجديد أو ذاك، ليبقى معزولاً، حتى ينال رضا الجميع.

تتوزّع جماعات المعارضة الكوردية السورية بين ثلاث هيئات:

١- المجلس الوطني الكوردي في سورية.

٢- المجلس الوطني السوري.

٣- هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي.

ومع ذلك فإن أغلب هذه الجماعات أعضاء في المجلس الوطني الكوردي في سورية، الذي هو بمثابة مظلة تضم ستة عشر حزباً كوردياً سورياً.

كيفية تشكيل المجلس الوطني الكوردي

تشكّل المجلس الوطني الكوردي في سورية في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١، في أربيل بالعراق برعاية مسعود البارزاني رئيس إقليم كوردستان العراق. وقد حظي المجلس في البداية بدعم الأحزاب الكوردية التي كانت منضوية في السابق تحت لواء الجبهة الديمقراطية الكوردية، والتي كانت تضمّ أحد عشر حزباً سياسياً كوردياً سوريا. وقد أعقب تشكيل المجلس الوطني الكوردي كمظلة مُعارضة لنظام الأسد إنشاء المجلس الوطني السوري الجماعة المعارضة الرئيسة في المنفى في الشهر نفسه.

تتكون الجمعية العمومية من ٢٦ عضواً، خمسة عشر منهم من قادة الأحزاب الأعضاء في المجلس، وأحد عشر من المستقلين. يرأس الدكتور عبدالحكيم بشار الذي كان يشغل منصب الأمين العام للحزب الديمقراطي الكوردي في سورية (البارتي)، الهيئة التنفيذية للمجلس الوطني الكوردي. وتتولّى اللجان المختلفة مسألة التحاور مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي، والمجلس الوطني السوري، وهيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي. وهناك أيضاً لجان تتعامل مع قضايا التعليم والثقافة والشؤون الخارجية.

اعتباراً من أيار/مايو ٢٠١٢، أصبح المجلس الوطني الكوردي يضم ستة عشر حزباً كوردياً.

كانت العلاقات بين (المجلس الوطني السوري)، و(المجلس الوطني الكوردي) مضطربة منذ البداية. فقد رفض الرئيس السابق للمجلس الوطني السوري الدكتور (برهان غليون) الطلب الرئيس للمجلس الوطني الكوردي باعتماد الفيدرالية في سورية ما بعد الأسد، معتبراً أنه (وهم).

وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١ عرض المجلس الوطني السوري الاعتراف بالأكراد دستورياً كجماعة إثنية منفصلة في الدستور الجديد، وحلّ القضية الكوردية من

خلال "إزالة الظلم والتعويض على الضحايا، والاعتراف بالحقوق الوطنية الكوردية ضمن سورية موحّدة أرضاً وشعبا". وعلى رغم ذلك، وصلت المحادثات التي عقدها الدكتور (برهان غليون)، مع رئيس المجلس الوطني الكوردي السوري (عبد الحكيم بشار)، بحضور (مسعود البارزاني)، في (أربيل)، في كانون الثاني/يناير ٢٠١٢، إلى طريق مسدود.

الصراع بين الأحزاب والهيئات الكوردية

بقي هناك خلاف هام بشأن كيفية تعريف اللامركزية، والتي تم اقتراحها لمنح الحكم الذاتي للأكراد في سورية ما بعد الأسد. وفي حين يسعى المجلس الوطني الكوردي إلى تحقيق اللامركزية "السياسية"، وهو ما يعني حكماً ذاتياً رسمياً، رفض المجلس الوطني السوري التفاوض حول كل مايتجاوز اللامركزية "الإدارية"، وإزاء التزام (برهان غليون) رئيس المجلس السابق المتواصل باللامركزية الإدارية، علّقت جميع الأحزاب الكوردية (باستثناء حزب المستقبل الكوردي برئاسة فارس تمّو) عضويتها في المجلس الوطني السوري في أواخر شباط/فبراير ٢٠١٢م، وانضمّت إلى المجلس الوطني الكوردي، وقد بلغ التوتّر بين المجلس الوطني الكوردي والمجلس الوطني السوري ذروته في أعقاب نشر الأخير "الميثاق الوطني – المسألة الكوردية في سورية" في أوائل نيسان/أبريل٢٠١٢م. حيث استبعدت الوثيقة الصياغة التي تعترف بالأمة الكوردية داخل سورية والتي كانت واردة في مسودة البيان الختامي لاجتماع أصدقاء سورية في تونس. وقد دفع هذا الأمر المجلس الوطني الكوردي إلى الانسحاب من محادثات الوحدة مع المجلس الوطني السوري واتّهم تركيا بالتأثير على نحو غير ملائم في سياسات المجلس الوطني السوري، وعلى الرغم من ذلك، خفّف المجلس الوطني الكوردي مطالبته باللامركزية السياسية داخل سورية في أواخر نيسان/أبريل ٢٠١٢م، ووعد بالموافقة على برنامج سياسي مشترك مع بقية أطراف المعارضة السورية إذا تم قبول ما تبقّى من بنود في أجندته.لم تكن علاقات المجلس الوطني الكوردي مع تحالف المعارضة الرئيس الآخر (هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي) مختلفة كثيراً، إذ كان موقف الهيئة الأصلي يتوخّى "حلاً ديمقراطياً للقضية الكوردية في إطار وحدة الأراضي السورية لا يتعارض مع كون سورية جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي".

وفي شباط/فبراير ٢٠١٢م، انسحبت الأحزاب الكوردية التي كانت منضوية تحت راية هيئة التنسيق الوطنية للتغييرالديمقراطي،

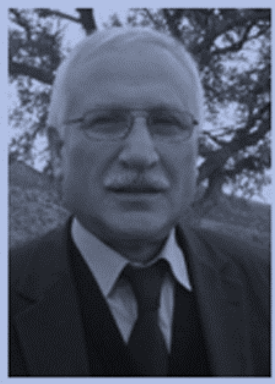

محيي الدين شيخ آلي

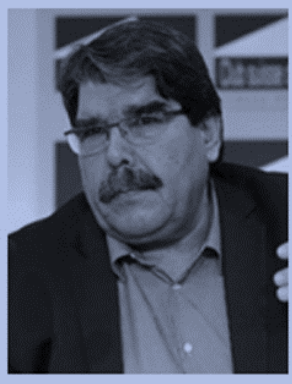

صالح مسلم

(باستثناء حزب الوحدة الديمقراطي الكوردي)، وانضمّت إلى المجلس الوطني الكوردي.

وفي نيسان/أبريل٢٠١٢م ليّنت هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي موقفها، وأيّدت تطبيق "مبادئ اللامركزية" في سورية المستقبل.

في ١١ حزيران/يونيو ٢٠١٢م، وقّع المجلس الوطني الكوردي اتفاقية تعاون مع مجلس شعب غربي كوردستان، وهي الهيئة التي أنشأها حزب العمال الكوردستاني في تركيا، وتتبع حزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي، المنافس الرئيس للمجلس الوطني الكوردي في سورية، وقد شكّل مجلس شعب غربي كوردستان والمجلس الوطني الكوردي مجلساً أعلى كوردياً مشتركاً في اتفاق تكميلي عقد في ١ تموز/يوليو٢٠١٢م، والتزما بإنشاء لجان أمنية وكذلك قوات دفاع مدني غير مسلّحة لحماية المناطق الكوردية.

مُثّل هذه الاتفاقات التي تمت برعاية مسعود البارزاني لمحاولة لتشكيل جبهة كوردية موحّدة في غرب كردستان، والتوصّل إلى حلّ لتقاسم السلطة بين المجلس الوطني الكوردي (المقرب من الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي)، وحزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي (المقرب من حزب العمال الكوردستاني)، ومع ذلك فإن الاتهامات التي وجهت إلى الأخير، حزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي، بشنّ هجمات جسدية ضد بعض المعارضين الأكراد في سورية، يشير إلى أن الاتفاق لا يطبّق على أرض الواقع، ويفسّر استمرار التوتّرات بين الفصيلين الكورديين الرئيسين.

العلاقات الدولية والإقليمية للمجلس الوطني الكوردي

المجلس الوطني الكوردي متحالف بشكل وثيق مع مسعود البارزاني وحكومة إقليم كوردستان العراق. ومع أن هذه الأخيرة

تعيش شهر عسل في علاقاتها مع تركيا، فإن المجلس الوطني الكوردي ينظر إلى الحكومة التركية بعين الشك والريبة ويتّهمها بالضغط على المجلس الوطني السوري لحمله على عدم الرضوخ لمطلب الحكم الذاتي الذي ينادي به المجلس الوطني الكوردي في سورية. ويعزو المجلس الوطني الكوردي ذلك إلى العلاقات الوثيقة بين حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا وبين جماعة الإخوان المسلمين السورية، والتي تعارض الفيدرالية بشدّة ويعتقد أنها تهيمن على المجلس الوطني السوري.

على الصعيد الدولي، يسعى المجلس الوطني الكوردي إلى تطوير علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والقوى الغربية الأخرى.

في أوائل أيار/مايو ٢٠١٢ زار وفد بقيادة الدكتور (عبد الحكيم بشار) البيت الأبيض ووزارة الخارجية الامريكية، لمناقشة مخاوف أكراد سورية مع مسؤولين أميركيين.

البرنامج السياسي للمجلس الوطني الكوردي

الاعتراف الدستوري بالهوية القومية الكوردية وبـ"الشعب الكوردي الذي يعيش على أرضه التاريخية".

إلغاء السياسات والقوانين المطبّقة على كورد سورية، بما في ذلك حظر استخدام اللغة الكوردية وإنشاء المدارس الكوردية، وتعويض المتضررين حتى الآن.

تحقيق اللامركزية السياسية (= الفيدرالية) في الحكم في سياق وحدة الأراضي السورية.

الخاتمة:

مما لاشك فيه أن مطالبات النخب الثقافية والناشطين في الأحزاب والحركات الكوردية زادت في الآونة الأخيرة، بعد المعاناة الشديدة مع النظام العلوي الطائفي الذي ألغى الهوية والثقافة الكوردية لأكثر من أربعين عاماً، حيث طالبوا بالحقوق السياسية الكوردية من خلال اللامركزية السياسية (= الحكم الذاتي أو الفيدرالية)، من خلال تقسيم سوريا إلى أربع مناطق أو فيدراليات تفي بمتطلبات الواقع القومي والطائفي للشعب السوري: إحداها للكورد في الشمال، والثانية للعلويين في الساحل وأجزاء من الوسط، والثالثة للدروز في الجنوب الغربي، والرابعة للعرب السنة في الوسط والشرق، وتم بهذا الخصوص نشر خرائط مخصوصة تظهر فيها مواطن وحدود هذه الفدراليات. ويبدو في الجانب آلاخر المعارض الذي يشدد على المركزية السورية، وأن أوان هذه المطالب يجب أن تمنح تحت قبة البرلمان، الذي سيشكل بعد تحرير سوريا من النظام الطائفي العلوي،

وأن البرلمان المنتخب هو الكفيل بمنح الحقوق لكافة الأطياف والأقليات السورية، وهذه المطالبات تعيد إلى الأذهان ما قام به الاستعمار الفرنسي من تشكيل الدول السورية في بداية عهد الانتداب الفرنسي في عقدي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

وختاماً يبدو أن إجابة أحد السياسيين الكورد المخضرمين حول دور الأحزاب الكوردية السورية في الانتفاضة السورية ما يضع النقاط على الحروف:

في حوار مع (اسلام اون لاين) أجرته مع المعارض والقيادي الكوردي السوري (صلاح الدين بدرالدين) مدير عام مؤسسة (كاوه)، أكد في جوابه على أحد الأسئلة المتعلقة بمدى مشاركة واندماج الأحزاب الكوردية السورية مع الثورة السورية، قال ما نصه: "قبل الإجابة المباشرة أود توضيح حقيقة تغيب غالباً عن الأذهان، وهي أن الحركة الوطنية الكوردية السورية لا تقتصر على الأحزاب فقط بل تشكل الأحزاب مجتمعة (التي تفوق الثلاثين حزباً) الجزء الأقل والأضعف ولا تمثل أكثر من ٥ إلى ٧٪ من المجتمع الكوردي، فالأحزاب لم تندمج بالثورة قراراً وتحضيراً وبرنامجاً وميدانياً ما عدا الحالات الفردية العابرة، والأكراد كشعب وكطبقات اجتماعية وفئات وشباب ومستقلين وحركات مجتمع مدني شاركوا الثورة منذ أيامها الأولى وقدموا التضحيات، بل إن بعض الأحزاب تعاقد مع نظام الاستبداد مثل ملحقات (حزب العمال الكوردستاني التركي) بمسمياتها المختلفة والبعض الآخر قرر اتخاذ موقف – الحياد – وانتظار من سينتصر، ومن الجدير بالذكر أن

معظم المحللين يعتبرون الأحزاب الكوردية السورية منتهية الصلاحية والمصداقية منذ هبة آذار الدفاعية عام ٢٠٠٤م والتي لم تتوفر شروط تحولها إلى انتفاضة وطنية شاملة بسبب عجز الأحزاب وتواطؤ قياداتها مع اللجنة الأمنية الموفدة وقتها إلى القامشلي بمشاركة الجنرالات: بختيار والمملوك ومحمد منصورة (وهي القيادات نفسها الآن لم تتغير) والتي اجتمعت في منزل القيادي في أحد الأحزاب السيد (حميد درويش)، ومن المفارقات أن المجلس الوطني الكوردي أو مجلس الأحزاب الكوردية التأم بنفس المكان وتحت أنظار البعض من اللجنة الأمنية تلك"❑

اعترافات قاتل اقتصادي

هفال عارف برواري

هكذا كتب (جون بيركنز)، عندما قام بنشر كتابه المثير للجدل، والذي أحدث زوبعة إعلامية، حين تحدث عن حقائق نفسه، وعن فريق عمله، وكيف يقوم النظام العالمي الإمبريالي الجديد بنهب ثروات الشعوب، وكيف بنوا أكبر إمبراطورية في العالم دون استخدام القوة، ولا إلغاء الحدود الجغرافية، وذلك باستخدام الأدوات الإقتصادية فقط، عن طريق استعباد البلدان الأخرى، وقادتها، والاتفاق معهم: أنهم لو أنجزوا ما نريده، فسيكونون مع عائلاتهم من الأثرياء جداً، وأغنى الأغنياء!! وإن لم يفعلوا ما نريد، فإذا حدث شيء غير مرغوب، فلا تلوموا إلا أنفسكم!! أي: استخدام مبدأ العصا والجزرة !

يقول (جون آدم) (١٧٣٥-١٨٢٦): "هناك طريقتان لقهر واستعباد أُمة، الأولى هي بحدّ السيف، والأُخرى هي عن طريق الديون".

يقول (جون بيركنز) في كتابه: إن القتلة الاقتصاديين مسؤولون حقاً عن خلق الإمبراطورية العالمية الأولى من نوعها، ولهم طرق متنوعة ومختلفة للسيطرة على الدول.. وغالباً ما يقومون بتحديد دولة ما، تمتلك ثروات، كالنفط، بحيث تثير رغبتنا، وتحفزنا للتحرك نحوها.. حيث نقوم بترتيب قرض ضخم لهذه الدولة من البنك الدولي، أو أي منظمات حليفة، لكن هذا المال لا يذهب فعلياً لها، بل يدخل في جيوب الشركات الكبرى، لبناء مشاريع البنية التحتية لتلك الدولة، كمحطات

توليد الطاقة، أو المجمعات الصناعية، أو الموانيء.. وقد يتبادر إلى الأذهان أنه شيء جيد، لكن حقيقة الأمر أن هذه الأموال لا تساعد الأغلبية من الشعب، بل عامة الناس يأنّون من الفقر والوضع المزري، والدولة تترك عبئاً ثقيلاً من الديون الضخمة، بحيث يكون من المستحيل سداده (وهذا هو جزء من الخطة)، والمرحلة التالية – كما يقول – هو عودتنا نحن القتلة الاقتصاديون لنوضح لهم الحقيقة كواقع، وهو أن الدولة مدينة لشركاتنا بأموال لا طاقة لهم بسدادها، لذا يفرض عليهم بيع النفط الخام لنا بدلاً من الأموال، وبالطبع البيع يكون بأرخص الأثمان! ويجب عليهم أن يسمحوا لنا ببناء قواعد عسكرية في أراضي الدولة ! أو يقوموا بدعمنا عسكرياً، في مكان نكون نحن بحاجة ماسة له! أو يصوتوا لنا في الأمم المتحدة، أو يوافقوا في خصخصة شركات الكهرباء، أو الماء والمجاري، وبيعها لشركاتنا الأمريكية، أو شركات دولية موالية لنا!! وبعد ذلك نعرض عليهم إعادة تحويل الديون، ودفع المزيد لهم، مع الفائدة، ومشروطة بأن يبقوا حكاماً صالحين!! ويتوجب عليهم بيع مواردهم، مع تمرير خدمات اجتماعية، وأحياناً نظم مدرسية، أو قوانين عقوبات، وأنظمة تأمين، أي: تكون الفوائد التي يجنونها فوائد مركبة بأضعاف مضاعفة!!..

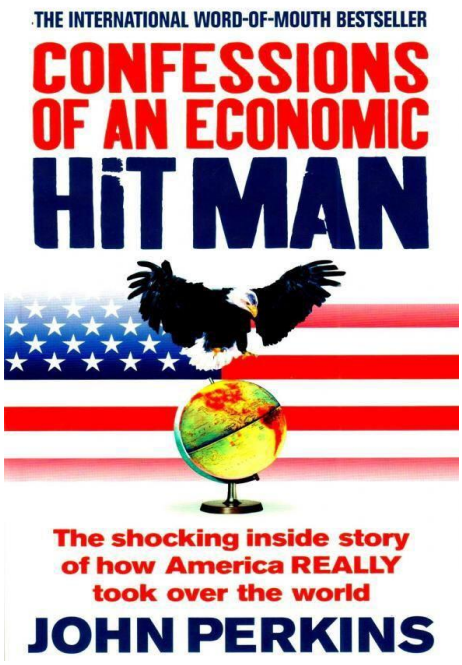

وفي الكتاب بدأ ببيان كيفية اختياره سنة ١٩٧١ للعمل في شركة (MAIN)، المختصة بالأعمال الهندسية، التي أصر عميلها الأكبر (وهو البنك الدولي!) على وجود رجال اقتصاد ضمن العاملين، تكون مهمتهم تقديم توقعات اقتصادية، يمكن استخدامها في تقويم الإمكانيات، وحجم المشروعات الهندسية. خلال فترة تدريبه في الشركة، وقبل أن يذهب لأولى مهماته، التقى بـ (كلودين)، التي كانت وظيفتها مستشار خاص في الشركة، وقد أوكلت لها مهمة تدريب (جون بيركنز) ليصبح قاتلاً اقتصادياً!! وأهداف العمل – كما قلنا –: أولا: اختلاق مبررات للقروض الدولية الكبيرة، التي ستعيد ضخ المال إلى (MAIN)، وشركات هندسية أخرى، من خلال مشروعات هندسية وإنشائية ضخمة. ثانيا: العمل على إفلاس تلك الدول التي أخذت القروض (بعد أن تكون قد سددت ديونها للشركة، وباقي المتعاقدين الأمريكيين)، بحيث تبقى هذه البلاد: ١– مدينة إلى الأبد. ٢– تصبح أهدافا سهلة، عندما تدعو الحاجة إلى خدمات (كإنشاء قواعد عسكرية، تصويت في الأمم المتحدة...إلخ). ٣– اتخاذها منفذاً إلى البترول، وباقي الموارد الطبيعية.

أما عن طبيعة تلك التقارير، فكان عليه أن يبرهن أن هذه القروض، والمشاريع المنفذه من خلالها، ستسهم في نمو اقتصادي، يتمثل في زيادة

الناتج الإجمالي القومي.. وللناتج الإجمالي القومي طبيعة مخادعه، فإن نموه قد يتحقق، حتى لو صبّ في مصلحة شخص واحد، أو حفنة من الأشخاص، يزدادون غنى، حتى لو أن غالبية السكان يقبعون تحت خط الفقر!.. لكن من الناحية الإحصائية البحتة، فذلك يعدّ نمواً اقتصادياً، حيث يزداد الناتج الإجمالي المحلي بثراء الأغنياء.

ومن مهمة القاتل الاقتصادي أيضاً: ٤- تشجيع زعماء العالم ليصبحوا جزءا من شبكة اتصالات واسعة، تروّج لمصالح الولايات المتحدة التجارية، وفي النهاية يقع هؤلاء القادة في شراك الديون، لضمان خضوعهم، ليتم الاعتماد عليهم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.. في المقابل، فهم يقومون بدعمهم كي يكون لهم مكانة سياسية قوية، ويدعمون بلدانهم اقتصادياً، وذلك - كما قلنا- بإنشاء محطات توليد كهرباء، ومنشآت صناعية، ومطارات، مما يعود هذا بالنفع على مكانتهم السياسية، والنفع الاقتصادي على شركات الإنشاءات الهندسية الأمريكية، حيث يكتسبون ثراءاً فاحشاً.

اعترافات القاتل الاقتصادي، أو الاغتيال الاقتصادي للأمم، هو إحدى الدراسات والأبحاث التي تبيّن لنا خفايا غائبة عنا، فبإمكان هؤلاء الخبراء المحترفين أن يسلبوا ملايين الدولارات من دول كثيرة، في كافة أنحاء العالم، ويحولوا المال من المنظمات الدولية، التي تقدم القروض والمساعدات، ليصبوه في خزائن الشركات الكبرى، وجيوب حفنة من العائلات الثرية، التي تسيطر على الموارد الطبيعية للكرة الأرضية.

ومن وسائلهم لتحقيق ذلك هو: ١- صناعة تقارير مالية ٢- تزوير الانتخابات ٣- الرشوة والابتزاز والجنس والقتل!!

يقدم الكاتب اعترافاته باعتباره قاتلاً اقتصادياً، يقوم برسم خطط لمشروعات اقتصادية في دول العالم الثالث، لبناء بنية تحتية، تتضمن ١- بناء محطات كهربية ٢- بناء سدود ٣- توسيع الطرق، وصيانة الموانئ. ويقوم بتمويل هذه الخطط والمشروعات، مؤسسات اقتصادية دولية. ويصبح كل هدف القاتل الاقتصادي هو إقناع حكومات دول العالم الثالث، بقبول قروض لبناء تلك المشروعات، وهذه المبالغ المقترضة يتم نقلها من البنك الدولي إلى البنوك الأمريكية، كي تتحمل حكومات دول العالم النامي دفع أعباء خدمة

الدين، الذي لم يدخل منه دولار واحد أرض الدولة. وتستغل (الولايات المتحدة الأمريكية) عجز الدولة عن دفع الديون، وفوائدها، لتدفع بتلك الدول إلى مدار الهيمنة الأمريكية، والتبعية الصريحة لسياساتها. وكلما نجح القتلة الاقتصاديون في إقناع الدول بالاقتراض من أجل بناء المشروعات، تمّ ترقية القتلة في سلمهم الوظيفي!!

ويعرض الكاتب في كتابه نماذج لهذه العمليات القذرة، مما قام به هو وزملاؤه في دول شتى، منها: الإكوادور وأفغانستان والعراق وبنما والسعودية وإيران وفنزويلا وأندونيسيا، وغيرها من البلدان.. نذكر هنا عدداً من هذه الدول، كأمثلة للدول التي تم قرصنة أموالها عبر القتلة الاقتصاديين:

(إيران):

كانت (إيران) هي الدولة التي حفزت (أمريكا) للتفكير في التوجه نحو فكرة القتلة الاقتصاديين، فقد ابتدأ الأمر كله من عام ١٩٥١، عندما تمردت (إيران) على شركة بترول بريطانية كانت تستغل موارد (إيران) الطبيعية، وشعبها. وردّاً على هذا الاستغلال، أعلن رئيس (إيران) المحبوب جماهيرياً، والمنتخب شرعياً: (محمد مصدق)، تأميم أصول البترول الإيراني، لينفق عائداته على شعبه. وهنا جنّ جنون (بريطانيا)، واستنجدت بحليفتها (أمريكا) لمساعدتها، ولكنهم كانوا يتخوفون من توجه (إيران) نحو المعسكر السوفيتي، وكانوا حذرين من التدخل العسكري المباشر، لأن هذا قد يستفز (الاتحاد السوفييتي)، ويتخذ موقفاً مسانداً لـ(إيران). وبدلاً من إرسال (المارينز)، أُرسل (كيرميت روزفلت)، عميل المخابرات المركزية، على وجه السرعة، والذي أدى دوره بمهارة شديدة، عندما أدخل ملايين الدولارات، واستطاع أن يكسب الناس، وأقنعهم بالرشاوى والتهديدات، وحرّضهم على تنظيم أعمال شغب، والسير في مظاهرات عنيفة، أدت إلى خلق انطباع بأن (مصدق) ليس محبوباً، وأنه غير كفء. وفي النهاية سقط (مصدق)، وأمضى بقية حياته في الإقامة الجبرية.. ولم تنته قصة (إيران) مع القتلة الاقتصاديين بعد، فـ(إيران) دولة غنية بالبترول، ومثلها مثل (السعودية)، لا يمكن أن تقع تحت طائلة الديون عند تمويلها لقائمة طموحة من المشاريع لإنجازها.. فحشدت (واشنطن)، وشبكة رجال الأعمال، قوتها، لتحويل (الشاه) إلى رمز للتقدم. كانت كل الظواهر تؤكد أن (الشاه) صديق تقدمي لكل الكادحين، ففي سنة ١٩٦٢ أمر بتقسيم قطاع كبير من الأراضي المملوكة لبعض الأفراد، وتوزيعها على الفلاحين، كما قام بثورة بيضاء للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية. ازدادت قوة (الأوبك) في سبعينيات القرن العشرين، وأصبح (الشاه) زعيماً عالمياً ذا نفوذ كبير. وفي الوقت نفسه، طورت فيه (إيران) جيشها، وأصبح من أقوى الجيوش في الشرق الأوسط. وأسهمت شركة (MAIN) في مشروعات، غطّت معظم مرافق الدولة، بداية من المناطق السياحية، وحتى إمدادات القوات العسكرية السرية. وكانت الأعمال مركزة على تقدير إمكانيات تلك المناطق، ومن ثم تصميم الأنظمة الكهربية، وتوزيع القياسات التي ستمد البلد بكل الطاقة المطلوبة لدعم التنمية الصناعية والاقتصادية التي تحقق تلك التوقعات.

العراق:

كان من قرارات الإدارة الأمريكية، في عهد (رونالد ريغن)، وكذلك في عهد (بوش) الأب، هو

تحويل (العراق) إلى نسخة أخرى من (السعودية)، فقد كان وجود القتلة الاقتصاديين في (بغداد) قوياً خلال الثمانينيات، واعتقدوا أن (صدام) في نهاية المطاف سيتبع المنهج الأمريكي، حيث في حالة اتفاق (صدام) مع (أمريكا)، كما هو الحال في (السعودية)، فبإمكانه أن يوقّع عقداً نهائياً لحكم بلاده، وفي هذه الحالة كانت (أمريكا) ستغضّ الطرف عن ممارساته الدكتاتورية، مع ما فيها من مجازر جماعية في الشمال والجنوب، بل كانت ستغضّ الطرف عن طموحاته التوسعية، بشرط تأمين (أمريكا) أنه سيستمر في إمدادها بالنفط، مع القروض التي ستأخذها الشركات الأمريكية، لتقوم بتحسين أنظمة البنية التحتية في العراق، وإنشاء مدن جديدة، وبناء محطات طاقة نووية، وكيميائية، حتى إذا كان من المحتمل استخدام تلك التقنيات في صناعة أسلحة متقدمة، ما دام سيمدّ (أمريكا) بالبترول، وسيثري شركاتها الكبرى. ولا تقتصر أهمية (العراق) على البترول فقط، بل ثمة أيضاً موارد المياه، والمكانة الجيوسياسية. فقد سعت الشركات الضخمة مؤخراً لخصخصة المياه، وامتلاك العراق لنهرين كبيرين يمران في أرضه، جعله من أهم المصادر الطبيعية للمياه في هذا الجزء من العالم. أما من حيث موقعه الاستراتيجي، فهو يجاور (إيران)، و(الكويت)، و(السعودية)، و(تركيا)، ويطلّ بساحل طويل على الخليج العربي، والمدى الصاروخي للعراق يمكنه من إصابة أهداف حيوية، ابتداء من (إسرائيل)، وحتى جمهوريات (الاتحاد السوفيتي) السابق. فمن يسيطر على عراق اليوم، يمتلك مفاتيح السيطرة على الشرق الأوسط!.

أما (صدام حسين)، فقد بدا جلياً أنه لم يبتلع طعم القتلة الاقتصاديين، مما سبّب لإدارة (بوش) خيبة أمل كبيرة، أدت إلى إضعاف صورة (بوش) داخلياً. وبينما كان (بوش) يبحث عن حل، قام باستدراجه لغزو (الكويت) سنة ١٩٩٠، وانتهزها فرصة، فأعلن شجبه لانتهاك (صدام) للقانون الدولي. ولم تكن مفاجئة حين أمر (بوش) بهجوم عسكري شامل على (العراق)، تحسنّت على إثره شعبية (بوش) عند ٩٠٪ من شعبه، وتمّ فيه تأديب (صدام). و في عام ٢٠٠٣، تم احتلال (العراق) للمرة الثانية، بعد فشل القتلة الاقتصاديين في إقناع (صدام) بلعب اللعبة (السعودية)، والتي تجيدها (أمريكا)، وهي عملية غسيل أموال بسيطة، تمنح من خلالها الشركات الأمريكية عقود بناء وصيانة وإعمار للمنشآت الصناعية، والمدن الكبرى، التي ستشيدها في سبيل استرجاع أموال البترول التي دفعتها (أمريكا).

(السعودية):

اتحدت الدول العربية، واتخذت موقفاً لمعاقبة (إسرائيل)، والدول التي تدعمها، مثل: (أمريكا)، في حرب أكتوبر الشهيرة، والتي اندلعت سنة ١٩٧٣. ولما كان النفط هو سلاحهم الوحيد، فقد قاموا باستخدامه، فقد ضغط الرئيس (أنور السادات) على الملك (فيصل)، ملك (السعودية)، للانتقام من (الولايات المتحدة)، وأعلنت (إيران) ودول الخليج الخمسة، بما فيها (السعودية)، زيادة سعر النفط بنسبة ٧٠ ٪، في ١٦ أكتوبر. أما في (الكويت)، فقد اجتمع رؤساء النفط لاتخاذ قرارات أكثر تشدداً، وقرروا التحرك للأمام بمزيد من الحظر، حيث بدأوا بتخفيض الإنتاج بنسبة ٥٪ كل شهر، حتى تجاب طلباتهم السياسية، فيما أعلنت بعض البلدان أنها ستخفّض الإنتاج بنسبة ١٠٪. وفي ١٧ أكتوبر عندما طلب (نيكسون)

من الكونغرس مبلغ ٢.٢ مليار دولار مساعدة لـ(إسرائيل)، قامت (السعودية) وباقي البلدان العربية المنتجة للبترول، بفرض حظر كامل على سفن البترول المتجهة للولايات المتحدة. انتهى حظر البيع في ١٨ مارس ١٩٧٤، وبالرغم من صغر فترة الحظر، إلا أنها كانت ذات تأثير هائل، فقد ارتفع سعر البرميل من ١.٣٩ دولار للبرميل في أول يناير عام ١٩٧٠، إلى ٨.٣٢ دولار في يناير ١٩٧٤. أما رجال السياسة والحكومة الأمريكية، فلم ينسوا مطلقاً الدروس التي تعلموها. وأيقنت (واشنطن) أنه من غير الممكن التسامح مع مثل ذلك الحظر مرة أخرى. أصبح حماية مصدر إمداد البترول لدى (الولايات المتحدة)، بعد عام ١٩٧٣، من أولى أولوياتها. هذا وقامت (الولايات المتحدة) بالبحث عن طرق لاستعادة أموالها المدفوعة في بترول (السعودية)، وأوجد نقص الهياكل الإدارية والتأسيسية في المملكة، والتي تمكّنها من إدارة ثرواتها إدارة صحيحة، ثغرة يمكن استغلالها من قبل القتلة الاقتصاديين.

أما الثروة التي حصلت عليها (السعودية) من ارتفاع عائدات البترول، وامتلاء خزائن الدولة بالمليارات، فقد كانت نقمة أكثر منها نعمة عليهم، فقد أدت إلى تقويض المعتقدات الدينية الوهابية الصارمة، وحلّ شكل جديد من الانغماس الدنيوي، بدلاً من المعتقدات الدينية المحافظة. وبدأ التفاوض مع السعوديين على مقايضة المعدات، والتدريبات العسكرية، والمساعدة التقنية، وفرصة النهوض ببلدهم إلى ركب الحضارة والإعمار، مقابل دولارات البترول، وأهمّ من ذلك: مقابل عدم حظر البترول مجدداً. وكان من نتائج المفاوضات: إنشاء وكالة التنمية الأكثر غرابة في التاريخ، وهي (اللجنة الأمريكية – السعودية للتعاون الاقتصادي)، التي عرفت بـ (JECOR). اعتمدت هذه اللجنة أسلوباً جديداً في برامج المساعدات المالية، فهي تعتمد على أموال (السعودية)، لتمويل الشركات الأمريكية، لإنماء (المملكة العربية السعودية). وفي مرحلة مبكرة من الشراكة، لجأت وزارة الخزانة للاستعانة بشركة (MAIN)، كاستشاري، واستدعي (جون بيركنز)، الذي كانت وظيفته التنبؤ بما قد يحدث في المملكة، إذا ما استثمرت الأموال الطائلة في الإنفاق على البنية التحتية. باختصار، فقد طلب منه تطبيق قدراته الإبداعية بأقصى ما يستطيع، لتبرير استنزاف مئات الملايين من الدولارات من أموال (السعودية)، بشرط إدراج شركات الهندسة والبناء الأمريكية.

في حالة (السعودية) فقط اختلف الهدف، فلم يكن الهدف، هذه المرة، هو إغراق البلد بالديون، بل استعادة أكبر قدر من دولارات البترول مجدداً إلى (الولايات المتحدة)، وجعل اقتصادها خاضعاً لمصالح (الولايات المتحدة). كما أن رجال الاقتصاد في منظمة (الأوبك)، ينصحون الدول المنتجة للبترول بإنتاج المزيد من المشتقات البترولية، لتعظيم القيمة المضافة، بدلاً من تصديره خاماً، وذلك بالطبع يحتاج الى مناطق صناعية ضخمة، لتقوم بتحويل البترول الخام إلى منتجات بتروكيماوية صالحة للتصدير، وبالطبع فإن هذه المناطق الصناعية ستتطلب إقامة محطات توليد للكهرباء، وخطوط للنقل والتوزيع، ووسائل مواصلات، متضمنة المطارات، والاستعانة بعدد كبير من الأشخاص للصناعات الخدمية والبنية التحتية الأساسية، لإدارة هذه المشاريع. كانت (السعودية) تمثل جنة للعاملين بمجال التخطيط

الاقتصادي والمنشآت الهندسية، دولة متخلفة تماماً، تمتلك عملياً ثروات مالية لا حدود لها، ورغبة في اللحاق بركب العصر الحديث من أوسع أبوابه. أما تبعية (السعودية) للولايات المتحدة، فيمكن ضمانها من خلال المشروعات الجديدة، التي ستتطلب صيانة مستمرة، وعمليات تحديث من وقت لآخر، وخصوصاً أنها مشروعات على درجة عالية من التقنية المعقدة، لضمان أن تتولى الشركات الأمريكية التي نفذتها، هي بنفسها، عمليات الصيانة والتحديث. كان (جون بيركنز) يعدّ قائمتين لكل مشروع، تتضمن إحداهما: التصميمات الهندسية المختلفة، وعقود المقاولات التي نتوقعها. والأخرى: عقود الصيانة والإدارة طويلة المدى. بالإضافة إلى التطور الاقتصادي، فإنه سيعقبه نمو صناعة أخرى، وهي صناعة أمن شبه الجزيرة العربية، فالشركات المدنية المتخصصة في الصناعات العسكرية، والهيئات الصناعية التابعة للجيش الأمريكي، سوف توقّع عقوداً سخية، بالإضافة لعقود صيانة. ووجود هذه الشركات سيتطلب مجدداً مشروعات هندسية، من بناء وعقارات ومطارات وقواعد عسكرية، وكل مشروعات البنية التحتية المرتبطة بمثل هذه المواقف. وبهذه المشاريع تتم عمليه غسيل نظيفة لأموال (المملكة العربية السعودية). كانت (السعودية) بالنسبة لهم كالبقرة الحلوب. وقد تمّ إقناع العائلة المالكة بشأن هذه الاستراتيجية الاقتصادية الجديدة، من خلال أحد ملوك الأسرة الحاكمة، وحينها وافقت الأسرة المالكة (السعودية) على العرض بأكمله، وكوفئت شركة (MAIN) بعقد مربح من أعلى مستوى، تحت إشراف وزارة الخزانة الأمريكية.

الإكوادور:

تمّ اقتطاع مدينة (شل) من غابات (الأمازون)، وبنيت لتخدم شركة البترول التي تحمل اسمها، ويوجد بها قاعدة عسكرية، أغلب سكانها من الجنود وعمال البترول، إضافة إلى السكان الأصليين، الذين يعملون لخدمة عمال البترول بالأشغال الشاقة والبغاء. كانت أول زيارة لـ(جون بيركنز) سنة ١٩٦٨، حيث تمّ اكتشاف البترول لأول مرة من قبل (شركة تكساسو)، في منطقة (الأمازون)، في (الإكوادور) – وكان أول انطباع له عن البلد بأنها مسالمة ونقية – .. أما اليوم فيمثّل البترول ما يقرب من نصف صادرات هذه البلاد، فعقب زيارته مباشرة مدت الأنابيب، والتي تسببت في تسريب نصف مليون برميل من البترول إلى الغابات المطيرة، أدت إلى اختفاء مساحات كبيرة من هذه الغابات، وانقراض الحيوانات، واختفاء وشيك لثلاث حضارات، وتحولت الأنهار القديمة إلى حفر متوهجة، وذلك مما أدى ببعض الأهالي في (الإكوادور) إلى رفع شكوى سنه ٢٠٠٣ ضد (شركة تكاساسو)، مطالبين بمليار دولار تعويضاً عما لحق بأراضيهم من مخلفات البترول والمعادن، التي قدرت بحوالي أربعه مليون كالون يومياً، كانت تدفن في حفر تحت الأرض، وذلك ما بين عامي ٧١-٩٢، وتسببت في مقتل الإنسان والحيوانات. ويعترف (جون بيركنز) بتأثيره على هذا البلد الجميل، فبسبب ما فعله فأنه قد ساءت أحوال البلد كثيراً عمّا كانت عليه من قبل!! ففي فترة ١٩٧٠، وخلال ما عرف بمرحلة الازدهار البترولي، ارتفعت نسبة الفقر من ٥٠-٧٠٪، وازدادت البطالة من ١٥ -٧٠ ٪، وزادت الديون العامة من ٢٤٠ مليون دولار إلى

١٦ مليار دولار، وتدنت حصة الطبقات الفقيرة من المصادر القومية من ٢٠ – ٦ ٪

لقد أسهمت مشاريع قتلة الاقتصاد في زيادة مديونيات (الإكوادور) الخارجية، وأصبح عليها أن تخصّص جزءاً من ميزانيتها لتسديد هذه الديون، بدلاً من استخدام رأسمالها لمساعدة الملايين من المواطنين المصنفين تحت خط الفقر المدقع.. أما سبيلها الوحيد لسداد هذه الديون، فهو ببيع غاباتها لشركات البترول.. ويعترف القاتل الاقتصادي بأن هدفهم من إغراق (الإكوادور) بالديون كان لأنها تسبح فوق بحر من البترول، متمثلاً في (غابات الأمازون)، فكان من الواجب حلبها حتى أخر قطرة بترول!! أما الاستفادة التي تعود بالفائدة على (الإكوادور) من بيع بترولها، فمن بيع كل ١٠٠ دولار من عائد المواد الخام، تتحصل شركات البترول على ٧٥ دولار، والـ ٢٥ دولاراً المتبقة يذهب ثلاث أرباعها لسداد الديون الخارجية، ومعظم ما يتبقى يذهب لتغطية شؤون الجيش، وغيره من النفقات الحكومية. أما المواطنون المحتاجون، الذين تؤثر السدود، والأنفاق، وخطوط الأنابيب، وتسريباتها، على حياتهم بشدة، ويموتون من نقص الطعام والماء الصالح للشرب، فلا ينالون منها إلا الأقل من ٣ دولار !!

عانت (الإكوادور) طويلاً من الحكم الدكتاتوري، وحكومة الأقليات، من الجناح اليميني الخاضع لمصالح الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية، وواجهت غزوة كبرى للديموقراطية الأكوادورية، فقد سُرق فيها بترول الإكوادور، وفي المقابل بُنيت الطرق، والمنشآت الصناعية، بالإضافة إلى السد المقام عليه محطات توليد الكهرباء، والتي ساهمت في إثراء شركات الهندسة الأمريكية!

جاء (خايمي رولدوس)، وهو شخصية قيادية قوية، وقائد شعبي ووطني، لمع نجمه في سماء (الإكوادور)، فقد كان استثناءً من قاعدة فساد الساسة، واقترافهم للجرائم، يؤمن بحقوق الفقراء، ودور رجال السياسة في الاستغلال الأمثل لثروات البلاد الطبيعية، في تأمين عيش راغد لفقراء بلده. بدأ حملته الانتخابية للرئاسة في عام ١٩٧٨، وكان الفقراء من شعبه يرجون فيه الخلاص مما تعانيه دولتهم من استغلال وظلم وقهر.. كان من رجال السياسة الذين لا يخشون شيئاً، وكان يسعى لكشف ما وراء شركات البترول والنظام الذي يدعمها. فمن الأشياء التي سلط (رولدوس) عليها الضوء، واتهمها بالتواطؤ مع شركات البترول، كان معهد اللغويات الصيفي SIL ، وهو مجموعة تبشيرية إنجيلية!! عملت هذه المجموعة بتوسّع مع قبيلة (هيوارني)، في منطقة حوض (الأمازون)، وما أن أعلن الجيولوجيون احتمالية وجود بترول في منطقة معينة، أسرعت مجموعة SIL وشجّعت أهل هذه المنطقة على الانتقال إلى مكان آخر، تحت حماية الإرسالية، على وعد بأن تمنحهم الطعام والشراب والملبس والرعاية الصحية والتعليم مجاناً، مما يضطر أهل المنطقة لتسليمها لشركات البترول. ولم يكتفوا بهذا فقط، فقد كانوا يقدمون لهم طعاماً ممزوجاً بمواد تسبب الإسهال، ثم يقدمون لهم الأدوية التي تعالج هذا الإسهال!! لقد وقف (رولدوس) في وجه النظام القائم، رافضاً استغلال ثروات بلده من قبل شركات البترول، باحثاً عن حقوق شعبه. وتنبأ المثقفون من كلا البلدين، بأن أصحاب المصالح الاقتصادية لن يسمحوا أبدا لـ(رولدوس) أن يصبح رئيساً، أما إذا انتخب، فقد

يواجه مصيراً كمصير (آربنز) في (كواتيمالا) (وهو الاغتيال)!!! وبالفعل أنتخب (رولدوس) رئيساً لـ(الإكوادور) سنة ١٩٧٩، وفي خطاب توليه الرئاسة حدّد الخطوط العريضة للسياسة التي ستتبعها بلده تحت إمرته، فقال: "علينا أن نراجع أنفسنا للحفاظ على مصادر أمتنا من الطاقة. وعلى الدولة أن تحافظ على تنوع الاستثمارات في صادراتها، وألا تفقد استقلالها الاقتصادي. إن قراراتنا ستنبع فقط من المصلحة القومية والدفاع بلا حدود عن استقلالنا، وحقنا في تقرير المصير". في ذلك الوقت كان (كارتر)، رئيس الولايات المتحدة، وقد كان رئيساً هدفه الأكبر سلام العالم، ويكرّس نفسه لتقليص اعتماد الولايات المتحدة على البترول، ولكن ذلك مما لم يكن ليعجب صناع القرار في (أمريكا)، ولذلك لم يحظ بفترة انتخابية أخرى، واستبدل في نوفمبر ١٩٨٠ بـ(رونالد ريغن)، الذي كان يرى (أمريكا) في قمة الهرم العالمي، محرزة مكانتها بالقوة العسكرية، ويرى السيطرة على الحقول البترولية – أينما وجدت– جزءاً من سياسة (أمريكا) التوسعية.

في بدايات عام ١٩٨١ قدمت حكومة (رولدوس) قانون الهيدروكربون الجديد (قانون منظم لاستكشاف وبيع البترول، ومشتقاته، والغاز الطبيعي) إلى مجلس تشريع (الإكوادور)، والذي إذا نفّذ سيعمل على إعادة تشكيل علاقات الدولة بشركات البترول، ويعدّ – على عدة أصعدة– خطوة ثورية وراديكالية، وكان تأثيره سيمتد إلى كثير من بلاد (أمريكا) اللاتينية، وحول العالم. وتصرفت شركات البترول كعادتها، وذهبوا يشوهون في سمعة (رولدوس)، وانطلق اللوبي المناصر لهم إلى (واشنطن) بجعبة من التهديدات والرشاوي، ولكن (رولدوس) لم يكن ليتراجع أمام هذه التهديدات، وأمر بطرد SIL من بلاده، متهماً إياها بالتآمر مع شركات البترول. بعد بضعة أسابيع على صدور التشريعات، ويومين على طرد الإرسالية، ألقى (رولدوس) خطاباً مهماً حذّر فيه أصحاب المصالح الأجانب إن لم يضعوا خططاً لمساعدة شعب (الإكوادور)، فسيرغمون على مغادرة بلاده، وتوجه بعد الخطاب إلى قرية صغيرة، في جنوب الإكوادور، وهناك لقي مصرعه في حادث تحطم طائرة مروع، صدم العالم أجمع في مايو ١٩٨١!! تصاعدت الشكوك، واتجهت أصابع الاتهام إلى رجال المخابرات الأمريكيةCIA، حتى لقد أعلنتها بعض الصحف صراحة، خاصة مع وضوح كراهية (واشنطن)، وشركات البترول، له، إضافة إلى ظهور كثير من الشكوك تدعم هذه المزاعم.

تولى (أوزفالدو أورتادو) رئاسة (الإكوادور)، فأعاد SIL ، ومنحهم (فيزا) خاصة، كما أطلق بنهاية العام برنامجاً طموحاً لزيادة التنقيب عن البترول، أعطاه لـ(شركة تكساسو) للبترول، أحد الشركات الأمريكية في حوض الأمازون. وهذا هو مصير كل من يفكر في معارضة مصالح النظام العالمي وصُناع القرار .. للمزيد اقرؤا كتابه بالتفصيل!..

المصادر/

كتاب جون بيركنز (اعترافات قاتل اقتصادي)، مقابلات (جون بيركنز) في المحطات الإعلامية، مقالات منتقاة متعلقة بهذا الموضوع، كتبها أكاديميون ومتخصصون❐

عبق الكلمات

فقــه الطيبات

عبد الباقـي يوسف
abdalbakiuosf@gmail.com

لقد جعل الله تعالى للناس الـ {طَيِّبَاتِ} كي يتطيبوا ويتمتعوا بها، و{طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ} كثيرة، تشمل سائر أشكال ما يحقق الطيب للإنسان، سواء في المأكل، أو المشرب، أو المنظر، أو الجماع. يقول الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ، وَلاَ تَعْتَدُواْ، إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} المائدة/٨٧.

فلا يجوز لك أن تحرم نفسك من هذه الطيبات، حتى لو اعتقدتَ أنك تفعل ذلك من باب الزهد، أو التفرغ للعبادة. فعليك أن تأخذ ما أباحه الله لك، نظير أن تعطي ما فرضه الله عليك، ولعلّ الاعتدال لا يكمن إلاّ في التساوي بين الأخذ والعطاء. فإن لم تأخذ حقك، لعلّ ذلك يؤدّي بك كي لا تعطي الحق المتوجب عليك، سواء حق الله، أو حق الناس، فإن لم تعط لنفسك حقها عليك، يتعذر عليك أن تعطي حق الله، وثمّ حقّ الناس.

فالاعتداء هنا يجوز أن يكون اعتداء الإنسان على نفسه، بأن يحرمها حقها. فلم يجعل الله الـ {طَيِّبَاتِ} حتى ينظر إليها الإنسان بحسرة، ويحرم نفسه منها، بل عليه أن يعمل ليحصل عليها، ويتمتع بها، وكذلك يسهم في إنتاجها. فإن حرم نفسه منها، لن يكون له أن يسهم في إنتاجها، كونه يراها معيقة للعبادة، ومن ذاك المنظور حرّمها على نفسه، ولذلك يمكن له ألاّ يسهم أيضاً في إنتاجها.

يقول الله: {وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} المائدة/٨٨.

فحتى الاستجابة لأمر الله بالتمتع {مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} يكون من التقوى، لأنك تتقي بالطيب من الخبيث، وبالحلال، من الحرام. فهذا الحلال رزقك الله به، وكأنك عندما تحرم

نفسك منه، تردّه على الله، فتقول له بأنك لا تريد هذا الحلال، لأنك لا تأكله، وقد رزقك الله به. فجاء الأمر حاسماً: {وَكُلُواْ}، أي: عليك أن تطيع الأمر، ما دام الطيب قد رزقك به الله، وأنك تشتهيه، وأن صحتك تتقبله، وهو طيّب ونافع ويمدّك بالطاقة. ثمّ لعلّ هذا الطيّب يزيدك طيباً، ولعل امتناعك عن التطيّب بالطيب، يؤدي إلى تحجيم الطيب الذي أنت فيه. فاعلم أن مجرّد طاعة الله في أمره، هو من الطيب، فالطيّب هو الذي يطيع الله. فالرفض هو من المعصية، ما دمتَ تشتهيه، وتبغيه، وقد أتاحه الله لك، بيد أنك تحرم نفسك منه، ثم تحرم عيالك منه. فهو رزق رزقك الله به، ودعاك إلى الانتفاع به. فقد أمرك الله بألاّ تجعل نفسك في كبت، لأن عاقبة الكبت غير محمودة. فإن رغبت في امرأتك، ترى أن الله أمرها نظير ذلك أن تستجيب لك، وأنها لا تملك حق الامتناع، لأنها بذلك ستجعلك تمضي الليلة مكبوتاً، قامعاً رغبتك، وفي تلك الليلة ذاتها ستكون حليلتك عرضة للعنة الملائكة حتى الصباح، كما في الحديث. وفي رواية: "حتى تراجع وتضع يدها في يده"، لأنها عصت الله، وحرمت زوجها من طيّب أحله الله له. ثم إن عيالك يبتغون ما طاب من طعام، وما لذ من شراب، وقد جعلك مسؤولاً عليهم، وأودع بيدك رزقهم كي تنفقه، فليس لك أن تمسك عليهم نعمة الله، كما ليس لك أن تمسك عن نفسك نعمة الله. ولذلك يُستَحسن لسيدة البيت أن تُحسن طهي الطعام، وتتفنن فيه، حتى يكون شهياً، وهي بذلك تُقدّر النعمة، وتُحسن طهيها، وتقديمه على أطباق شهية، وهذا بمثابة شكر منها لله الذي رزقها بهذا الطعام، والشكر يكون بحسن الاستخدام، وحَسن التقديم، والعناية الفائقة. فمهما كان الطعام طيباً في أصله، يمكن لسوء الطهي، أن يفسد هذا الطعام، فيفقد الشهية إليه، كونه قد احترق، أو لم ينضج بعد، أو به زيادة، أو نقص في بعض المنكّهات، أو الأملاح. فدخولها إلى مطبخها لإعداد الطعام لعائلتها، وبذل الجهد في ذلك، يكون لها من باب الجهاد، فهذا هو جهادها في سبيل عائلتها. فالجهاد ما يجهد به الإنسان في سبيل طاعة الله، ولذلك فإن مطبخ سيدة البيت يتحوّل إلى مسجدها، لأن ما تقوم به في هذا المطبخ، إنما هو شكل من أشكال الصلاة، فتقدّم مائدة الطعام الشهية إلى عائلتها، وقد أحسنت إعدادها، وهي تقول لهم: {كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} ❐

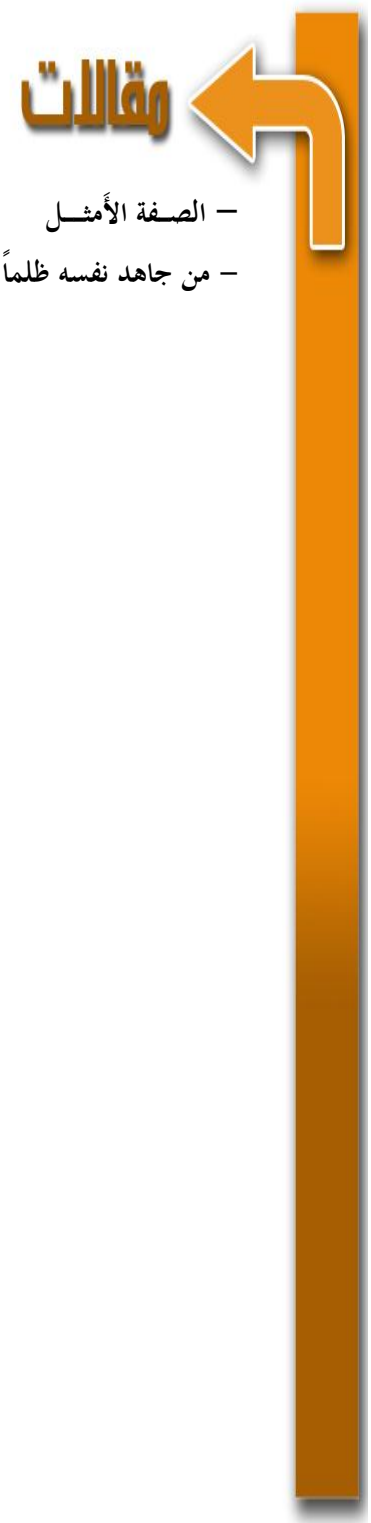

– الصـفة الأَمثــل — علاء الدين حسن

– من جاهد نفسه ظلماً، فهو على ظلم غيرها أقدر — فاتن محمد

الصفة الأمثل

عَلاء الدِّين حسَن
aladin.hasan@gmail.com

الصِّفة الأمثل الَّتي تجعلك مُشرَّفاً في الحياة هي صفة العِلم والأدب .. بالعِلم والأدب تشرُف، وما مِن صفة هي أرفع مِن هذه الصِّفة " لأنَّ الإنسان إذا لم يتفقَّه ربَّما شرَّق وهو يريد الغرب، وربَّما غرَّب وهو يريد الشَّرق.

مَا الفَخرُ إلاّ لأَهلِ العِلمِ أنَّهمُ
علَى الهدَى لِمَن استَهدَى أَدلَّاءُ [١]

العِلم: أنفسُ ما طُلب، وأغلى ما كُسب، هو التَّاج الَّذي يميّز العالِم عن الجاهل، ويميّز الأعمى عن البصير، وهو الَّذي دعت إليه الشَّرائع السَّماويَّة، وجعلته مقدَّساً، وجعلت حامله مبجَّلاً" به استطاعت أمم أن تقود العالَم، وبه استطاعت أن تصل إلى مواقع لم تكن تحلم بالوصول إليها..

بالعِلم تزيد صلة العبد بربِّه، وبالعِلم تقوى معرفة العبد بخالقه..

والعِلم المعتبَر هو العِلم الباعث على العمل، وأساس العِلم هو العمل[٢]. ولا عمل مقبول مِن غير إتقان: ((إنَّ الله يحبُّ أَحدَكم إذَا عمِلَ عَملاً أَن يتقنَه))[٣].

ولا تضعف عزيمة أمَّة مِن الأمم إلاّ يوم تصبح في واد، ومناهج العلوم في واد آخر. و"العامل على غير عِلم يفسد أكثر ممَّا يصلح.." [٤].

ورَجل العِلم: (صادق، ذكي، أمين، مجتهد، صبور، متواضع).. هو في عمله

فنَّـان، ومعيـارُهُ الخلقـيُّ معيـارٌ رفيـع. وفي الحـديث: ((اغـدُ عَالِمـاً، أَو مُتعلِّمـاً، أَو مُسـتمعاً، أَو محبَّـاً، وَلاَ تَكـنِ الخَـامسَ" فَتهلَك))[٥].

والخامسُ، هو المعرض عن العِلم..

ومـمَّا ينبغـي ذكـره أنَّ على المـتعلِّم وظائف كثيرة، منها: تزكيـة الـنَّفس، وتنقيـة القلب... ومِن وظائف المتعلِّم: السُّؤال عمَّـا لا يعرف.

سُـئل (ابنُ عبَّاس)[٦] : بـمَ نلت العِلـم ؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول.

ومِن وظائف المتعلِّم: أن يقوم بتعليم مـا قد تعلَّم. جاء في الحـديث المتـواتر[٧]: ((مَـن علِمَ عِلماً فَكتمَه، ألجمَـهُ الله يَـومَ القيَامَـة...))[٨].

وروي عـن السَّـيِّد المسـيح ﴿ عليـهِ السَّلام ﴾ قوله: // مَن علِـمَ وعمِـلَ وعلَّـم، فَذاكَ يُدعَى عَظيماً فِي مَلكوتِ السَّماء //.

ومِن وظائف المتعلِّم: أن يحـترم معلِّمـه. ولي في ذلك قصيدة [٩] أقول فيهـا:

إنَّ المعَـلِّمَ نهجُهُ سِـرُّ العَمَل
وَهبَ الحيَاةَ ضِياءَ قَلبٍ وَالـمُقَـلْ
مَا غَابَ يَوماً حِلمُهُ عَن رَاغِبٍ
يَسعَى لنَيـلِ المبتغَى خَيرِ الأَمَـلْ

ومِن مهام المعلِّم: أن يكـون ميسِّـراً لا متعنِّتاً. قال عليه الصَّلاة وَالسَّـلام: ((إنَّ الله لـمْ يَبعثني معنِّتاً وَلاَ مُتعنِّتاً، وَلكنْ بَعثني مُعلِّماً ميسِّراً))[١٠].

وأمير الشُّـعراء (أحمد شـوقي) – رَحِمـه الله – مِـن أوائـل مَـن اهتمّـوا بـالمعلِّم في أشـعارهم، فلـه قصـيدة خـصَّ بهـا المعلِّـم، وتحدَّث فيها عـن التَّعليـم، وواجـب المعلِّـم، وضـرورة أن يحترمـه التَّلاميـذ، وفيهـا يضـع المعلِّم في منْزلـة عاليـة.. إنَّهـا منْزلـة الرُّسـل والأنبيـاء الَّـذين بعـثهم الله لتعلـيم البشـر وهدايتهم. يقول (شوقي) في مطلع قصيدته:

قُـمْ للمُعـلِّمِ وفِّـهِ التَّبجيـلا كَادَ المعلِّمُ أَن يَكـونَ رَسولا
أعَلِمتَ أشرفَ أَو أجلَّ مِن الَّذي
يَبني وَيُنشئ أنفُسـاً وَعُقولا؟
سُـبحَانكَ اللَّهُـمَّ خيرَ معلِّـمٍ
علَّمـتَ بالقَلمِ القُرونَ الأُولى
أخْرجتَ هَذا العَقلَ مِـن ظُلمَاتهِ
وَهَديتَهُ النُّـورَ المبينَ سَـبيلا
أَرسَلتَ بالتَّـورَاةِ مُوسَى مُرشِداً،
وَابنَ البَتـولِ، فَعلَّمَ الإنجيـلا
وَفَجـرتَ يَنبوعَ البَيان محمَّـداً
فَسقَى الحَديثَ وَنَاولَ التَّنْزيلا

ثـمَّ يحـذِّر مِـن إهمـال المعلِّـم في أداء رسالته، حتَّى لا يصاب الـنَّشء في أخلاقهـم، فيقول:

وَإذَا المعلِّمُ لَمْ يَكـنْ عَدلاً مشَتْ
روحُ العَدالةِ فِي الشَّبابِ ضَـئيلا

وضغوط الحياة اليوميَّة، وما يعانيه المعلِّم، جعلت منه مادَّة ثريَّة لعدد مِن الشُّعراء، الَّذين عبَّروا عن هذه المعاناة، وعاشها بعضهم ممَّن جمعوا بين التَّدريس والأدب والشِّعر.

ومِن هؤلاء: الشَّاعر الفلسطينيّ (إبراهيم طوقان)، الَّذي يُعَدُّ مِن أكثر الشُّعراء الَّذين جسَّدوا هموم المعلِّم" حيث عمل بالتَّدريس، وعاش مهنة التَّعليم بما لها وما عليها، وأدرك ما يواجهه المعلِّم مِن صعوبات ومشكلات" فنتج عن هذا الإحساس أن نظَّم قصيدته اللّاميَّة المرحة الَّتي تحكي معاناة المعلِّم، وهو يعارض فيها قصيدة (أحمد شوقي)، الَّذي دعا إلى تبجيل المعلِّم. يقول (طوقان) في مطلع قصيدته:

شَوقي يَقولُ وَمَا درَى بمصَابِنا قُمْ للمعلِّم وَفِّهِ التَّبجيلا

لَو جرَّبَ التَّعليمَ شَوقي سَاعةً لقضَى الحَيَاةَ شَقاوةً وَخُمُولا

وَيَكادُ يَقتُلني الأميرُ بقَولِهِ كَادَ المعلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا

يَا مَن يُريدُ الانتحَارَ وَجدتَه إنَّ المعلِّمَ لاَ يَعيشُ طَويلا

وبالفعل كان (طوقان) صادقاً" إذ إنَّه لم يعش طويلاً، ومات في ريعان شبابه.

وَاجبَات عَديدَة:

ومِن واجبات المعلِّم الأمانة: الأمانة في الإعداد، والأمانة في الأداء، والأمانة في العطاء، وفي الوقت، والأمانة في النَّقل..

فإنْ كنتَ مدرِّساً لمادَّة اللُّغة العربيَّة، أو كنت مدرِّساً لمادَّة التَّربية الدِّينيَّة، أو كنت مدرِّساً لمادَّة الفيزياء، أو الكيمياء، أو الرِّياضيَّات، أو الجغرافية، أو العلوم، أو الثَّقافة العامَّة، أو التَّاريخ .. إنْ كنت خطيباً، أو إنْ كنت كاتباً أو أديباً، أو إنْ كنت أباً، أو إنْ كنت ناصحاً، أو غير ذلك..

حيثما كنت، وأيَّاً كان موضعك، ينبغي أن تكون متثبِّتاً مِن هذا الَّذي توجِّه به، وتدعو إليه. أن تكون متثبِّتاً مِن المادَّة الَّتي تُدرِّسها، أن تكون متثبِّتاً مِن الآداب الَّتي توجِّه إليها، أن تكون ملمَّاً بالمادَّة الَّتي تعلِّمها، ملمَّاً مِن حيث المعرفة. وقد قيل: تعلَّم، قبل أن تتكلَّم، حتَّى لا تتألَّم. ولله درُّ (الشَّافعيّ)" حيث قال:

تَعلَّمْ ، فَليسَ المرءُ يُولَد عالِماً وَلَيسَ أخُو عِلمٍ كَمَن هوَ جَاهِلُ

وَإنَّ صَغيرَ القَومِ إنْ كَانَ عَالِماً كَبيرٌ، إذَا التفَّتْ عَليهِ المحافِلُ

فعليك أن تكون متعلِّماً مِن حيث المعرفة، وعليك أن تكون متثبِّتاً مِن حيث الإتقان، وعليك أن تكون مؤتمناً عند النَّقل، ولا تقُل شيئاً بغير تفكير، ولا تعمل عملاً مِن غير تدقيق وتدبير..

والمعلّم ينبغي أن يكون حريصاً على طلاّبه، أن يكون رفيقاً بهم، أن يكون لطيفاً معهم. وكلُّ واحد منَّا معلّم في مجال مِن المجالات، ممَّا ينبغي أن نتحلّى بالرِّفق.

والمعلّمون .. هم النُّجوم السَّاطعة، والكواكب اللاّمعة، في سماء العلوم والمعارف النَّافعة.. هم المصابيح المتلألئة، والشُّموع الوضَّاءة، الّتي تحترق" لتضيء الطّريق للأجيال الصَّاعدة والنَّاشئة..

ولكن ممَّا نعاني منه: الانفصام بين العِلم والسُّلوك في بعض الأحيان، فإذا كان المعلّم قد ارتكب عدداً مِن المخالفات الظّاهرة، في ملبسه وهيئته، وكلامه ومعاملته،

فما قيمة العِلم الّذي يُحمَل عنه؟ وكيف يؤثّر في طلاّبه وزملائه؟..

ولا تكونُ المدرسةُ دارَ تربيةٍ وتعليم، إلاّ عندما تربّي إنساناً، وتعلّمه كيف يبحثُ عن الحقيقة، وكيف يستخدمُ عِلْمَه في عمله.

ومع عِظَم التَّشريف، يعظم التَّكليف.. فلقد ائتمنتِ الأمَّة المعلّمين على أعزِّ ما تملك.. على عقول فلذات أكبادها، وأفكار ثمرات فؤادها.. ممَّا ينبغي أن يربُّوا الأجيال على قيم التَّسامح، والرِّفق، والأصالة..

يتحدَّث (ابن سينا) – أحد أئمَّة الفكر والتَّربية في القرن الرَّابع الهجريّ– ، يتحدَّث عن صفات المعلّم، فيقول:

«ينبغي أن يكون مؤدِّب الصَّبيِّ عاقلاً ذا دِين، بصيراً برياضة الأخلاق، وقوراً، رزيناً، بعيداً عن الخفَّة والسُّخف، لبيباً، قليل التَّبذُّل والاسترسال بحضرة الصَّبي، ذا مروءة ونظافة ونزاهة. فالمؤدِّب قدوة يقتدَى به».

ولعلَّ في الوصيَّة الّتي بعث بها الخليفة (هارون الرَّشيد) إلى (الكسائيّ) مؤدِّب ابنه، ما يلقي الضّوء على طبيعة المنهج التَّربويّ المطلوب مِن المعلّم تجاه المتعلّم، إذ يقول: «اقرئه القرآن، وعرِّفه الآثار، وروِّه الأشعار، وعلِّمه السَّنن، وبصِّره بمواقع الكلام، وبدئه، وامنعه مِن الضَّحك، إلاّ في أوقاته.. ».

مَعالِم لاَ بدَّ منهَا:

" ولن يصلَ أيُّ إنسان إلى مرتبةِ المعلّمِ الجيِّد، إلاّ إذا كانت لديه مشاعرُ الدِّفءِ والحبِّ تجاهَ تلاميذه"[١١].

ومِن العواملِ الّتي تجعلُ المعلّمَ محبوباً عند تلاميذه:

أوَّلاً: إظهارُ روحِ الدُّعابة والمرح، فالابتسامة خيرُ رسالة، وأنجعُ لقاء بين المعلّم وطلاّبه: ((تبسُّمكَ فِي وَجهِ أَخيكَ صَدَقة)) [١٢].

فالابتسامةُ تجعل الطّالبَ يُقبل على المدرسة والدَّرس برغبة وشوق، فضلاً عن كونها تبدِّد المخاوف مِن نفسه..

ثانياً: التَّشجيعُ على المواقف الحسنة، والإجابات الصَّحيحة، وإذكاءُ روحِ التَّنافس

بين الطُّلاّب" فالطُّلاّبُ طاقاتٌ كامنة تنتظرُ مَن يستثمرُها، وأذهانٌ هائمة تنتظرُ مَن يوجّهها.

و" مِن أسمى فنون المعلّم: أن يوقظَ روح الحماسة لدى الطُّلبة، للتَّعبير عن أفكارهم وآرائهم، بطرق إبداعيَّة " (١٣).

وقد أثبتت التَّجاربُ أنَّ التَّشجيعَ في كلِّ الأحوال ناجع، ويؤثّر تأثيراً إيجابيًّا على الطُّالب، شريطةَ أن يكونَ في وقته المناسب، وبقدرِ الحاجة إليه، وإنَّ كلمة تقدير مِن أستاذ له قدر في شأن أحد تلاميذه، قد تصنع منه نابغة مِن نوابغ العِلم.

ثالثاً: التَّغاضي عن هفوات الطُّلاّب الصَّغيرة، فالمعلّم الودود لا يحاسبُ طلاّبَه على كلِّ صغيرة وكبيرة، ولكنَّه يتركُ جزءاً لطفولتهم النَّامية، فتارةً يتجاهلُ إزاء تصرّف غير لائقٍ مِن طالب، فيناديه في الفسحة، ويتكلّم معه باحترام، عندئذ سيتأثّر الطُّالبُ ويندمُ على ما قد فعل، ويبتعدُ عن كلِّ تصرُّف غير لائق..

رابعاً: العدل بين الطُّلاّب" فلا يميِّزُ بين طالب وآخر، ويشيعُ المحبَّةَ والألفةَ بينهم، ويشجّعُهم على الإيثارِ والتَّعاون، ونبذِ الأثرة.. فالطُّلاّبُ على مقاعد التَّعلّم تتملّكُهم حساسيةٌ مفرطةٌ تجاهَ المعلّمين، فهم يحاسبونهم على الابتسامات والنَّظرات.

وإذا أعطى المعلّمُ الفرصةَ لطالب مرَّتين على التَّوالي للإجابة عن سؤال ما، ولم يُعطِ الآخر، ضاقَ صدرُ الآخر، وأسرعَ يبوحُ بخلجاتِ نفسه الرَّقيقة معاتباً إيَّاه..

خامساً: الاهتمام بشؤون الطُّلاّب وعوالمهم، والتَّحاور معهم..

ومِن أبرز فوائد الحوار بين المعلّم والطُّالب:

– تعزيزُ ثقةِ الطُّالب بنفسه عبر إيجادِ الفرصة المناسبة للتَّعبير عن أفكاره، والتَّخلّص مِن الخوف مِن مواجهة الآخرين.

– تنميةُ روابطِ المحبَّة مع المعلّم، وتعويد الطُّالب حلّ المشكلات بطرق جديدة.

– شدُّ الانتباه والتَّشويق، واحترامُ رأي الطَّرف الآخر.

إدرَاكُ القيَم:

وفي ظلِّ فهم قيمة العِلم، وإدراك حقيقته، وفروعه، نبغ العديد مِن العلماء، فاخترع (الخوارزميُّ) علم الجبر ، واختصَّ (ابن حيَّان) بأسرار الكيمياء، ونمت المباحث الرُّوحيَّة والنَّفسيَّة والفلسفيَّة عند (ابن سينا)، و(الغزالي)، و(ابن رشد)، وغيرهم، وغيرهم..

ومِن لطائف المعاني أنَّ التَّعلّم يرفع مِن قدر المتعلّم، إنساناً كان أم حيواناً، حتَّى رأينا الكلب المعلّم يؤكَل ما يصيده" لأنَّه لم يصده

لنفسه" بل لصاحبه الّذي علّمه، فما بالنا بالإنسان إذا تعلّم ؟ (١٤) .

قال تعَالى: **(اِقرأ باسمِ ربِّك الّذي خَلَق ۞ خَلقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَق ۞ اِقرأ وَرَبُّكَ الأَكرَم ۞ الّذي علّمَ بالقَلَم ۞ علّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعلَم)** العلَق: ١ – ٥.

والقراءةُ سبيلُ الرُّقيّ: ((اقرَأ وَارقَ))..

ومَن يقرأ بتذوُّق، يكتُب بتفَوُّق..

وتمام العقل بالعِلم، والعقل هو الوسيلة الوحيدة الّتي ترتقي بالإنسان، وترفعه. وفي سياق المقارنة بين أهميَّة العقل والشَّجاعة، وأثرهما في الإنسان يؤكّد (المتنبِّي) على أسبقيَّة الرَّأي على الشَّجاعة. يقول:

الرَّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشُّجعَان
هوَ أوَّل، وَهيَ المحلُّ الثَّاني
فَإذَا همَا اجتَمعَا بِنفسٍ حرَّةٍ
بَلغتْ مِن العَليَا كُلَّ مَكان

وأجمع العلماء على أنَّ سائر علوم الحياة، مِن: طبّ، وفلك، وهندسة.. مِن الفروض الكفائيَّة، وما لا يتمُّ الواجب إلاّ به، فهو واجب.

ولقد اشتهر بين النَّاس قولُهم: / اطلبوا العِلم ولو في الصِّين /. على أن يكون العِلم المطلوب ثابتاً بالبرهان، وأن يكون نافعاً، متلازماً مع البُعد التَّربوي❑

الهوامش:

(١) ديوان عليّ بن أبي طالب، دار كرم بدمشق، دون تاريخ، ص ٥ .

(٢) مِن محاضرة لكاتب هذا البحث، قُدِّمت بالمركز الثَّقافيِّ في (الحسكة)، بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٣٠ـ.

(٣) الجامع الصَّغير ١٨٦١ .

(٤) منسوب لـ : عمر بن عبد العزيز .

(٥) معجم الزَّوائد : ١ / ١٣٢ .

(٦) ابن عبَّاس هو ابن عمّ رسول الله، وُلد في (مكّة)، ونقل الأحاديث. توفّي في (الطّائف) عن واحد وسبعين سنة.

(٧) الحديث المتواتر يرويه جمع يستحيل اتّفاقهم على الكذب، عن جمع مثلهم..

(٨) أخرجه (ابن حِبَّان) في (صحيحه) برقم ٩٦ ..

(٩) نشرتها في صحيفة (بناة الأجيال)، ١ نيسان ٢٠٠٤، العدد ١٥٣ .

(١٠) رواه مسلم، ح رقم ١٤٧٨ .

(١١) نصائح للمعلّمين، تشارلز ماكجوير، ص : ١١٧ .

(١٢) ابن حبَّان ، ج٢ – ص : ٢٢١ .

(١٣) أفضل النَّصائح للمعلّمين، ديانا أبيتز، ص : ١١٧ .

(١٤) انظر كتابنا: قضايا فكريَّة معاصرة، الطّبعة الأولى، دمشق ١٤٢٥ هـ، ص ٣٨ .

من جاهد نفسه ظلماً، فهو على ظلم غيرها أقدر

فاتن محمد

مجاهدة النفس مصطلح سمعناه كثيراً، وتُحُدِّثَ به كثيراً، وإليك بعض الشائع مما يقال في مجاهدة النفس: "قال... في كتاب... في تعريف المجاهدة بأنها مصدر: جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، وهو مأخوذ من مادة (ج هـ د)، التي تدل على المشقة...

أمَّا المجاهدة للنفس اصطلاحاً فقد عرَّفها (.....) في كتاب (.....) بأنها:- محاربة النفس الأمَّارة بالسوء، بتحميلها ما يشقّ عليها، بما هو مطلوب في الشرع. وقال (...): حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى. وقيل...إلخ". ومثل هذا كثير. لكن لو رجعنا إلى الجهاد، لرأينا أنه حقاً مأخوذ من مادة (ج هـ د)، التي تدل على المشقة.

– ففي الإسلام، الجهاد فقط يكون في سبيل الله، وهو ما نسمّيه: إخلاص النية. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّه، والذي كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾، وفي الحديث: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل لِيُرَى مَكَانُه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله).

ثانياً: يكون الجهاد بشيء: كالنفس، المال، الوقت... قال تعالى: {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}. وأيضاً: النفس، وما تحمله من طاقتين: مادية بالجسد، وفكرية بالتفكير وإعمال العقل. والطاقة الفكرية متعبة للنفس، وتصرف من الطاقة والجهد، وتستنفذ أكثر بكثير مما تستنفذه الطاقة الجسدية، وأنفع. لذلك قال النبي: (فضلُ العَالِم على العَابِدِ، كَفَضْلِي على أدْناكم)،

وفي الحديث الآخر: (وَإن فَضْلَ العالِم على العَابِدِ، كَفضل القمر ليلة البدرِ على سائرِ الكَوَاكِب)، وكذلك القرآن: قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

النفع في الجهاد، وهو عائد للنفس، كما في صريح القرآن: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

والجهاد يكون ضد شيء: (الكفار، المنافقين، الجهل، ...)، وهناك من أدخل النفس في الأمور الواجب مجاهدتها، واستند الأغلبية في حديثهم عن مجاهدة النفس إلى حديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر، قالو: وهل هناك جهاد أعظم من جهاد الكفار؟ قال: نعم، جهاد النفس). وإليك درجة الحديث، كما أخبر عنه العلماء:

– (ضعيف)/ البيهقي.

– (لا أصل له)/ ابن تيمية (١٩٧/١١).

– ضعّفه (العراقي) في تخريج (الإحياء).

– قال الحافظ (ابن حجر)، في (تسديد القوس): هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام (إبراهيم بن أبي عبلة). (كشف الخفاء للعجلوني).

– (مُنْكر /الألباني /السلسلة الضعيفة ٢٤٦٠).

– (ضعيف: ذكره (الفتني) في (تذكرة الموضوعات).

– قال (السيوطي): لا أعرفه مرفوعاً.

– (غريب جدا)، (الزيلعي/ تخريج الكشاف ٣٩٥/٢).

– (قيل: لا أصل له، أو بأصله موضوع)، (علي القاري الحنفي/ الأسرار المرفوعة).

– قال: الشيخ (ابن عثيمين) عند ذكره في (الشرح الممتع): ولكنه حديث ضعيف، غير صحيح. (وقال في إحدى فتاواه: ضعيف جداً، أو موضوع). (مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢٧/٤٩٨).

– (قال شيخ الإسلام (ابن تيمية)، في (مجموع الفتاوى): لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة).. (انتهى)

وهذا يدل على أن هذا الحديث غير قابل لأن يكون دليلاً على مجاهدة النفس.

ثم إن الجهاد يكون ضد عدو وشيء سلبي، كما ذكرنا قبل قليل: الكفار، المنافقين... والنفس الإنسانية مكرّمة عند الله عز وجل. وهنا ينبغي التفريق بين الجهاد بالنفس، أيْ: بذلها في سبيل الله، كما ذكرنا من قبل: {وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}، وهو يختلف عن مجاهدتها.

إن المجاهدة للنفس تكون بحملها وإكراهها على فعل الخير، وهو يختلف عن منهج الدعوة في القرآن، الذي يبتعد كل البعد عن معنى

الإجبار والإكراه في الدين، فقد جاءت الآية واضحة في قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾، فهي عامة، تشمل النفس، وغيرها.

النفس الإنسانية تميل بطبيعتها للكسل والتراخي والخمول – وهذا حسب قول علماء النفس–، ولكنها تميل أيضاً للاستمتاع، بل إن المتعة هي المحفز الأساسي للنفس الإنسانية، بل إن وقود العمل للنفس الإنسانية هو المتعة، واللاعبون في أيّ من الألعاب، نجدهم يبذلون أحياناً من الجهد ما يعجزون هم أنفسهم عن بذله في أوقات أخرى، ويستميتون ولكن في سبيل ما يستمتعون به. وهناك فروض عين تجب على كل مسلم، وفي هذه يجب على الإنسان أن يفهم فقط مفهومها، والطريقة الصحيحة لأدائها ومعانيها والهدف منها، عندها يستطيع أن يؤديها بكل متعة، بل ويَعُدُّ البعد عنها – حينذاك – حرماناً له، أكثر منه إزالة واجب من على كاهله . ففي الفرائض مثلاً من الطاقة التي يحصل عليها الإنسان ما يريحه ويعينه في الحياة، فالفروض وضعت لتساعد الإنسان في مسيرة الحياة. ولذلك ورد في الحديث أن النبي: (كان إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة)، أي: التجأ إلى الصلاة، لماذا؟! لما كان يجد بها من الراحة النفسية. وكذلك الصيام، يقول الدكتور (أحمد عمارة): "يحوي الصيام من الطاقة الإيجابية ما يستطيع كفاية الإنسان – إن صام شهر رمضان– أن تستمد معه الطاقة لنهاية العام. بل أنا عندما أكون مشغولاً جداً، وأعلم أن أوقات الفراغ في نهاري ستكون قليلة، أصومُ، لأمتلك الطاقة التي تعينني في ذلك اليوم...".

وعلى هذا تجري كل فروض العين. أما فروض الكفاية، فهي تشمل كل نواحي الحياة، ما دامت في سبيل الله. وهنا يختار الإنسان المجال الذي يحبّه، ويستمتع به، ويجاهد فيه. وهكذا يصبح مشغولاً بما يهواه. وهنا نجد معنى حديث النبي: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به). فالأمر الفاصل أن يكون الهوى تابعاً للدين، ولم يقل: أن يحارب هواه، أو أن يجاهده. وإذا انشغل الإنسان بالأمور النافعة التي يهواها، سيضيق الوقت المتبقي للتفكير في المعاصي.

وأخيراً أقول: إن المعلوم في (الجهاد)، أنه ينتهي إما بقتل العدو، أو دخوله في الإسلام.. فلينتبه من يحارب نفسه، أن تموت تلك النفس التي يجاهدها، وأن لا تكون نتيجة هذا الجهاد الرجوع إلى الدين، فيموت الإحساس لدى الإنسان، وحينها فقط لا نستبعد من قتل البعض للأبرياء، دون أن يرفّ لهم جفن، فمن قتل نفسه ظلماً، هل كثير منه أن يقتل غيرها؟!!..❑

تنمية بشرية

– سباعية قواعد النجاح

صالح شيخو

سباعية قواعد النجاح

2 - 2

صالح شيخو الهسنياني

قواعد النجاح:

✍ **(قرار– وقت– تخطيط – هدف – تميز– إبداع– توازن)**

القاعدة الأولى: اتخاذ القرار (قرار).

القاعدة الثانية: إدارة الوقت (وقت).

القاعدة الثالثة: التخطيط (تخطيط).

القاعدة الرابعة: تحديد الهدف (هدف).

القاعدة الخامسة: التمييز (تميز).

القاعدة السادسة: الإبداع (إبداع).

القاعدة السابعة: التوازن (توازن).

القاعدة الأولى: اتخاذ القرار

من أصعب ما يواجه الإنسان على مر العصور، هو اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب، وبهذه القاعدة سوف تميز الإنسان الناجح من الإنسان الفاشل. الإنسان الناجح لا تعيقه حالات الفشل الذي مر به، بل يعدّها تجربة وخبرة يتزود بها نحو انطلاقة أفضل (وإلى ربّك فارغب).

والقرار ببساطة: تلك المقدرة الذهنية التي تمليها على نفسك بأن تعرف ماذا تريد وكيف ستعمل لتحصل عليه. (د. مأمون طربيه.. تميز وتواصل بنجاح)

وهناك عدد من الخطوات التي يسلكها الإنسان ليصل إلى صنع القرار، وهي:

- ✓ جمع المعلومات الكاملة والصحيحة عن الموضوع الذي يحتاج إلى اتخاذ قرار فيه.
- ✓ حصر وتحديد الخيارات الممكنة والمتاحة بناءً على المعلومات المتوافرة عن الموضوع.
- ✓ ترجيح الأفضل من الخيارات الممكنة والمتاحة.
- ✓ إذا احتار في الترجيح، ولم يظهر له أولوية لأحد الخيارات، فعليه بالاستخارة الشرعية، ثم الاستشارة لأهل الخبرة في ذلك.
- ✓ تنفيذ القرار بإرادة حازمة، بحيث لا تندم على ما فعلت... (حتى لا تكون كلاً/ عوض القرني)

ولا شك أن اتخاذ القرار الصائب (فانصب)، يعتمد كثيرا على تقدير الذات واحترامها، يقول الدكتور (إبراهيم الفقي): " تقدير الذات واحترامها يؤثر تأثيراً مباشراً على كل جوانب حياتك، فكلما زاد تقديرك لنفسك، زاد حبك لنفسك، وأصبحت قراراتك أفضل. تقدير الذات هو مفتاح النجاح، والعنصر الرئيسي للحياة السعيدة... وتقدير الذات هو ما تعتقده وتشعره حيال نفسك، فهو الشعور بالسلام الداخلي مع النفس". (مفاتيح أسرار قادة التميز)

- ○ **القدرات في داخلك**

يقول (جمال ماضي):

○ أتعجب كثيرا ممن يبحثون عن تعزيزات لأنفسهم من البيئة التي تحيط بهم، أو الظروف الخارجية، ومما يزيد العجب أنهم يجهدون ويجتهدون ويواجهون مشكلات كبيرة، ويستمرون ويصرون، وفي النهاية لا يجدون إلا يافطة كبيرة مكتوب عليها: (السر العظيم: ابحث عن القدرات في داخلك، ارجع وفتش عنها، ستجدها)..

- إذاً المفتاح في أيدينا، وليس في يديّ غيرنا، أو بمعنى آخر: برغبتنا نحن، بمثابرتنا نحن، بسعينا نحن، و إلا كم هي مشاعر الخيبة والحسرة، حينما نصطدم بنتائج فاشلة، لمجرد اعتمادنا على الغير، أو إن الظروف ستخدمنا !! .
- كل الحياة فرص، كل جوانب حياتنا فرص، ولكن من منا الذي يراها، أو يكتشفها؟! من المستحيل أن يراها غيرنا، أو يكتشفها لنا غيرنا، فكل منا أعلم بنفسه، وبخفاياها وأسرارها وقدراتها وميزاتها. نعم، نحن وليس غيرنا.
- فإذا كانت القدرات موجودة، فلماذا لا نحولها إلى حقيقة؟ لماذا نصر على أن نجعلها أمنية فقط؟ حوّل الأمنية إلى واقع، بالعزم والتصميم، ولا عليك بعدها من شيء.
- وبقدراتك تصنع النجاح، بشيء من الذكاء الممزوج بالإيمان، وليس المزين بالألوان الزائفة والتملق المكروه. ربما نحصل على بعض المنافع المرئية، ولكن ليس ذلك هو النجاح الحقيقي، وربما يقول لك بعض الناس: قدراتك عالية، وأنت تخاطب نفسك: متى تخرجين من بحر الفشل؟.

نعم بقدراتك تصنع النجاح، بشيء من السيطرة على الظروف!!. (جمال ماضي: كيف تحقق النجاح)

ويقول (ستيفن كوفي) في (العادات السبع): **ابدأ والنهاية في ذهنك (القيادة الشخصية)**

" الأشخاص الفعالين ينحتون مستقبلهم بأنفسهم، وهم يستفيدون من البدء والنهاية في ذهنهم، في جميع مناطق حياتهم، بدلاً من ترك الآخرين أو الظروف تقرر النتائج. وهم يخططون بحرص لما يريدون أن يصبحوا، وما يريدون أن يفعلوا، وما يريدون أن يملكوا، ثم يدعون خريطتهم الذهنية ترشدهم في اتخاذ قراراتهم".

قصة (أوساهير):

يقول الطالب الياباني (أوساهير)، الذي بعثته حكومته للدراسة في (ألمانيا): لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت لأدرس عليه في (جامعة هامبورج) لما وصلت إلى شيء، كانت حكومتي قد أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، كنت أحلم بأن أتعلم، كيف أصنع محركاً صغيراً. كنت أعرف بأن لكل صناعة وحدة أساسية أو ما يسمى "موديل Model" هو أساس الصناعة كلها، فإذا عرفت كيف تصنعه وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها، وبدلا من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل، أو مركز تدريب عملي، أخذوا يعطونني كتبا لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها، ولكنني ظللت أمام المحرك، أيا كانت قوته وكأنني أمام لغز لا يحل.

وفي ذات يوم، قرأت عن معرض محركات إيطالية الصنع، كان ذلك أول الشهر، وكان معي راتبي، وجدت في المعرض محركاً قوة حصانين، ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته، وحملت المحرك وكان ثقيلاً جداً، وذهبت به إلى حجرتي، ووضعته على المنضدة وجعلت أنظر إليه، وكأنني أنظر إلى تاج من الجوهر، وقلت لنفسي: هذا هو سر قوة (أوربا)، لو استطعت أن أصنع محركا كهذا لغيرت تاريخ (اليابان)، وطاف بذهني خاطر يقول: إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى، مغناطيس كحدوة الحصان، وأسلاك، وأذرع رافعة، وعجلات، وتروس، وما إلى ذلك، لو أنني استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك، وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها، ثم شغلته فاشتغل، أكون قد خطوت خطوة نحو سر "موديل Model" الصناعة الأوربية. وبحثت في رفوف الكتب التي عندي، حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات، وأخذت ورقاً كثيراً، وأتيت بصندوق أدوات العمل، ومضيت أعمل، رسمت المحرك، بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمل أجزاءه، ثم جعلت أفككه، قطعة قطعة، وكلما فككت قطعة رسمتها على الورقة بغاية الدقة، وأعطيتها رقما، وشيئا فشيئا فككته كله، ثم أعدت تركيبه، وشغلته فاشتغل، كاد قلبي أن يقف من الفرح. استغرقت العملية ثلاثة ايام، كنت آكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا ما يمكنني من مواصلة العمل.

وحملت النبأ إلى رئيس بعثتنا فقال: حسنا ما فعلت، الآن لا بد أن أختبرك، سآتيك بمحرك متعطل، وعليك أن تفككه، وتكشف موضع الخطأ وتصححه، وتجعل هذا المحرك العاطل يعمل، وكلفتني هذه العملية عشرة أيام، عرفت أثنائها مواضع الخلل، فقد كانت ثلاثاً من قطع المحرك بالية متآكلة، صنعت غيرها بيدي، صنعتها بالمطرقة والمبرد.

بعد ذلك قال رئيس البعثة. . وكان بمثابة الكاهن يتولى قيادتي روحيا: عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ثم تركبها حتى تصبح محركاً. ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد، وصهر النحاس، والألمنيوم، بدلا من أن أعد رسالة الدكتوراه كما أراد مني أساتذتي الألمان. تحولت إلى عامل ألبس بذلة زرقاء، وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر المعادن، كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم، حتى كنت أخدمه وقت الأكل، مع أنني من أسرة (ساموراي)، ولكنني كنت أخدم اليابان وفي سبيل اليابان يهون كل شيء. قضيت في هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات، كنت أعمل خلالها ما بين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم، وبعد انتهاء يوم العمل كنت آخذ نوبة حراسة، وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

وعَلِمَ (الميكادو/ الحاكم الياباني) بأمري، فأرسل لي من ماله الخاص، خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهب، اشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة، وأدوات وآلات، وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت، فوضعت راتبي وكل ما ادخرته، وعندما وصلت إلى (ناجازاكي) قيل لي: إن (الميكادو) يريد أن يراني، قلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشيء مصنع محركات كاملا، استغرق ذلك تسع سنوات. وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي عشرة محركات (صنعت في اليابان)، قطعة قطعة، حملناها إلى القصر، ودخل الميكادو وانحنينا نحييه، وابتسم وقال: هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي، صوت محركات يابانية خالصة. هكذا ملكنا "الموديل Model" وهو سر قوة الغرب، نقلناه إلى اليابان، نقلنا قوة أوربا إلى اليابان ونقلنا اليابان إلى الغرب."

القاعدة الثانية: إدارة الوقت

(فإذا فرغت فانصب. وإلى ربّك فارغب)

- يقول ابن القيم: " وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة الحياة الأبدية في النعيم المقيم أو مادة معيشته الضنك في العذاب الأليم". ويقول أيضا: " الزمن لا يقف محايدا فهو إما صديق ودود أو عدو لدود". ويقول: " إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ".
- وقال الحسن البصري: " أيقظتني كلمة سمعتها من الحجاج: سمعته يقول على هذه الأعواد: إذا امرؤ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له، لحري أن تطول عليه حسرته يوم القيامة ".
- أما الإمام (أبو الفرج ابن الجوزي) فيقول: " ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل. وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا! إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسحر، وأما النهار فبالنوم. ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدار البدار قبل الفوات، ونافسوا الزمان ".
- أما الدكتور يوسف القرضاوي فيقول: " إن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه. فهي جريمة انتحار بطيء ترتكب على مرأى ومسمع من الناس ولا يعاقب عليها أحد".

- ويقول الدكتور إبراهيم الفقي: " الوقت هو الشيء الوحيد الذي يملكه الإنسان ما دام على قيد الحياة... الوقت مال، الوقت من ذهب، الوقت هو الحياة فعندما تضيع وقتك فإنك تضيع حياتك ... إن نوعية حياتك تتحدد بدرجة حكمتك في استغلال الوقت ".
- ويقول آخر: " الوقت ذلك الشيء الذي يحاول الإنسان دائماً قتله، ولكن ينتهي الأمر عادة بأن يقتل الوقت الإنسان ". مفاتيح أسرار قادة التميز (إدارة الوقت..القيمة الحقيقية للحياة).
- فالوقت هو الحياة، وإنما سعد من سُعد، وارتقى من ارتقى في مراتب المجد من استثمر الأوقات، وكان حريصا على الدقائق واللحظات. فأصحاب الهمم العالية يحرصون على كل ثانية حرص الجموح المنوع، وحتى المصائب لا تلهيهم عن استغلال الوقت والحرص عليه.
-

مميزات الوقت:

- **والزمن ينقضي ولا ينتظر..**

يقول الله عز وجل: (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).

والمثل الإنكليزي يقول: (إن المد والجزر لا ينتظران أحداً). فإذا لم تستطع أن تحول الزمن إلى واقع وإلى خطة محددة موقوتة.. فرّ منك وانقضى عنك..

- **والزمن يمضي ولا يعود.**

قال تعالى: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة).

وقال تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت.. كلا).

وهذا المعنى عبر عنه الحسن البصري بقوله البليغ: (ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة).

- **والوقت مصدر السعادة والشقاء**

يقول ابن القيم: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة الحياة الأبدية في النعيم المقيم أو مادة معيشته الضنك في العذاب الأليم). وقال أيضا: (الزمن لا يقف محايدا فهو إما صديق ودود أو عدو لدود). وقال الحسن البصري: (أيقظتني كلمة سمعتها من الحجاج: سمعته يقول على هذه الأعواد: إذا امرؤ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له، لحري أن تطول عليه حسرته يوم القيامة).

إدارة الذات من خلال إدارة الوقت.

فوائد تنظيم الوقت:

- ✓ من ينظم وقته يكون فعالاً ويستفيد بشكل كبير من تنظيمه للوقت.
- ✓ يحصل على النتائج المطلوبة في الوقت المتاح.
- ✓ زيادة الفعالية في العمل والمنزل ومع النفس.
- ✓ تحقيق الأهداف المنشودة بطريقة أفضل وأسرع.
- ✓ يقلل من المجهود المبذول، بالتالي يجعلنا أكثر راحة.
- ✓ التفوق على نفسك وعلى غيرك في مجالات عدة.
- ✓ المزيد من السعادة والسيطرة على الظروف المحيطة بنا بدلاً من أن تسيطر علينا وتحرمنا السعادة.

والآن كيف نحقق انجازات يومية ؟ والجواب:

١. قسّم العمل الكبير الى خطوات صغيرة، وأنجز كل يوم بعض منها، وتذكر أن النجاح ليس خطوة كبرى، وإنما مجموعة من الخطوات الصغيرة، التي لو جمعناها بدت وكأنها كبيرة .

٢. كافئ نفسك على كل إنجاز تؤديه :فكما لا بد من معاقبة النفس على الأخطاء، فلا بد من مكافئتها على الانجازات .

٣. حدد وقتاً زمنيا لكل أعمالك، وحاول ان تؤدي في كل وقت ما قررت ان تعمل فيه، فركز جهودك عليه، ولا تتركه الا بعد انتهاء وقته المحدد له، وهذا سيوفر لك امرين: الوقت والأعصاب ..

٤. قلل من الأعمال التي تؤدي بك إلى هدر الوقت، إن نوعية استعمالك لوقتك هي التي تحدد المجال الذي ستحتله في هذا العالم.

٥. عش يومك كما لو كان آخر فرصتك لإنجاز عملك، فلا تترك ساعة واحدة تمر دون ان تحملها انجازا يقربك الى هدفك .

٦. لا تتردد في انجاز الاعمال كلما سنحت لك الفرصة ، فالزمن صديق من يستعمله وعدو من يهمله.

٧. أنجز ما تملك متسعا من الوقت لإنجازه، واترك مجالا للطوارئ .

٨. قوّ إرادتك على الإنجاز بجرعات صغيرة من الخطوات العملية ، فإذا أجبرت نفسك على عمل متواضع في وقت محدد، فإن ذلك يقوي عندك دافع الاتمام تدريجيا .

٩. استغل الفراغات بين الاوقات المشغولة ، كأوقات الانتظار مثلا .

١٠. استخدم الاجهزة، كأجهزة الاستنساخ و الهاتف وغيرها التي تساعد الانسان في انجاز اعماله .

خطوات تنظيم الوقت:

١. هذه الخطوات بإمكانك أن تغيرها أو لا تطبقها بتاتاً، لأن لكل شخص طريقته الفذة في تنظيم الوقت المهم أن يتبع الأسس العامة لتنظيم الوقت. لكن تبقى هذه الخطوات هي الصورة العامة لأي طريقة لتنظيم الوقت.

٢. فكر في أهدافك، وانظر في رسالتك في هذه الحياة .

٣. انظر إلى أدوارك في هذه الحياة، فأنت قد تكون أباً أو أماً، وقد تكون أخاً، وقد تكون ابناً، وقد تكون موظفا أو عاملا أو مديراً، فكل دور بحاجة إلى مجموعة من الأعمال تجاهه، فالأسرة بحاجة إلى رعاية وبحاجة إلى أن تجلس معهم جلسات عائلية، وإذا كنت مديراً لمؤسسة، فالمؤسسة بحاجة إلى تقدم وتخطيط واتخاذ قرارات وعمل منتج منك .

٤. حدد أهدافاً لكل دور، وليس من الملزم أن تضع لكل دور هدفاً معيناً، فبعض الأدوار قد لا تمارسها لمدة، كدور المدير إذا كنت في إجازة .

٥. نظّم: وهنا التنظيم هو أن تضع جدولاً أسبوعياً وتضع الأهداف الضرورية أولاً فيه، كأهداف تطوير النفس من خلال دورات أو القراءة، أو أهداف عائلية، كالخروج في رحلة أو الجلوس في جلسة عائلية للنقاش والتحدث، أو أهداف العمل، أو أهدافاً لعلاقاتك مع الأصدقاء .

٦. نفّذ: وهنا حاول أن تلتزم بما وضعت من أهداف في أسبوعك، وكن مرناً أثناء التنفيذ، فقد تجد فرصاً لم تخطر ببالك أثناء التخطيط، فاستغلها ولا تخشى من أن جدولك لم ينفذ بشكل كامل.

معوقات تنظيم الوقت:

١. المعوقات لتنظيم الوقت كثيرة، فلذلك عليك تجنبها ما استطعت ومن أهم هذه المعوقات ما يلي:

٢. عدم وجود أهداف أو خطط .

٣. التكاسل والتأجيل، وهذا أشد معوقات تنظيم الوقت، فتجنبه .

٤. النسيان، وهذا يحدث لأن الشخص لا يدون ما يريد إنجازه، فيضيع بذلك الكثير من الواجبات .

٥. مقاطعات الآخرين، وأشغالهم، والتي قد لا تكون مهمة أو ملحة، اعتذر منهم بكل لباقة، لذا عليك أن تتعلم قول (لا) لبعض الامور .

٦. عدم إكمال الأعمال، أو عدم الاستمرار في التنظيم نتيجة الكسل أو التفكير السلبي تجاه التنظيم .

٧. سوء الفهم للغير مما قد يؤدي إلى مشاكل تلتهم وقتك .

القاعدة الثالثة: التخطيط

التخطيط يعني وضع أهدافك في برنامج عمل قابل للتنفيذ، أو رسم صورة واضحة للمستقبل، وتحديد الخطوات الفعالة للوصول إلى هذه الصورة.

مميزات عملية التخطيط:

- تمتاز بأنها توضح الرؤية المستقبلية التي تريدها، أي قرارا مسبقا تتخذه.
- عملية تعتمد على تعاملك مع الزمن.
- عملية تعتمد على اختيارك للأولويات وعلاقتها بأهدافك.
- تعتمد على قدرتك في فهم واقعك ووضعك الراهن، ومقارنته بصورة المستقبل.
- عملية لا تخلو من المخاطر، لأنها تأخذك من المعلوم إلى المجهول.
- تحدد لك زمن النجاح عن طريق إعلامك: كم يبعد الهدف الذي ترغب في تحقيقه.
- عملية مفتوحة ومرنة ومتجددة.
- عملية تشجع التعليم والتغيير وتعديل السلوك.

معلومة: نسبة الذين يخططون في الحياة لا تتعدى ٣٪، وهي الفئة من الناس التي تقود الناس في كافة المجالات المتنوعة.

هناك مقولة في الإدارة تقول :

if you fell to plan you plan to fell يعني إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل.

" براين تريسي" أحد أكبر المختصين في التخطيط التسويقي والإنتاجي وأحد ملاك شركة " نايتن جيل إن كونانت " يقول: " إن مجرد كتابة القائمة الأسبوعية لتنفيذ بعض الأشياء يزيد من الإنجاز إلى حد ٣٠٪ ".

الرسالة (المهمة / الدور): هي ما تود أن تسير عليه في الحياة وهي عن شيء عام وطريق دائم، (وإلى ربّك فارغب).

الرؤية: هي النتيجة النهائية التي تسعى شخصياً لصنعها، وهي ما تود الوصول إليه والرؤية كلمة عامة للأهداف، (فإذا فرغت).

لما وضع (نيل أرمسترونج) قدمه على سطح القمر في ١٩٦٩ (توفي في نهاية شهر أب سنة ٢٠١٢) عادت بالناس الذكريات لكلمة: (جون كندي/ رئيس الولايات المتحدة) عندما قال في بداية الستينات: "قررنا أن ننزل القمر في نهاية هذا العقد".

بمجرد أن رسم (كندي) لأمته هذه الرؤية، تطور الأمر وسخرت السبل، ووطأ (أرمسترونج) قدمه على القمر.

يقول صلاح الراشد: " إن الرسالة مرتبطة ارتباطاً عميقاً في السعادة، والرؤية مرتبطا ارتباطاً عميقاً في النجاح ".

نحو الحس المستقبلي (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ):

يقول عبدالكريم بكار:" طبيعة التكاليف الربانية تجعل من المسلم رجلاً مستقبلياً، فهو منذ سن البلوغ وحتى الممات يلاحق هدفاً واحداً هو رضوان الله تعالى، وهو ضبط إيقاع حركته وفق متطلبات هذا الهدف ".

وبالتخطيط بغية الوصول إلى هدف محدد، ومواجهة الظروف المستقبلية، يستطيع الإنسان الخروج من الظروف الصعبة التي يحيا فيها، (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ). بتصرف.

القاعدة الرابعة: تحديد الهدف

يقول الدكتور إبراهيم القعيد: " الهدف هو الأمر الذي يرغب الإنسان في تحقيقه وإنجازه، وتعتمد الأهداف المطلوب تحقيقها على المكانة التي يضع الشخص نفسه فيها وطموحه وقدراته واهتماماته وتربيته والطريقة التي يفكر بها".

" ليست الأهداف ضرورية لتحفيزنا فحسب، بل هي أساسية فعلاً لبقائنا على قيد الحياة ". روبرت شولر.

يذكر الدكتور إبراهيم الفقي ~ خمسة فوائد وراء تحديد الهدف في مفاتيح أسرار قادة التميز (تحديد الهدف.. الطريق نحو السعادة والإنجاز) والأهداف هي:

١. التحكم في الذات: مهما حدث سوف تكون أنت المتحكم في مصيرك، أنت من تقرر أي الاتجاهات تختار ومتى تصل إلى هدفك المنشود، وشعورك بالتحكم سوف يساعدك في القضاء على أي عقبات تواجهك.

٢. الثقة بالنفس: والثقة بالنفس تجعلك أكثر إيجابية، وتحقيقاً لنتائج عظيمة، كما أنها تجعلك تؤمن بأنه في مقدورك تحقيق أهدافك وتحويل أحلامك إلى حقيقة. يقول أرخميدس: " أعطني مكاناً لأقف وسوف أحرك الكرة الأرضية".

٣. قيمة الذات: إذا ما حققت واحدا من أهدافك فسوف تزداد ثقتك بنفسك ويصير شعورك نحو ذاتك أفضل، كما ستؤمن أكثر بقدراتك وإمكانياتك.

٤. إدارة الوقت: سوف تكون أكثر دقة وتركيزا في سعيك لتحقيق الهدف إذا ما وضعت إطارا زمنياً لتحقيق هذا الهدف. لا بد لهدفك من إطار زمني فبالوقت يمكنك أن تحقق أهدافك بالضبط مثل السماء والنجوم تتحرك جميعها جنبا إلى جنب.

٥. تحسين حياتك: إذا ما كان لديك برنامج منظم ومتوازن لتحديد الأهداف فإنك سوف تكون أكثر تركيزا على أهدافك، مما يؤدي إلى رفع مستوى حياتك وستصير أكثر تحفيزا، وأكثر طاقة، وأحسن حالاً والأهم من ذلك ستكون أكثر سعادة. يقول روزفلت: " إن السعادة تكمن في متعة الإنجاز ونشوة المجهود المبدع ".

يقول الدكتور عوض القرني: " فلا بد أن يجعل الإنسان لكل وقت من حياته هدفاً ولكل عمل غاية وأن يبرمج حياته على هذا الأساس ولو تأملت في سير الناجحين في الحياة لرأيت أن النجاح في حياتهم كان بمقدار ما كانوا يرسمون لحياتهم من أهداف. قال الحسن البصري عن عمر بن عبدالعزيز (رحمهم الله تعالى): (ما ظننت عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية).

وقال سلمان: (إني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي).

والأهداف في حياة الإنسان تنقسم إلى قسمين:

١- أهداف كبرى كلية دائمة أو أهداف إستراتيجية.

٢- أهداف صغرى جزئية مرحلية أو أهداف تكتيكية.

ولا بد أن تكون الأهداف الصغرى خادمة للأهداف الكبرى، ودائرة في فلكها، ووسيلة لها، وطريقاً للوصول إليها.

وأكبر هدف، وأعظم غاية، وأسمى مقصد، يُمكن أن يسعى له الإنسان في الحياة، هو السعي لرضوان رب العالمين، بالوسائل التي شرعها الله لذلك". (حتى لا تكون كلا)

ويقول الدكتور (عبدالكريم بكار) :"ووجود هدف في حياة الواحد منا، يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير أوضاعه... إن كثيرًا من الناس يظهرون ارتباكًا عظيمًا في التعامل مع (اللحظة الحاضرة)، وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فتتحول فرص الإنجاز والعطاء إلى فراغ قاتل ومفسد" وهذا يجعلنا نقول: إننا لا نستطيع أن نسيطر على الحاضر، ونضبط إيقاعه، ونستغل إمكاناته، إلا من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي استثمار اللحظة الماثلة على أفضل وجه ممكن".

أنواع الأهداف من حيث المصدر:

هناك ثلاث مصادر رئيسية لتحديد نوع الهدف، من حيث التوافق والانسجام:

١- خالق الكون ورب العباد: ومن هذا المصدر العظيم تأتي الأهداف الإلهية، التي وضعها الله سبحانه لقضية العبودية والاستخلاف.

٢- المجتمع: ومن هذا المصدر تأتي الأهداف الاجتماعية، التي يرغب المجتمع الإنساني في وضعها وتحديدها وتحقيقها.

٣- الفرد: ومن هذا المصدر تأتي الأهداف الشخصية، التي يرغب الشخص في وضعها وتحديدها وتحقيقها.

مواصفات الهدف الجيد:

- أن تكون قابلة للقياس والوصف.
- أن تكون الأهداف منسجمة مع بعضها البعض.
- أن تكون في قوالب مرنة.
- أن يكون لها تاريخ محدد.

اجعل حلمك هدفك

كل منا يحلم، وقليل منا من يحقق حلمه، وكثير يصطدمون بواقع يحطم حلمهم، ولكن هناك طريقة واحدة في تحقيق الحلم، هي بمثابة سر، لأنه في عبارة واحدة: (**احلم بهدفك**). نعم، تصور المستقبل وما تأتي به الأيام، وما تحمله لك الساعات القادمة، بل اللحظات الآنية، تصور فيها

المستقبل كأنه حلم، احلم به، ثم احلم به، ثم احلم به، هذا هو الطريق الوحيد لتحويل أحلامنا إلى عمل، فإن لم يوجد حلم، لا يوجد عمل.

- والمهارة في عزيمة قوية لتحويل الحلم إلى عمل، وإلا سيظل حلماً كما هو، وهذا هو الانفصام بين أحلامنا والواقع، إنه في هذه العزيمة التي تحول الحلم إلى واقع ملموس، نعيشه ونتحرك به ويتحرك فينا، نعطيه من جهدنا ووقتنا ومالنا، ونواجه الصعاب التي تعترضنا.
- هذا الواقع لا يفرق بين كبير وصغير، أو بين عبقري متقدم وآخر متأخر، لأنه مرتبط بالهدف، والحلم به، والعمل به، ليصبح واقعاً ملموساً.
- وهذه الاكتشافات ما هي إلا نتاج الحلم، وهذه الأفكار ما هي إلا ثمرة الحلم، وهذه الإبداعات ما هي إلا نتيجة الحلم. ولكن ليس أيّ حلم، إنه الحلم بالهدف: يقول (عمر بن عبد العزيز): "**تمنيت الإمارة فأصبحت أميراً، ثم تمنيت الخلافة فأصبحت خليفة، ثم تمنيت الجنة فزهدت في الجنة**". حدّد هدفك، ثم احلم به، ولا تقف لحظة، فتبعد عن النجاح، لأن الطموح طريق النجاح.

لا تدع أحداً يسرق حلمك

عندما كان (مونتي) طالباً في المدرسة العليا، طلب المدرس منه، وزملاءه في الفصل، مهمة الكتابة عما يرغبون في عمله عندما يكبرون. كتب (مونتي) أنه يرغب في امتلاك مزرعة على مساحة هائلة من الأرض، يربي فيها العديد من خيول السباقات، فأعطاه المدرس درجة ضعيف جداً، وبرّر ذلك بأن الدرجة تعكس اعتقاده بأن حلمه كان بعيداً عن الواقعية، فكيف لغلام فقير، يعيش في الشارع على ظهر شاحنة، يمكنه بأي حال من الأحوال أن يجمع مالاً يكفي لشراء مزرعة على مساحة هائلة من الأرض، وشراء الخيول وأدواتها ومتطلبات تربيتها، وأيضاً دفع أجور العاملين في المزرعة. وعندما عرض المدرس على (مونتي) فرصة إعادة كتابة ورقته من أجل الحصول على درجة أعلى، قال له (مونتي) : " **احتفظ أنت بالدرجة، وسأحتفظ أنا بحلمي**".

واليوم أصبح (مونتي) يمتلك مزرعته المقامة على مساحات شاسعة من الأرض في (كاليفورنيا)، يربي فيها خيل السباق، ويدرب المئات من مربي الخيول، وذلك: لأنه لم يدع أحداً يسرق حلمه...!!!

اجعل عينك على الغد

يقول (جمال ماضي): كم من الساعات التي مرت عليك، اسأل نفسك: كم الساعات منها المظلمة التي مرت عليك، وكم منها كان في صفاء ونور وإشراق؟!!، أيهما أولى بالتسجيل عندك؟ الساعات السوداء، أم الساعات المشرقة؟ من أراد أن ينظر للغد، فلا يسجل ساعات الظلمة!! .

- **وكم من الأيام مرت عليك**، اسأل نفسك أيضا: كم من الأيام التي مرت عليك أيام كرب، وكم منها أيام سعادة؟ من أراد أن ينظر للغد، فعليه أن ينسى أيام الكرب، ويستقبل العمر بالبشاشة، فالغد هو ما تبقى من العمر، فاجعله غداً سعيداً.
- ومن أراد أن يجعل عينه على الغد، فعليه أن يتسلح بسلاحين:

الأول: سلاح الأمل، يقهر به الخوف والقلق والتشاؤم.

والثاني: سلاح العمل، يقهر به شيخوخة الشباب، بالتقدم الدائم، والتسابق المستمر، والمبادرة. ولن يضمن ذلك إلا في ظلال الحب والتعاطف والتسامح، وبذلك يضمن الاستمرار في العمل. (جمال ماضي: كيف تحقق النجاح)

الأمور المصاحبة لتحقيق الهدف:

أربعة أمور دائمًا تصاحب أي هدف ليتحول إلى واقع نراه ونلمسه، وحينما تتأمل أنت حياتك اليومية، يتأكد لك بأنك في كل لحظة في حياتك يكون لك فيها هدف، فأنت بصورة طبيعية تمر بهذه الأمور:

١ـ فرصة متاحة:

ما أنت فيه من وقت، وما تعيشه من لحظات، هي قدر الله، ولذلك فهي فرصة متاحة، ربما لا تجدها مستقبلاً، ولو مرّت، فإنها لا تعود.

٢ـ خبرة جديدة:

بالانغماس وانتهاز الفرصة والانشغال بالاستفادة بها، أنت تمرّ عبر خبرة جديدة، دون أن تدري، وهذه الخبرة تتعمق في داخلك، وتضاف إلى رصيد التجارب.

٣ـ مشاركة فعالة:

ماذا لو أنك لم تتحرك أو تنشط أو تعمل؟ ستكون وحيدًا بمفردك، وتقع فريسة للملل والفتور، ولكن إذا كان من طبيعة أي عمل أن يقوم به أفراد، فالمشاركة بهذا النشاط تكون فعالة في اختصار الطريق نحو الهدف، وتبادل الخبرات، التي تثري عملك، وتجعل له قيمة عظيمة.

٤ـ موقف لا ينسى:

كل الخطوات السابقة هي مراحل لصناعة موقفك الذى لا تنساه أبدًا، لأنه جاء مختلطاً بجهدك ونشاطك وخبرتك ومشاركتك مع الآخرين، فهو ليس آتيًا من فراغ، أو جاءك خبطًا عشوائيًا، إنه نتيجة وثمرة لتعب مضنٍ قدمته، وما زلت تقدمه.

ماذا لو أنك افتقرت إلى هدف ؟

احذر، لأنك في وقتها تفضل أي شيء آخر – حتى ولو كان تافهًا – على تحقيق هدفك، مثل مشاهدة مسلسل، أو متابعة برنامج، أو تسلية، أو قضاء وقت مع أصحابك. والضحية هو غياب حلمك، لأن الهدف غاب عنك .

احذر غموض الهدف– من أين يأتي غموض الهدف؟

ألم تجرب يومًا أن سرت في موضوع، وسألت نفسك بعد فترة من السير: إلى أين أريد ؟ وإلى أين أسير؟ فإن كان الهدف واضحًا، كانت الإجابة شافية وحاضرة ومعلومة، أما إذا كانت الإجابة متلعثمة مترددة، غير معلومة، وصعب الإجابة عليها، فاعلم أن هدفك غامض، وكلما كان هدفك واضحًا، فإنك تكون قد قطعت شوطًا هائلاً إلى تحقيق حلمك وما ترمي إليه.

الذي معك في الحلم: مشاكلهم محل اهتمامك

ومن أجل تحقيق الوضوح لا بد أن تعلم جيداً، الذين معك في هذا الحلم، قد يكون هؤلاء أبناؤك أو والداك أو أقاربك أو زوجتك، فهل تعرفت على اهتماماتهم ورغباتهم، سواء التي يعبرون عنها، أو التي لا يعلنونها، ولا يفصحون عنها، ولكنها عرضًا تكون ظاهرة وواضحة .

ولا يتحقق ذلك إلا بشيء واحد، عندما يرون أن مشاكلهم محل اهتمامك، فتراهم يزدادون معك نشاطاً، وتختفي ظاهرة عدم الاهتمام، أو عدم المبالاة.

أو بمعنى آخر: ماذا يتوقعون منك ؟

هذه العبارة لابد أن تتردد في داخلهم، ولذلك فهم يريدون منك الوضوح، فلا تفاجئهم بحالة جديدة، إلا بعد تهيئة تطول أو تقصر، ولكنك بذلك تضمن مساهمتهم لك في كل الظروف.

اغتنم تنوع الأساليب

وهذا ما يطلقون عليه فعالية التحقيق، أو تحقيق العمل بطريقة فعالة، وأيًا كانت الأسماء، فإن اكتشاف أساليب جديدة دائماً لها فوائد عظيمة، فالناس مختلفون على الحقيقة، وهذا الاختلاف كله لصالحك، فالذين يهتمون بتنوع الأساليب، يساعدونك على إحداث التغيير، أما الحريصون منهم، فإنهم يساعدونك على أن تكون واقعيًا .

المهم في الحالتين:

أن تستمع جيدًا إلى أي نقد بعناية، ولا تدعه يقلق بالك، واستقبل النصح لك كمساعدة تُحترم وتُبجل، وتشكرهم عليها.

اقطع الملل بتنوع الأساليب:

قد يشعر البعض بالملل من طريقة واحدة تقليدية تعتمد على التكرار، أو على أسلوب نمطي فقط. ومن بين الأساليب الجديدة، أسلوب الذكاءات المتعددة، مما يحدث نوعاً من الفاعلية المطلوبة، ومن ثم يبحث صاحب الحلم دوماً إلى استعمال وممارسة أفضل الأساليب الحديثة، التي تحقق له مزيداً من الفهم والدافعية. (جمال ماضي: كيف تحقق ما ترمي إليه)

القاعدة الخامسة: التميّز

المتأمل في الآيتين يستنتج أن التميز هو شعار الناجحين، ودأب الطامحين إلى العلا.

والتميز يعني: العمل الدءوب، ومواصلة الاستمرار عليه، لتحقيق التميز في الحياة. وهذا يعني مداومة التطوير الذاتي، ورفع مستوى الإيمان والأخلاق والعادات، وتسخيرها لتحقيق رسالتك في الحياة.

قال رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**): " **إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس** ". (سنن أبو داود)

❖ **كيف تتميز؟**

١- اكتشاف الذات: قيّم نفسك، اكتشف نقاط القوة والضعف في شخصيتك. ويجب أن تكون عملية اكتشاف الذات واقعية وعملية صادقة وأمينة، تحدد ما تراه في نفسك الآن من جوانب ضعف، وما تراه من جوانب قوة، وليس ما يجب أن تكون.

٢- وضع معايير عالية: ضع أفضل التصورات والمعايير لما تريد أن تكون عليه" ثم ابدأ مباشرة العمل الدءوب، وابحث عن كل الطرق والوسائل المتاحة التي تقربك من تحقيق التميز.

٣- الإتقان: ونعني به:

- الدقة: وتعني مباشرة العمل بتركيز شديد وبطريقة احترافية.
- الاهتمام بالتفاصيل: معرفة المعوقات، واستقصاء لأجزائه الصغيرة والكبيرة.
- المتابعة: السير في طريق التنفيذ والاستمرارية.

يقول (عبدالكريم بكار): " فأنت ترى عشرات الألوف من المهندسين والمدرسين والأطباء الشديدي التشابه والمتقاربين في أدائهم، ولا تكاد تجد المتميزين منهم يصلون إلى ٥٪. أما المتميزون جداً جداً، فهم قد لا يصلون إلى خمسة بالألف.

وقد يسأل سائل وما سر هذا التميز؟ والجواب على هذا التساؤل يكمن:

١- يؤمن المتميزون إيماناً قوياً بالارتباط بين الأسباب والنتائج، وانطلاقاً من هذا، فإن المتميزين لا يعترفون بالإخفاق، وإنما يعترفون بوجود نتائج غير جيدة في بعض الأحيان، وأنهم قادرين على قراءة الأسباب واكتشاف مواطن الخلل، ثم الانطلاق من جديد.

٢- يتمتع المتميزون بعقلية الوفرة، وأن هناك إمكانية دائمة للإضافة والتطوير في كل مجالات الحياة" ولذا فإنهم يقدمون حين يحجم الآخرون، ويغامرون حين يتخوف العاديون، والمستحيل عندهم لا يعدو أن يكون شيئاً عسير الحصول في المدى القريب.

٣- يثقون بقدراتهم الذاتية، ويتوقعون من أنفسهم النجاح، ويصرفون على أساس ذلك. وهم لثقتهم بأنفسهم يجعلون الناس يثقون فيهم.

٤- الناجحون يركزون جهودهم فيما يحسنونه، ويعرفون كيف يكتشفون المجال الأكثر مناسبة لقدراتهم وتطلعاتهم" ولذا فإن النتائج التي يحصلون عليها تظل متميزة.

٥- الإصرار والدأب والقدرة على الاستمرار في بذل الجهد من أهم ما يمتاز به المتفوقون والناجحون، (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ).

٦- طموحات الناجحين واسعة، وكلما حققوا نجاحاً تطلعوا إلى نجاح أكبر منه، فهم أقوام لا يرضون من أنفسهم بالقليل (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ).

طفل مصاب بالكساح يحطم ويسجل أرقاماً قياسية

فتى صغير ولد في بيئة فقيرة في قطاع مهمل في مدينة (سان فرانسيسكو) الأمريكية، بدت أهدافه مستحيلة في نظر الجميع، باستثنائه هو. كان الفتى من المعجبين بلاعب كرة القدم الأسطورة (جيم براون) الذي كان يلعب في فريق (كيفلاند براونز).

وعلى الرغم من أن ذلك الفتى كان مصاباً بالكساح نتيجة لسوء التغذية، وأن ساقيه كانت أصبحتا مقوستين منذ أن كان في السادسة من عمره، كما أن عضلات ساقيه كانت ضامرة، بحيث كان يطلق عليه مسمى (سيقان قلم الرصاص)، فقد وضع لنفسه في أحد الأيام هدفاً بأن يصبح نجماً في كرة القدم، مثل البطل الذي كان معجباً به. ولم يكن يملك المال لحضور المباريات الرياضية في كرة القدم، ولذا كان يحرص في كل مرة يلعب فيها (براونز) على الانتظار خارج الملعب الرياضي إلى أن يفتح العاملون في الصيانة بوابة الملعب في الربع الأخير من المباراة، وحينذاك كان يعرج داخلاً الاستاد الرياضي لكي يتشرب ما بقي من المباراة.

وفي النهاية، وبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً قدّر للفتى أن يلتقي بمن كان يحلم به طيلة حياته. إذ دخل إلى حانوت لبيع (الأيس كريم)، بعد مباراة لفريق (براونز)، ليرى هناك مثله الأعلى الذي يكّن له كل الإعجاب منذ طفولته الأولى. اقترب من نجم كرة القدم، وقال له: " إنني ممن أشد المعجبين بك يا سيد براونز"، شكره (براونز) بكل احترام، ولكن الفتى تابع بإصرار قائلاً: "هل تدري يا سيد براون؟" فالتفت له ثانية وهو يقول:" ماذا هناك يا بني؟" قال الفتى:" أعرف كل رقم قياسي حددته، وكل ضربة سددتها". ابتسم (جيم براون) وقال: "هذا عظيم". تابع الفتى بإصرار وهو يحدق في عيني بطل كرة القدم بانفعال وحب لم يخفيا على (براون)، وقال:" هل تدري يا سيد براون، سأحطم في يوم من الأيام كل الأرقام القياسية التي سجلتها!" ابتسم اللاعب الأسطورة وقال:" هذا عظيم يا بني! ما اسمك؟" ابتسم الفتى ابتسامة غمرت وجهه وقال:" أورينتال جيمس سيمبسون، وأصدقائي ينادونني، أوه. جيه. سيمبسون. كسر الفتى بالفعل كل الأرقام القياسية التي كان سجلها (جيم براون) من قبل، بل وسجل أرقاماً قياسية جديدة. (عن: أيقظ قواك الخفية ص٢٩٥، أنتوني روبنز، ط١٢، مكتبة جرير)

القاعدة السادسة: الإبداع

يقول روزفلت: " إن السعادة تكمن في متعة الإنجاز ونشوة المجهود المبدع ".

تعريف الإبداع:

- أبدعت الشيء: اخترعته على غير مثال سابق.

- أن ترى ما لا يراه الآخرون.
- أن ترى المألوف بطريقة غير مألوفة.
- هو تنظيم الأفكار وظهورها في بناء جديد، انطلاقاً من عناصر موجودة.
- طاقة عقلية هائلة، فطرية في أساسها، اجتماعية في نمائها، مجتمعية في انتمائها. (مبادئ الإبداع... السويدان)

دوافع الإبداع

لماذا المؤمن يحتاج للإبداع في حياته اليومية ؟ ألا تدلنا الآية الكريمة (فإذا فرغت) أي إذا انتهيت من عملك على أحسن وجه وأفضل إنجاز والاستمتاع به ... أليس يملك دوافع تحفزه للتميز على الغير. ومن الدوافع المحفزة للإبداع، ومنها دوافع محفزة خارجية" ومنها ما يتعلق بالعمل والعبادة" ومنها ما تكون دوافع محفزة داخلية، وهذا الدافع يعد من أكثر الأنواع قوة واستمراراً في التأثير والفاعلية.

ومن هذه المحفزات الدافعة:

- الحصول على رضا الله سبحانه تعالى.
- الحصول على الأجر والمثوبة من الله تعالى.
- الحماس في تحقيق الأهداف الشخصية.
- الحصول على رضا النفس وتحقيق الذات.
- الحيوية والنمو يحتاجان إلى ومضة الإبداع.
- التصدي للمشكلات العامة والخاصة ومنها المشاكل الطارئة.

❖ **من هو المبدع وما خصائصه؟**

المبدع إنسان كغيره... غير أنه وعاء مملوء بانفعالات صادقة، تأتيه من كل صوب، من قراءاته، تأملاته، ملاحظاته، احتكاكاته، اهتماماته، ومعاناته.. فينفذ ما قرأه وما سمعه وما شاهده وما وعاه، ويمتلك خصائص تميزه عن الآخرين: عقلياً، ونفسياً، واجتماعياً، وعملياً.

الصفات الاجتماعية:

- يميل إلى مجاراة الناس ومجاملتهم.
- يشعر بالحرية ويعشقها.
- يقاوم تدخل الآخرين في شؤونه.

- يفضل السلوك والأشياء المقبولة اجتماعيا.
- يقدم العون للآخرين.
- يطمح للوظائف العالية.
- يمكن الاعتماد عليه.
- يملك القدرة على نقد ذاته والإحساس بعيوبه.
- يحب النشاط الاجتماعي والثقافي.
- يتقبل الاقتراحات والنقد من الآخرين دون أن تثبط عزيمته
- يميل إلى حضور المناسبات العامة.
- قادر على كسب الأصدقاء.
- يتحمل المسؤولية، ويملك القدرة على قيادة الآخرين.
- يفضل مصاحبة الموهوب على العادي.
- يميل لمصاحبة الأكبر منه عمراً.
- لديه رغبة قوية في التفوق على أقرانه.
- يتمتع بسمات مقبولة اجتماعياً.
- يتمتع بالحب والشعبية العالية بين أقرانه.
- يفضل الألعاب المعقدة والأنشطة التي تحتاج إلى تحد.
- يجيد فن الكلام والخطابة.
- يقابل الآخرين بالابتسامة.
- يميل إلى المرح والبهجة وروح الدعابة.
- يتفنن في تقديم الهدية.
- ذو حس جيد بالنكتة.
- يراعي الزمان والمكان في تقديم الهدية.
- لا يحب الخضوع للأوامر المتشددة.
- يراعي الزمان والمكان في لباسه.
- لا يميل إلى التباهي واستعراض المعلومات والمفاخرة بنفسه.
- متواضع ولا يحب التكبر والمتكبرين.
- تفاعله الاجتماعي واسع وشامل، لأنه سرعان ما يندمج.

- يرغب في الانعزال عن الناس أحيانا.
- في الجماعات الكبرى ، يشعر بأنه جزء متمم للجماعة، رغم عدم مسيرتها أحيانا.
- يفضل تكوين علاقات وثيقة مع الآخرين.
- لديه حس جماعي مرتفع.
- لا يهتم بالنشاطات الاجتماعية التي من شأنها أن تضع عليه قيودا معينة.
- ناضج أخلاقيا، ولديه قيمة للصدق.
- متقبل من قبل الآخرين.
- يعتز بنفسه ويثق بها.
- ينزل الناس منازلهم في الحديث والمناقشة.
- يحب الاستقلالية.
- يحرص على التنويع في استخدام وسائل وطرق بناء العلاقات.
- يراعي الآداب والعادات الاجتماعية.
- يتسم سلوكه بالتحدي في بعض الأحيان.
- لا يطيل البقاء والمكوث في الزيارات الاجتماعية.

الصفات الوجدانية (الانفعالية):

- يتمتع بمستوى من التكيف والصحة النفسية.
- عنيد في بعض مواقفه.
- يتوافق بسهولة مع التغيرات المختلفة.
- لا يميل إلى التحامل والتعصب.
- يلاءم نفسه مع المواقف الجديدة.
- لا يتخلى عن رأيه بسهولة، ويدافع بشدة.
- يعاني أحيانا من بعض أشكال سوء التكيف والجنوح والإحباط نتيجة نقص الفرص المتاحة في المدرسة أو الدائرة لمتابعة اهتماماته الخاصة.
- لا يحب إطلاع الآخرين على أفكاره.
- تظهر عليه أحلام اليقظة.
- يحرص على أن يكون أعماله متقنة وجادة.

- لا يضطرب أمام المشكلات التي تواجهه.
- يتضايق ويتململ من الأنشطة العادية.
- يتحلى بدرجة عالية من الاتزان الانفعالي.
- إرادته قوية.
- سريع الرضا إذا غضب.
- لا يحبط بسهولة إذا فشل.
- لديه مقدرة على الصبر والتسامح.
- لديه القدرة على تحمل المضايقات والمنازعات.
- يرتبك أحياناً إزاء الأشياء والأحداث التي هي واضحة للآخرين.
- لا يعاني من مشكلات عاطفية حادة.

الصفات الجسمية:

- طاقته للعمل عالية.
- نموه العام سريع، وخاصة في مرحلة الطفولة.
- يحب الجري، ويمشي مبكراً.
- يتمتع بقسط وافر من الحيوية والنشاط.
- يتحمل المشاق والصعاب.
- ينام لفترة قصيرة.
- يملك طاقة زائدة باستمرار.
- يتفوق على أقرانه في نشاطه الحركي.

الصفات العقلية:

- قوي الذاكرة.
- يقرأ ويكتب ببطء، بسبب اهتماماته العقلية .
- دائم التساؤل.
- يفضل الكلام المباشر على استعمال الرموز.
- سريع التعلم والحفظ والفهم.

- يحب الاطلاع في عمق واتساع.
- متفوق في التحصيل الدراسي.
- عنده رغبة قوية في المعرفة.
- قادر على المثابرة والتركيز.
- يهتم بالكلمات والأفكار.
- قادر على الانتباه والتفكير الهادف.
- حصيلته اللغوية واسعة وخصبة وثرية.
- سريع الاستجابة للمتغيرات.
- يستمتع بقراءة القصص وكتابة القصائد.
- حاضر البديهة.
- قادر على التعبير عن أفكاره بسهولة وبدقة.
- واسع الأفق والتطلع.
- يتناول المشكلات بأسلوب متعدد الحلول.
- يملك القدرة على التحليل والاستدلال،
- يهتم بالمسائل العقلية والعلمية.
- ويربط بين الخبرات السابقة واللاحقة.
- يجد متعة في البحث والاكتشاف، وترتيب الأشياء وتصنيفها.
- محب للاستطلاع والفضول العقلي.
- أفكاره جديدة ومنتظمة.
- يهتم بكل ما حوله.
- يصوغ الأفكار بسهولة.
- يتركز طموحاته المهنية على المهن الراقية.
- يقترح أفكار قد يعتبرها الآخرون غريبة.
- يهتم بالمستقبل.
- يعطي أولوية للخيال العلمي.
- يتلقى التعليمات بشيء من التساؤل.
- يختبر الأفكار والخبرات الجديدة.

- يشك في صلاحية تطبيق القواعد والقوانين القائمة.
- واضح ودقيق التفكير.
- قادر على الاستنتاج والاستقراء والتعميم وصياغة المفاهيم.
- له قدرة فائقة على الملاحظة.
- خصب الخيال.
- قادر على تنظيم العمل.
- يحرص على التقدم في حياته.
- يرغب في المخاطرة.
- متوازن في حياته.
- يعمل ويختار الأمور والأهداف الصعبة.
- يحاول أن يتعلم قبل أن يصل إلى سن المدرسة.
- يؤدي الأعمال الصعبة بسهولة.
- مرن وقادر على تغيير الحالة الذهنية بتغيير المواقف
- شجاع، مقدام، لا يهاب ولا يتراجع.
- لا يتبع الأساليب الروتينية في عمله.
- حازم غير متردد.
- قادر على القيام بعمل فعّال بصورة مستقلة.
- مستقل الرأي، وموضوعي في حكمه.
- قادر على التخطيط والتنظيم والاستبصار.
- يميل إلى إثارة التساؤل والتشكك حول صحة تطبيق القوانين والنظريات والأسس العامة، التي يعتبرها الغير قضايا مسلّمة، وغير قابلة للجدل.
- قادر على ترتيب الأفكار.
- قادر على تعديل السلوك بسهولة ويُسر في مواجهة أوضاع وظروف جديدة.
- يهتم بالمعاني والمؤشرات، دون الدخول في التفاصيل قليلة الأهمية.
- يميل إلى الطلاقة اللفظية.
- قادر على الاندماج في العمل.
- لا يحب أن يفرض سلطته على الغير.

- قادر على توليد ألوان من النشاط تؤدي إلى نتائج متميزة.
- يفضل ألاّ يخضع لسلطة الغير.
- حساس تجاه المشكلات.
- لا يعتقد بوجود الصواب المطلق، أو الخطأ المطلق في الأفكار
- تبدو عليه الثقة في قدرته على تنفيذ ما يريد.
- يحب التأمل والتفكير، على اللغو والثرثرة.
- لا يحب أن يتمسك بخطة يومية صارمة.
- لا يضطرب إزاء ما يواجهه من مشكلات.
- يفضل في بعض الأحيان أن يعمل بمفرده.
- يكره العمل في مواقف تحكمها قواعد وتنظيمات صارمة.
- يميل إلى العزلة والتأمل والتركيز.
- يملك القدرة الكبيرة على تحمل المسؤولية.
- عندما تخطر بباله فكرة ما، فإنه لا يدعها جانبا، بل يتأملها ويتخيلها ويقلبها مرات عديدة، قبل أن يصدر الحكم عليها.
- يبادر بالعمل، ومستعد لبذل الجهد.
- قادر على فهم دوافع الآخرين.
- لا يميل إلى التعصب أو التحامل
- متفتح العقل على كل الخبرات.
- يملك درجة معقولة من الاتزان الانفعالي.
- على درجة عالية من إدراك القصور أو العيوب في المواقف أو النظم أو الأشياء.
- يتوقف أحيانا عن حل المشكلات" ولكنه لا يتوقف عن التفكير فيها.
- متحمس لأفكاره وأعماله.
- تلقى أفكاره تجاهلا، أو معارضة، أو سخرية من بعض زملائه.
- لديه قدرة متميزة على تنظيم أفكاره.
- يزود جماعته بأفكار جديدة تحتاج إليها في كل ما يواجهها من مشكلات.
- متعدد الميول والاهتمامات.
- يرغب في توجيه أسئلة كثيرة.

- يفضل التنافس والتحدي، على التعاون والمسايرة.
- يتميز بالقدرة على المقارنة والتعبير.
- يحب التمعن في الأفكار الجديدة.
- يغير هوايته بسرعة إلى هواية أخرى.
- يقاوم تدخل الآخرين في شؤونه.
- لديه قدرة على اتخاذ القرار.
- إيجابي كثير التفاؤل.
- يملك درجة عالية من الذكاء.
- لديه دافعية مرتفعة للإنجاز، كما أن قدرته على مواصلة الإنجاز والاحتفاظ به مرتفعة.
- يحب التغيير والتجديد.
- لا يحب الإمعة أو التقليد الأعمى.
- لديه القدرة على التعامل الحر مع المفاهيم.
- لديه القدرة على تنظيم العمل باستمرار.
- يستخدم طرقا غير مألوفة في إنجاز ما يكلف به من أعمال.
- يستعمل وسائل مبتكرة وجديدة لحل المشكلات وإنجاز الأعمال.
- يفضل أن يناقش ما يصدر إليه من أوامر مع رؤسائه.
- يزيد الفشل من عزمه وتصميمه على إيجاد حل لما يواجهه من مشكلات.
- فضولي لا يشبع فضوله شيء.
- يفضل التصميمات غير المتناسقة.
- لا يفهم لماذا لا يراه الآخرون معقولا بأعماله.
- يعرف أنه مختلف عن الآخرين.
- يفضل أن تكون أحكامه حدسية أكثر من أن تكون مبنية على التحليل....
- لديه شغف بزيادة المعرفة والتعرف على الأسباب.
- يفكر بطرق مختلفة عن الآخرين، بعيدة عن الطرق التقليدية.
- لا يقبل بالروتين، يقدم الجديد.
- لا يمل من المحاولة والتكرار حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.
- دائم التفكير والتأمل والمراجعة لأعماله ومهامه ومسئولياته.

○ المبدع شخص مرن، والعمل الجاد يأتي من العمل النشيط لشخص مرن وذي فعالية عالية.

يقول (ستيفن كوفي) في عاداته: شحذ المنشار (التجديد)

حد المنشار قد لا يستطيع القطع مع كثرة الاستعمال، ويكون الحد في حالة لا تسمح باستخدامه بفعالية. ولكي نعمل بفعالية نحتاج إلى شحذ المنشار. بمعنى آخر نحتاج إلى صيانة وتطوير أنفسنا. ومفتاح النجاح لشحذ المنشار يكمن في العمل بصفة دوريه على الأبعاد الأربعة للتجديد:

(البدنية – العقلية – الاجتماعية – الروحانية) **(نحتاج للعمل لمدة ٣ ساعات تقريباً أسبوعياً على الأربع مناطق** (عندنا الصلوات المفروضة يستغرق حوالي الخمسين دقيقة يومياً إذا كانت جماعة أو في مسجد).

(هل أمارس تطوير مستمر في الأبعاد الأربعة في حياتي: البدنية، العقلية، الاجتماعية، الروحانية؟) (بتصرف)

القاعدة السابعة: التوازن

التوازن يعني: النظرة الوسطية للأمور، والاعتدال بين أطراف متناقضة. أي البعد عن طرف الإفراط والحماس الزائد والغلو والتشدد والمبالغة، وكذلك البعد عن الطرف الآخر، وهو التفريط والميوعة والتهاون. وهو ركيزة من ركائز الحياة الإسلامية، حض عليها ديننا العظيم، أي أن قضية التوازن هي عملية شد وجذب بين أقطاب متنافرة، يحتاج المرء فيها للجهد والتركيز ومراجعة الذات والمراقبة والمجاهدة والمحاسبة، وهي فوق ذلك كله عملية نسبية تعتمد على الحكم الشخصي للإنسان، وقربه من السلوك الإسلامي. (العادات العشر).

آيات تحث على التوازن:

- قال تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) لقمان (١٩).
- وقال: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) الإسراء (٢٩).
- وقال: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا) القصص(٧٧).
- وقال: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) الفرقان (٦٧).

أحاديث تحث على التوازن:

- قال رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**): " **لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**". (البخاري)
- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: " **ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، حسبك يا ابن آدم لقيمات يقمن صلبك، فإن كان لا بد، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس**". (ابن حبان)
- وقول عبد الله بن عمر: " **احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** ".

حاجتنا إلى التوازن:

يقول الدكتور (إبراهيم القعيد):" ويمكن النظر إلى التوازن على اعتبار أنه: حسنة بين سيئتين (سيئة الإفراط وسيئة التفريط)، وخير بين شرّين (شر الغلو وشر الإهمال)، وحق بين باطلين (باطل الزيادة وباطل النقص)، وسعادة بين شقائين (شقاء التهور وشقاء الانسحاب).

فالكرم حسنة بين سيئتين: بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين الجبن والتهور، والحلم بين الحدة والتبلد، والبسمة بين العبوس والضحك...".

ويقول الدكتور (محمد قطب): "التوازن هو سمة من سمات الإنسان الصالح– معنى واسع شامل يشمل كل نشاط الإنسان، توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح. توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته. توازن بين ضروریاته وأشواقه. توازن بين الحياة في الواقع، والحياة في الخيال. توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس، والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس. توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية. توازن بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. توازن في كل شيء في الحياة. (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) البقرة ١٤٣.

يقول الدكتور (عبدالكريم البكار): " والمسلم اليوم بحاجة ماسة إلى أن يرسخ في نفسه خلق الشعور بالواجب والمسئولية تجاه ربه سبحانه، ثم تجاه أسرته وعمله الذي يأخذ عليه أجرة عليه، وتجاه مجتمعه وأمته الكبرى. الإحساس بالواجب يجعل المرء يتجاوز المصلحة المباشرة والفردية، ليظهر التزامه نحو غيره، والتضحية من أجله. وأن ضعف الشعور بالواجب يتولد عنه تلقائيا ضعف الشعور بالمسئولية. ويتولد عن ضعف الشعور بالمسئولية شعور عميق بالتفاهة والعقم والفراغ.

بالإضافة إلى كل ما سبق، فإن مسلم اليوم مطالب بأن يبحث عن التوازن في كل مظاهره وأشكاله: يوازن بين إمكانياته وطموحه، وبين حاضره ومستقبله، وبين حاجياته الروحية والفكرية، وحاجاته المادية، وبين خصوصياته وعلاقاته الاجتماعية... لأن المرء حين يصاب بأزمة كبرى...يفقد حاسة الاتزان لديه، ويصبح الاستغراق في شيء على حساب شيء آخر مرضاً عاماً أشبه بالوباء. وانظر إلى إشعاعات قول الله (جل وعلا): (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا) القصص(٧٧). وقوله: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) الفرقان (٦٧)". (اكتشاف الذات– دليل التميز الشخصي).

ساعة من وقتك

عاد الأب متأخراً من عمله كالعادة، وقد أصابه الإرهاق والتعب، وجد ابنه الصغير ينتظره عند الباب سائلا إياه: كم تكسب من المال في الساعة يا أبي؟

فرد الأب غاضبا: هذا ليس من شأنك، ما الذي يجعلك تسأل هذه الأسئلة السخيفة؟

فرد الابن: فقط أريد أن أعرف، أرجوك أخبرني. فرد الأب وقد ضاق ذرعا به: خمسين جنيها في الساعة. فأطرق الابن وقال: هلا أقرضتني عشرة جنيهات من فضللك؟

فثار الأب وقال لابنه: إذا كنت تريد أن تعرف كم أكسب لكي أعطيك عشرة جنيهات تنفقها على الدمى السخيفة والحلوى، فاذهب إلى غرفتك ونم، فأنا أعمل طوال اليوم ولا وقت لدي لتفاهاتك هذه.

لم ينطق الصبي، وذهب بهدوء إلى غرفته، وجلس الأب غاضباً محدّثاً نفسه: كيف يستجوبني بهذا الأسلوب الابتزازي للحصول على بعض المال؟ وبعد أن هدأ بدأ يفكر فيما حدث، وشعر بأنه كان قاسياً مع طفله، فذهب إلى غرفة ولده، وفتح الباب قائلا:

هل أنت نائم يا عزيزي؟ فرد الابن: لا.. ما زلت مستيقظاً.

فقال الأب: لقد كنت قاسياً معك، فقد كان اليوم طويلا وشاقا في العمل، تفضل هذه عشرة جنيهات، تهلل وجه الصبي فرحاً وقال: شكراً يا أبي، وفوجئ الأب بالصغير يضم الجنيهات إلى أخرى تحت وسادته، فاستشاط الأب غيظاً، لأن الصغير طلب المال ومعه غيره، وسأله غاضبا: لماذا طلبت المال وكل ذلك معك؟

فرد الطفل ببراءة: لم يكن لدي ما يكفي، الآن أصبح لدي خمسون جنيهاً، وأريد أن أشتري ساعة من وقتك يا أبي نقضيها معا❐

المصادر

١. الشيخ محمد الغزالي: جدد حياتك.
٢. د. إبراهيم الفقي: مفاتيح أسرار قادة التميز (إدارة الوقت... القيمة الحقيقية للحياة).
٣. د. إبراهيم الفقي: مفاتيح أسرار قادة التميز (القرار.. الطريق نحو النجاح).
٤. د. إبراهيم الفقي: أيقظ قدراتك واصنع مستقبلك.
٥. د. إبراهيم بن حمد القعيّد: العادات العشر للشخصية الناجحة. دار المعرفة للتنمية البشرية.
٦. د. صلاح الراشد: كيف تخطط لحياتك، مركز الراشد.
٧. د. طارق السويدان: مبادئ الإبداع، شركة الإبداع الخليجي.
٨. د. عبدالكريم بكار: اكتشاف الذات " دليل التميز الشخصي".
٩. د. عبدالكريم بكار: أهمية رسم الأهداف– شبكة مشكاة الإسلامية.
١٠. أنتوني روبنز: أيقظ قواك الخفية.
١١. ستيفن كوفي: العادات السبع للأشخاص الأكثر فعالية.
١٢. الشيخ عائض القرني: حتى تكون أسعد الناس.
١٣. الشيخ عائض القرني: مفتاح النجاح.
١٤. الشيخ عوض القرني: حتى لا تكون كلاً.
١٥. علي غانم الطويل: الشخصية المغناطيسية.
١٦. د. محمد قطب: منهج التربية الإسلامية.
١٧. د. مأمون طربيه: تميّز وتواصل بنجاح. دار المعرفة، بيروت.
١٨. هادي المدرسي: أساليب النجاح.
١٩. جمال ماضي: كيف تنجح في الحياة ؟.
٢٠. جمال ماضي: انطلق.
٢١. د. كمال أبو سماحة، وآخران، تربية الموهوبين والتطوير التربوي.
٢٢. د. علي الحمادي: صنعة العظماء.
٢٣. د. علي الحمادي: صناعة الإبداع.
٢٤. محمد عبد الجواد: كيف تنمي مهارات الابتكار.
٢٥. جمال حسين الآلوسي وأميمة علي خان: علم نفس الطفولة والمراهقة.
٢٦. د. احمد بلقيس، د. توفيق مرعي: المسير في علم النفس التربوي.

مرافئ

إصلاح يحتاج إلى إصلاح !

د.يحيى عمر ريشاوي

✍ لعل أصعب ما في عملية الإصلاح السياسي والإداري الجاري في هذا البلد، يكمن في الآتي:

– إنّ من يطالب بالإصلاح، ويشكّل اللجان له، ويملأ الفضاء الإعلامي والجماهيري صخباً وصياحاً، هو المتهم الأول والعائق أمام عملية الإصلاح!.. في أغلب الأحيان هؤلاء هم الذين مهّدوا الطريق لانتشار هذه الآفة في جسد الأمّة، وحين تسمع منهم نداءاتهم وخطبهم حول الإصلاح، ومحاولاتهم (الفاشلة بالتأكيد)، لا يبقى لك سوى أن تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل !

– المعضلة الأخرى في عملية الإصلاح، تكمن في الوقت المستغرق، والزمن الذي تعيشه الأجيال المتعاقبة، حتى ترى شيئاً منها. فما الفائدة من عملية إصلاح تستغرق سنوات وسنوات، وكل جيل يبشّر الجيل القادم أن المستقبل سيكون أفضل؟! صحيح أن الإصلاح عمليّة تحتاج إلى صبر ورويّة، وتحتاج إلى نفس طويل، ولكن ليس بهذه الصورة التي نعيشها نحن في العراق وإقليم كوردستان، تمّر السنين، وتتعاقب الأجيال، ولا وجود لأيّ بارقة أمل.

– نقطة أخرى نلاحظها في عملية الإصلاح، هي مقدار الجهود والإمكانيات المبذولة لتحقيق أهدافها، فأحيانا تصرف أموال طائلة، وتشكّل لجان متعددة، وتعقد عشرات اللقاءات، ومع ذلك فإن مقدار المردود من هذه الجهود يكون متواضعاً جداً، وليس بالمستوى المطلوب. عملية الإصلاح تحتاج إلى بذل الجهود، وصرف الإمكانيات المادية والبشرية، ولكن لا أن نصل إلى حالة نضطر فيها أن نقول: (لا أرضاً قطعنا، ولا أبقينا على ظهر)!

– عدا ذلك، فإن الإصلاحات السياسية والإدارية ليست معزولة عن ملفات أخرى تحتاج إلى إصلاح ومراجعة، منها: سيادة القانون، والقضاء المستقل، والشعور الحقيقي لدى المواطن بأن المنادين بالإصلاح جادون في طروحاتهم.. إنها حلقات متصلة مع بعضها البعض، وحين يحدث خلل في جانب معيّن، فمن الصعب أن تتوقع إصلاحاً حقيقياً وجذرياً في الجوانب الأخرى بالطبع.

– وأخيراً، فإنك أحياناً تصاب بالخيبة، وتشعر باليأس من عملية الإصلاح، حين ترى بأن المستهدفين منها في الغالب هم الفئة المنكوبة، التي لاحول لها ولاقوة: تاجر على الهامش، رئيس قسم في إحدى الدوائر الحكومية، تحديد لأسعار بعض السلع وأجور البيوت والمحلات النقل والبضائع، أما الملفات الكبرى، والأسماء الكبرى، فتؤجّل وتؤجّل إلى حين!

و كما قالت العابدة (رابعة العدويّة): (استغفاركم يحتاج إلى استغفار)، فإنّك حين ترى بعض الذين ينادون بالإصلاح، لا تملك إلا أن تقول: (إصلاحكم يحتاج إلى إصلاح)!!❐

ثقافة

– أزمة الذات في رواية (الرجع البعيد) لـ(فؤاد التكرلي) أثير محسن الهاشمي

– فنون الصحافة الطفلية عبدالمجيد إبراهيم

أزمة الذات في رواية (الرجع البعيد) لـ(فؤاد التكرلي)

أثير محسن الهاشمي

يبدو أن الانطواء الذاتي تحت عملية الإقصاء (مقتصدة كانت أم لا)، يولّد حالة من ضعف الإحساس بـــ (الأنا)، والخطوة الأولى التي يتبناها الكاتب هو أن يأسر المتلقي، وعملية أسر المتلقي أن تجعله يحسّ بذاته، وعملية الإحساس بالذات هي عملية رجعية، فالقارئ أو المتلقي يرجع إلى أناه، لإدراك المضمون الإيحائي الذي يدلّ على المعنى .

في رواية (الرجع البعيد)، نرى أن الكاتب (فؤاد التكرلي) يسمح لأن تكون (الأنا) الصوت الخفي تحت محيط الدراما الجماعية. وروح الدراما الجماعية جاءت عبر إيحاءات مركبة تركيباً عضوياً، لأن كل نصّ يُحكى على لسان شخصية من الشخصيات الموجودة

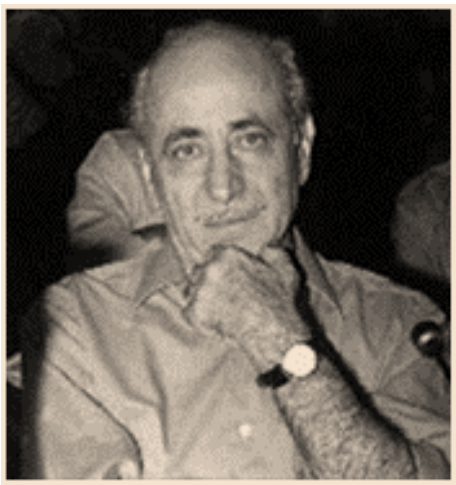

فؤاد التكرلي

داخل الرواية، وهذا ما أعطى صفة التركيب العضوي للنصوص.

إن أكثر الكتّاب يعمدون إلى جعل الرواية ذات شفرات درامية تنحلّ تدريجياً، إلا أن (فؤاد التكرلي) في روايته (الرجع البعيد) يستعمل، عكس ذلك، الشفرات الدرامية متشابكة بروحية أصواتها الجماعية، مع اختفاء البطل الراوية (الذات)، وهذا ما يعطي نتيجة عكسية، تمنح لأن يكون هناك تقاربات نصية انزياحية، بإطار مختلف عن باقي الروايات الأخرى، سواء الروايات لغيره من الكتاب، أو في رواياته، وحتى في قصصه القصيرة.. في قصصه القصيرة – مثلاً – نرى الذات قائمة بشكل رئيس، عكس ما نراه في رواية (الرجع البعيد). يقول في قصته (غثيان): "لم يسألني أحد عن اسمي، رغم أنني كنتُ موجوداً بالنسبة إليهم جميعاً، موجوداً بقوة غير محتملة". (ينظر: قصاصون من العراق، دراسة ومختارات: سليم عبد القادر، ص ٩٩ ، بغداد، ١٩٧٧).

في قصته هذه يجعل الكاتب (فؤاد التكرلي) من الذات رؤية تعبيرية واضحة، إلا أنه في (الرجع البعيد) يشكّل عمله الدرامي على روحية الأصوات الجماعية، ويتجسّد ذلك باستعماله لأسلوب القناع. فكلّ نصّ من نصوص الرواية جاء على لسان إحدى الشخصيات، وحتى المحاكاة عبر الذات كانت ضعيفة، فالتكثيف الجماعي المعبّر، وغياب الذات – في أكثر الأحيان – يمنهج لانحلال درامي عكسي، تتشاءب فيه المعطيات الذاتية لدى المتلقي، في ظلّ إبرازٍ واضح لهيئة المكان/ الزمان معاً، مع أن ضمير المتكلم (الأنا) هي طريقة تسمح للكاتب أن يشغل حيزاً في مجرى الأحداث، أي أنه واحد من شخوص النصّ، ويسمح له بأن يعرف عن الشخصيات ما تعرفه أيضاً عن نفسها. ومعنى هذا أن هناك حقيقة ثابتة عن سلوك وهوية الأشخاص، تنتقل بينهم هم أنفسهم (ينظر: التجريب في القصة والرواية، سليمان البكري، ص ٦٧، بغداد، ٢٠٠٢).

فحينئذ تمتزج هوية الشخصيات مع بعضها، لتوليد حالة من الحدث، يبدأ وينمو، يتفرع ويتشعب، ليصل إلى شكله الأخير، تاركاً وراءه العديد من الصور والإيحاءات والتجليات المتعددة، وبأصوات متعددة :

- نقطة البداية ـــــ (الذات مغلقة) ـــــ (الجماعة مفتوحة) ـــ هو ، هي ، هم.

- الآخر(جلياً) ـــــ الـــ مابين (شائكاً) ـــــ الزمان ـــ المكان ـــــ الـــ ما بين (ممتزجاً)

يقول في بعض مقاطع روايته: "كانت الضجة تأتي من غرفة العجائز، أمها وأخت زوجها، إنهما في معارك لسانية دائمة من أجل لاشيء. تبدّى لها ظلّ ابنتها في مدخل السلم، مقبلة نحوها، طويلة، ممتلئة، هتفت :

- مديحة عيني، شعلي الضوء". ص ٨.

هنا النصّ كان نصاً توليدياً، إذ إن الذات اختفت وراء الوصف، الذي يقدمه الكاتب عبر لسان إحدى شخصياته في كل نصّ، ومن بينها النص الذي يحتوي على هذا المقطع. وبذلك يقدم الكاتب اشتغالات دائرية لعملية نظام (الوصف + الحوار).

إن التقلبات والتواردات الجماعية تظهر عبر عنصر الحوار، فتعطي صفات دلالية تكرس لفكرة النص.

تحتوي الرواية على نصوص مرتبطة بالحوار، وهذا الحوار يرتبط بالنصّ الوصفي، عبر لغة حكائية عالية المستوى، تستخرج الصور النثرية إلى أعلى مستوياتها الفنية. ولهذا نرى أن الإيعاز الوصفي أشبه ما يكون بسياقات كلامية ذات سيناريو درامي، فيتشكّل النصّ الروائي الوصفي بتجليات سيكولوجية، تتمخّض لإنتاج فرصة الاستمرارية في التشكيل القرائي لدى المتلقي. يقول:

"كانت عيون الموقد المشتعلة تبعث حرارة مزعجة، وقدور الطعام، والدهن المحمي في الطاوة الكبيرة، تهمهم، وتتهامس ..." ص١٣ .

يقدّم الكاتب نصّه الوصفي بطريقة ارتباطية، تكمن ما بين لحظات التأمل، وما بين لحظات الصمت والهمهمة أو الهسهسة لصوت الطبخ، مازجاً ذلك النصّ الوصفيّ باللهجة الشعبية، التي يستعملها في إنتاج (الحوار) المتبادل ما بين الشخصيات المتعددة.

والوصف الذي يفتتح به الكاتب كل مقطع حواري، هو ما أسميناه سابقا بـ(السيناريو الدرامي).

إن الكاتب يتخذ من المدخل الوصفي صياغة واقعية، ومرآة إيحائية، تجسّد عبرها نقل الواقع الموجود داخل النص، مع إبعاد تام للمحتويات العشوائية.

إن هذه المداخل الوصفية المتنوعة، والتي عن طرقها يُفتتح الحوار، ربما تعوّض للمتلقي عن أزمة الذات الموجودة في الرواية.

كذلك ما نراه من تجليات واضحة في المردود اللغوي، الذي يطرحه الكاتب في تشكيل الحوار عبر لهجة شعبية، تعبّر عن الواقع الذي تجسّده الرواية. وهذا ما يعطي تعويضاً آخر لعملية أزمة الذات، وراء المدخل الوصفي / الحواري.

إن الحوار الذي يبني الكاتب روايته عليه، ينشئ تبادلاً مؤثراً في التأثير والتأثر بين النصوص المختلفة في داخل الرواية.

فالحوار من الآليات المهمة التي يقوم عليها بناء النص الأدبي، فهو حامل للمواصفات الشخصية، ويمكن التعرف من خلاله على حالة التكوين الفكري والاجتماعي والنفسي للشخصيات المتحاورة، باعتباره عنصراً دافعاً بالحدث إلى التصاعد بحيوية بالغة في معاينة الحدث كرؤية بصرية (ينظر: الدراما والتطبيق، عبد علي حسن، ص ١٢٦، بغداد، ٢٠٠٨).

إن ما ينمّي النصّ الروائي عند الكاتب هو عملية الاعتناء المتكامل في بناء الرواية عن طريق الشكل والمضمون معاً.

إن عملية الاعتناء بالنص عملية تكاملية، تبدأ من توارد الأحداث واجتماعها في وحدة موضوعية. على الرغم من تشابك الأحداث، إلا أن التسلسل في الحوار، وتشابك الشخصيات فيما بينها، والاسترداد الشكلي لعناصر مهمة منها، وتجلي عناصر أخرى محلها، كل ذلك، وغيره، يشكّل انزياحاً واضحاً في النصوص، وبالتالي يكمّل من عملية البناء الدرامي للرواية. يقول:

"قالت العمة:

- اقعدي بمكانك أحسن، ذاهبة وراجعة! همّه هسه يأتون في العطلة.

- منو ؟
- شنو منو؟ منيرة وأمها غير؟ قابل تريدين أم عدنان وأطفالها ؟
- لا .. هاي أم عدنان منو يريدها، صارلها كم سنة ما أحد شايفها، ملتهية تحبل وتلد .." ص ٢٢.

هنا يرتبط الحدث الدرامي بالحوار المستعمل عبر آلية القناع، والتي يتخذ منها الكاتب مدركاً كاملاً لبث الشخصية، فالروح المتجسدة في كل شخصية حوارية من إحساس وصدق وردة فعل، تعكس حالة الصياغة الصحيحة والحبكة المتوازنة في خلق الشخصيات، وثقافة كل شخصية، بصدق وثبات، وكأن المتكلم هو بالفعل صاحب هذه الشخصية، وهذا ما يضيف صفة التكامل في البناء الدرامي.

التركيب الذاتي :

يبدو أن المرتكز الرئيس في عملية البناء الدرامي لرواية (الرجع البعيد) يعتمد على فاعلية قائمة وممنهجة إيجابياً في شكلها ومضمونها، لغتها وحبكتها، شخصياتها وثقافاتها المتنوعة، حوارها ووحدة موضوعها .. إلخ.

تتنوع هذه الفاعلية بحسب شخوص الرواية، فتأتي (الأنا) بكونها (فاعلة) تتغير، تختبئ ، ثم تظهر بحذر. يقول مثلاً :-

((كانوا في الأيوان، يتحدثون ويشربون الشاي، ويتحدثون، وكنت على سريري، أستمع إليهم. خمّنت أنهم سيأتون لرؤيتي هنا، كنت أفضّل أن ألبث مستمعاً إليهم دون أن أشاهدهم، ولكن رؤيتها – كما أعلم – كانت تسرني، ولهذا بقيت منتظراً أن ينتهوا من أحاديثهم كي يأتوا إليّ)) ص٢٧

يبرز الكاتب في هذا المقطع الذات على لسان إحدى شخصياته مثل كل نص " لأن نصوصه مبنية على أصوات متعددة، كما قلنا سابقا ، وكان الحوار في المقطع أعلاه يُحكى على لسان إحدى شخصياته، وبلغة ذاتية: (كنتُ)، (كانوا)، وهذا الإبراز الذي ظهر في النص الثاني من الرواية، وتلاه ثلاثة نصوص من مجموع ثلاثة عشر نصاً، لا تستوفي ظهوراً كاملاً للذات، وبذلك تكون أزمة الذات واضحة أكثر من بروزها .

يبدو أن الواقع الاجتماعي إذا ما نظر إليه القاص بعين فنية، فإنه سيكتشف فيه مرتكزات عدة، تساعد على إيصال تلك الرؤية بعيداً عن الغموض، قريباً من الوضوح. فلهذا كلما كانت المرتكزات محددة و مكثفة، فإنها تعطي الحرية للفنان في تقديم رؤاه الفكرية / الفنية بصورة متجانسة. (ينظر: مقتربات النص – مقاربة نصوصية في قصص (فؤاد التكرلي)، محمد جبير ، ص ٥٧ / بغداد ١٩٨٩).

إن الواقعية الاجتماعية، المتمثلة بـ (شخوص الرواية) وأحداثها، تعتبر مرتكزاً اساسياً مكثفاً في صناعة الحدث الدرامي، وهذا ما أسهم في إبراز مزيّة الرؤى الفنية والفكرية معاً، بالإضافة إلى حالة المزج ما بين (اختفاء الذات / بروزها / بروز الجماعة) يدلل على حالة الاختيارية التعددية في وصف أحداث الرواية وشموليتها. كما أن عكس الواقع الذي يعيشه الكاتب، عبر لغة روائية متعددة الأصوات، ترجح إلى صناعة أسلوبية جديدة للمتلقي، عبر اتحاد العناصر مع بعضها، سواء في الشكل أو المضمون، ومثال على ذلك: المزج الحاصل بين اللغة الفصحى، يقابلها: (لهجة محلية) ارتسمت بطابع الأناقة، وجاءت تعبيراً للبيئة التي يعيشها الكاتب .

إن أزمة الذات في هذه الرواية كانت انعكاسا لنقل الواقع الاجتماعي عبر تجارب الكاتب في نقل الواقع المعاش بشمولية في الأحداث والرؤى، إذ حاول الكاتب أخذ عينات مختلفة من المجتمع، مما يضيف إحساساً صادقاً لرسم الواقع عبر لوحة (الجماعة)، وهذا ما حصل .

إن عنصر (الجماعة)، المتمّثل بشخوص الرواية، يمثلون واقعاً حقيقياً متنوعاً، متناولاً في الآن ذاته فروقهم الفردية المختلفة بشكل واضح وجلي. وهذا ما أنشأ مقاربة نصية كان الرابط الرئيس فيها هو (الحوار)، كما قلنا مسبقاً. كذلك كان للتشابك والالتحام الدرامي في الرواية، دوراً مساعداً في توليد الصور الإيحائية والحكائية والفنية والوصفية وإبرازها عبر هيمنة واضحة .

كل ذلك جعل حدوث أزمة ذاتية في النصوص، وبالتالي اختفت شخصية الكاتب وراء شخوص الرواية، وهذا ما دلت عليه (ضمائر الجماعة المتعددة)، والتي كان يستعملها الكاتب بتكثيف: (كانوا – كان – كانت – وغيرها)، والنص رقم واحد كان نموذجاً لذلك، فكانت الذات غائبة فيه تماماً، والأفعال التي استخرجناها كانت أفعالاً تخلو منها (الذات).

وإليك النموذج:

(نموذج يبين بعض الأفعال الواردة التي تدل على أزمة الذات:

الفعل	الصيغ التي ورد فيها	عدد المرات
سار	سارتا – سار – سارت – يسير	٥
أخذ	أخذتا – أخذت	٣
كلم	كلمت – تـتكلم – تكلمـت – كلمته – كلمتها – كلمتها	٧
كان	كانت – كان – كانتا – أكانت	٢٥
رأى	رأت – رأته – تراه – رأتها – تر	١٦
سمع	سمعت – سمعتها – تستمع	١٣
عاد	عاد – عادت – أعاد	٥
هتف	هتفت	٤
خرج	خرجت	٣
التفت	التفتت	٣
أدار	أدارت –استدارت	٣
قطع	تقطعان – قاطع – قاطعتها	٣
مسح	تمسح – مسحت	٣
فهم	تفهم – يفهم	٣
دخل	دخلت	٢
تبع	تبعت – تبع	٢
اعتدل	اعتدل – اعتدلت	٢
سأل	سألت – سألتها	٢

فنون الصحافة الطفلية

عبد المجيد إبراهيم قاسم
mejeed40@yahoo.com

صحافة الأطفال، كما يعرفها الدكتور (عيسى شمّاس)، هي[1]: "الصحافة المكتوبة –المحرّرة– خصيصاً للأطفال، وفق مراحلهم العمرية المختلفة. يكتب موضوعاتها الكبار، ويحرّرونها، وقد يشترك الأطفال في كتابة بعض الزوايا والموضوعات الصغيرة.. ومع ذلك تظلّ صحيفة الأطفال –بوجه عام– من إنتاج الكبار، أي إنّها موجَّهة من الكبار إلى الصغار، بقصد تحقيق أهداف تربوية خاصة". ويجمع هذا النوع من الصحافة بين العلوم والآداب والأشكال الثقافية المختلفة، وتضمُّ باقة من الفنون المتنوِّعة، أهمها:

– **أولاً**: القصة: أقْدَرُ الفنون الأدبية في الوصول إلى وجدان الطفل، وأكثرها تأثيراً فيه. والقصص المقدَّمة في صحافة الأطفال تتوزَّع بين: قصص المغامرات، والقصص البوليسية، وقصص الخيال العلمي، وقصص التاريخ، والحكايات الشعبية، وغيرها.

– **ثانياً**: القصة المصوَّرة، أو السيناريو المصوَّر: فنٌّ منتشر في صحافة الأطفال بشكل كبير، ويحتل جزءاً واسعاً من مساحاتها. وهو يعني فنّ تحويل النصِّ الأدبي إلى رسوم وصور مسَلسلة ومتتابعة، تمثِّل كلّ واحدة منها مشهداً كاملاً، يرافقه – غالباً– كلام مطبوع يمتزج بالرسوم امتزاجاً عضوياً، ويسمى أصلها الأجنبي بـ(الكوميكس). يقدِّم السيناريو المصوَّر شخصيات متنوِّعة، ومشاهد جذابة، بما يجعله يحظى بإقبال لا متناهٍ من قبل جموع

الأطفال.. ويحتاج لما تحتاجه القصة المنثورة من عناصر، كالموضوع، والشخصيات، والحبكة، والزمان والمكان. ولعل أهمّ مزاياه أنه يلبّي ميول الأطفال إلى الحركة والمغامرة، ويتسم بسهولة القراءة والمتابعة، وينمّي الميول القرائية لديهم.

– **ثالثاً:** التحقيق الصحفي: هو فنٌّ يزوّد الأطفال بالتفسيرات المناسبة عن الوقائع والأحداث، بأسبابها وأبعادها، ويقدِّم الإجابات عن تساؤلاتهم، ويتحفهم بالحقائق والمعلومات، عن القضايا، بأساليب ممتعة، ولغة شائقة. يقول (د. شمّاس)[٢]: "من ميزات التحقيق الصحفي الجيّد، في صحافة الأطفال، قدرته على أن يقدّم التفسيرات المناسبة لقدرات الأطفال المختلفة، ولا سيما أنّ هذا التحقيق، يتعامل عادة، مع المشكلات والوقائع الحيّة، وقد يستعين التحقيق ببعض الصور التوضيحية، لكي تكون المشاهد والحقائق المرافقة لها أكثر جاذبية وواقعية وإقناعاً".

– **رابعاً:** الحديث الصحفي: هو فنٌّ الحوار مع الشخصيّات، التي يفترض بها أن تكون قريبة من الأطفال، تتناول قضاياهم، وتناقش أموراً تتعلّق بهم، أو مع نماذج ناجحة، بهدف الاقتداء بها.. وأهمّ ما يُشترط في الحديث الصحفي: الحيوية، والواقعية. "الحديث الصحفي، ليس مجرّد أسئلة وأجوبة فحسب، وإنّما هو عملية حوار درامي تفاعلي، تنكشف من خلاله الأفكار والانطباعات، ويكون بطلاه اثنان: المحرِّر الذي يجري الحوار، والشخصيّة التي يجري الحوار معها. وكلّما كان التواصل بنّاء كان الحوار ناجحاً، واستطاع أن يقدّم للطفل القارئ صورة صادقة عن موضوع الحديث، بشكله ومضمونه".[٣]

– **خامساً:** المقالة الصحفيّة: من الفنون الأساسية في صحافة الأطفال، وهي تتوزّع بين المقالات النقدية، التي تجسِّد آراء أو مفهومات معيّنة، والمقالات العلمية، التي تستمدُّ مادتها من العلوم العامة، والمقالات الأدبية التي تعالج الأنواع المختلفة من أدب الأطفال، وبين أنواع المقالة الأخرى. "إنّ المقال الصحفي المقدَّم للأطفال، لا يرتبط بقالب تعبيري محدَّد، ولا يلتزم شكلاً أدبياً معيّناً.. وأبرز ما يميّز هذا المقال، أنه يخاطب الطفل مخاطبة الصديق للصديق، حيث ينقل له الفكرة، أو الرأي، أو المعلومة، بسرعة رشيقة، وهدوء لطيف".[٤]

موادّ أخرى في صحافة الأطفال:

إلى جانب مجموعة الفنون التي تستوعبها صحافة الأطفال، هناك العديد من الموادِّ والأشكال التي يمكن أن تتضمّنها هذه الصحافة:

– المواد والمنوَّعات الثقافية والأدبية والعلمية: كالقصائد، والنصوص المسرحية القصيرة، والمسابقات والمنوَّعات المعلوماتية، والاستطلاعات المصوَّرة، التي يمكن أن تتناول

موضوعاتٍ، كتقاليد شعب، أو طبيعة بلد، أو التعريف بأحد المشاهير في إحدى ميادين العلوم أو الآداب، إضافة إلى المساحات المخصّصة للمشرفين والمربّين.. أما الموادّ العلمية، فتشمل المعارف والأخبار العلمية، التي تدور في فلك المكتشفات التكنولوجية، وعالم الحيوان، وغيرها.

– موادّ التسلية والترفيه والألعاب: تتخذ أشكالاً متعدِّدة ومتنوِّعة من الأساليب، كالمتاهات، والكلمات المتقاطعة، وملاحظة الفروق بين الأشكال المتشابهة، والألغاز والأحاجي والألعاب الحسابية، والطرائف والفكاهات والأقوال الضاحكة، وإكمال الرسوم، وتلوينها، وغيرها.

– بريد القرّاء، ومساهماتهم: تشمل رسائل الأطفال، والردود على أسئلتهم واستفساراتهم، وحلول المسابقات التي تجريها الصحيفة، ونشر نتاجاتهم، ورسوماتهم، وصورهم، مذيَّلة بأسمائهم وهواياتهم. تسهم – هذه المساحات– في تعزيز التواصل بين الصحيفة وقرّائها، وتمتّن الروابط بينهما، إضافة للتعرُّف على هوايات الأطفال وأنشطتهم، وتحقيق مشاركتهم فيما يُقدّم لهم. ولهذه المواد جميعها خصائص، أهمها: أن تكون مناسبة لمستوى الأطفال المستهدفين، ومؤثّرةً في مشاعرهم وسلوكياتهم. وأن تكون قادرة على تنمية قدراتهم العقلية، ورفع مستوى معارفهم العلمية، وتنمية روح التواصل، وغرس روح المبادرة في نفوسهم. أخيراً أن تكون متنوَّعة في أساليب تقديمها، وذات لغة – مكتوبة، أو مصوَّرة، أو مرسومة– تتسم بالوضوح والبساطة. يقول (أبو المعاطي أبو النجا)[٥]: "إذا كانت منظومة القيم التربوية والثقافية والأهداف الإنسانية للمجلة، تتسم بقدر من الثبات، فإن وسائل تحقيقها – المتمثلة في المادة الثقافية والفنية، وأبواب المجلة المتضمنة لهذه المادة– لا بدَّ أن تتسم بقدر أكبر من القابلية للتغيير. والطفل يحب ويحتاج – في وقت واحد– إلى الثبات والتجدُّد معاً، فوجود عناصر أكثر ثباتاً في المجلة يرضي حاجته إلى الطمأنينة والألفة والاعتياد، ويسمح بنمو علاقة بينه وبين هذه العناصر. والتجدُّد والتغيير، يرضي ويشبع حاجته إلى الجديد والمغامرة والمفاجأة".

– الصور والرسوم والألوان:

تؤلِّف الرسوم والصور – المرافقة لفنون صحافة الأطفال، وموادها– أهمّ عناصر التجسيد في صحافة الأطفال، بل يمكنها أن تتفوَّق في قيمتها وتأثيرها على المادَّة المكتوبة، في بعض الأحيان. وتأتي أهميتها إلى جانب التزيين والتشويق، أنها تستخدم بهدف التعبير والتوضيح، وتصوير الأفكار والأجواء، والربط بين فقرات المجلة. كما تسهم في استيعاب المادة الصحفية، وفهمها، بشكل أفضل، وتساعد في

تشكيل صور ذهنية عن المواقف والقيم في الموضوعات المقدَّمة، إضافة إلى تنمية الحسِّ التذوقي والجمالي. ولصحافة الأطفال إمكانات لتصوير المعاني، وتجسيدها" ليس من خلال الكلمة المطبوعة والصورة والرسم فحسب، بل من خلال اللون أيضاً، إذ يشكِّل – بدوره – عنصراً مهماً من عناصر التجسيد في صحافة الأطفال.

– الإخراج والطباعة:

يتضح التجسيد الفني في صحافة الأطفال في صياغة المضمون في شكل فني، وإخراج الصحيفة إخراجاً فنياً جذاباً.. هذا الإخراج الذي يستند على أمرين اثنين: ذوق رفيع، وقدرة فنان بارع، أولاً. والتذوق البصري للطفل، كخصيصة من خصائص شخصيته، ثانياً. "يحرص مخرجو صحف الأطفال على تحويل المادة المكتوبة" إلى مادة مطبوعة، نابضة بالحياة والجاذبية، عن طريق توزيع الوحدات على الصفحة البيضاء، والتحوّل بها إلى لوحة فنية ذات جمال ومعنى وشخصية، تناسب قدرات الأطفال على استخدام أعينهم، وتيسِّر لهم القراءة، وتنمي قابلياتهم على التذوق الفني، وتساعدهم على تكوين صورة ذهنية إيجابية".[٦] ❐

الهوامش:

١) الموقف الأدبي، العدد ٣٨٩، السنة ٣٣، أيلول ٢٠٠٣ عنوان البحث: صحافة الأطفال.. خصائصها، فنونها، ص٥١.

٢) المصدر السابق، ص ٥٤.

٣) المصدر السابق، ص /٥٤-٥٥/.

٤) المصدر السابق، ص ٥٥ .

٥) كتاب العربي الشهري /٥٠/ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢، ثقافة الطفل العربي، مجموعة من الكتّاب. عنوان البحث: (مع العربي الصغير: من ملامح التجربة)، ص /١٦٨-١٦٩/

٦) سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٢٣ مارس/ آذار ١٩٨٨، ثقافة الأطفال، د. هادي نعمان الهيتي، ص /١٢١-١٢٢/

بصراحة

من أجل بقائنا

صلاح سعيد أمين
Selah1434@gmail.com

عجيب غريب أمر هذا الإنسان.. الإنسان الحاكم.. الإنسان المحكوم.. الإنسان الحاكم المسؤول، الذي يستنسخ تجارب الحكام الآخرين في القمع والاستبداد والجور والبطش طبق الأصل، وكأن الطامة الكبرى ستقع إن اتعظ من مصائرهم! الإنسان المحكوم، الذي أصبح مختبراً لإجراء كل التجارب التي تدور في فلك تعبيد وتركيع البشر مرة بعد أخرى.. الإنسان المحكوم الذي لا يسأل نفسه في وقت ما: لماذا انتخب مراراً وتكراراً حكاماً، وأوصلهم إلى سدة الحكم، وفي كل مرة لا يتورعون عن ممارسة الطغيان والظلم والفساد؟!

أصبحت منطقة الشرق الأوسط الشغل الشاغل للعالم، المنطقة التي تعرف بمهد الأديان السماوية والحضارات القديمة.. مهد الأفكار والإبداعات في زمن ما.. الشرق الأوسط الذي أنعم الله على البشر والحجر والشجر فيه، في سمائه وجوف أرضه، لكن (الإنسان)، في هذه البقعة من المعمورة، لا يتصرف حسب ما تمليه عليه مسؤوليته، ولا يتحرك وفق ما يقع على عاتقه. (الإنسان)، في هذه المنطقة، توقف عن التفكير، وأصيب بنوع من الجمود، والغفلة، الذي يصب في خدمة إنتاج الطغيان، والاستبداد، وتكرار التجارب الفاشلة، واحدة تلو الأخرى.

أزمة منطقتنا تكمن في غياب تفكيرنا، فقد ذقنا المآسي والويلات، والخلل يكمن في أذهاننا. غياب التفكير، وتجمد الأذهان، في هذه المنطقة، لا يقتصر على فئة دون أخرى، ولا على رؤية دون أخرى، بل للأسف الشديد يشمل الجميع، من أقصى اليمين، إلى أقصى اليسار!!

قال لي أحد أصدقائي: إن مجرد تحريك التفكير، واللجوء إلى المسارات الصحيحة له، لا يضمن إنقاذنا من المعمعة التي نغرق فيها، بل ينبغي – وبموازاة ذلك – أن يُفعّل (القرار) في بنيتنا، وأن تنتعش جرأة اتخاذه، والمصادقة عليه، في كياننا الإنساني، كوننا – على حد زعمه – لم نصل إلى المستوى الذي يعطينا الجرأة والشجاعة كي نتصرف وفق ما تقتضيه أحوالنا الجديدة، بعد الوصول إلى هذه القناعة، وهي أن لب مصائبنا وكوارثنا تكمن في تفكيرنا!..

واقع الحال يشير إلى أننا لن نصل إلى ما نتمناه في حياتنا، ولن نبني ما نحتاجه – كبشر – في دنيانا الفانية، دون أن نتحرر من الغياب الفكري الذي نعيش فيه، ودون أن نصحو من الغفلة التي توقفنا عن العمل. وبالتأكيد نحتاج أيضاً إلى الجرأة في القرار. (قرار) يغيّر أحوالنا، وينقذنا من كل ما أصابنا طيلة هذه الفترة الطويلة، التي أصبح من واجبنا أن نضع لها حدّاً، وأن نقطع دابرها إلى أبد الآبدين..❐

قراءة في كتاب

- كتاب (وقفة مع المؤرخين والنسابين في الموصل) د.محمد نزار الدباغ
- طفولة الوعي الإنساني هشام بن الشاوي

قراءة في كتاب

كتاب (وقفة مع المؤرخين والنسابين في الموصل)

للباحث (علي عبدالله محمد خضر)

عرض: د. محمد نزار الدباغ

ضمن سلسلة (كُتَّاب الموصل المحليين) صدر للمُؤَلِف (علي عبدالله محمد خضر) كتاب (وقفة مع المؤرخين والنسابين في الموصل)، في طبعته الأولى لسنة ٢٠١٤، في (الموصل)، وبواقع (٨٤) صفحة من القطع المتوسط.

اشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة محاور، واختُتِمَ بقائمة المصادر والمراجع، مع نماذج

لبعض الوثائق المتعلقة بمخطوطات ومشجرات أنساب بعض القبائل والأفخاذ والعشائر في الموصل.

وجاءت محاور الكتاب الخمسة بالشكل التالي:

- صفات يجب أن يتحلى بها المؤرخ والنسَّاب.
- ملاحظات تقويمية.
- ما يجب الابتعاد عنه في الأنساب.
- ملاحظات أخرى.
- ما جاء في الحسب.

جاءت مقدمة الكتاب في (٥) صفحات، ركّز فيها المُؤَلِف على تثبيت النسب بصورة صحيحة، حتى لا تختلط الأنساب مع بعضها، وتتضح الحقيقة، كما أكّد على ضرورة أن يتحلى النسَّاب بالدراية والعلم والمعرفة بأصول وأنساب القبائل، وتَتَبُع الأسماء، مع الاطلاع على الكتب والمصادر ذات الصلة، فضلاً عن المعرفة بقراءة الوثائق المتضمنة مشجرات ومخططات القبائل والعشائر، وأن يتحلى بالخبرة في التمييز بين ما هو صحيح منها وما هو غير ذلك.

فضمن الصفات، التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ النسَّاب: أن يكون على دراية بعلوم اللغة، والعقيدة الإسلامية" إذ إن لعلم الأنساب أهمية كبيرة في إصدار بعض الأحكام الفقهية والعقائدية والعرفية، وأن يكون من أوسط قومه، معلوم النسب لأبويه، صحيح النسب في محيطه، وأن يتحلى بالصدق والأمانة، وأن يكون عالماً بتاريخ الشعوب المجاورة والقريبة من بلاد العرب. فضلاً عن ذلك، فلا بد أن يكون كامل العقل، واسع الإدراك، قوي الحفظ، سريع البديهة، دقيقاً في النقل، واضح الخط.

زيادة على أن يكون ممن عاصروا العوارف والنسابين القدامى، واطّلع وأخذ عنهم علوم الأنساب، كابراً عن كابر، وأن يتصف بالنزاهة في كتابة الأنساب، وأن يكون عالماً بطرق تثبيت النسب، مُطلعاً على المخطوطات والوثائق القديمة، مُمَيِزاً بين الحقيقية منها والمزورة أو الملفقة، فضلاً عن صفات أخرى كثيرة.

أما عن الملاحظات التقويمية على مجموع كتابات التوثيق المحلي وتاريخ الأنساب الموصلية، فنجتزئ منها بعض الملاحظات التي ذكرها المُؤَلِف في كتابه، ومنها: أن التوثيق لمحلات مدينة الموصل القديمة لم يشتمل إلا على محلات الأبواب الطرفية، والتي كانت إلى عهد قريب خارج مدينة الموصل القديمة.. ولم يستطع أحد سبر أغوار المحلات القديمة، الواقعة في قلب المدينة القديمة، وكشف أسرارها. ثم إن البعض مزج بين محلتين مختلفتين تماماً من حيث التركيبة السكانية والعادات والتقاليد واللهجة وتاريخ نشوء

اسم المحلة الكبرى.

ومن الملاحظات في المحور الثالث، أن كل لقب عائلي في المدينة يوازي فخذاً من أفخاذ العشائر الريفية في الطبقة النسبية، وإن قَلَّ عدد أفراده.

كذلك وجود بعض الأسماء المتطابقة بين أجداد بعض العوائل، لا يعني أنها متطابقة في النسب، وإن كانت تدعي الانتساب إلى نفس القبيلة، ما لم يثبت التحقق من أصحاب تلك الأسماء، وأنهم هم نفس الشخوص لا غيرهم، لأن تلك القبائل القديمة أصبحت شعوباً.

وإن النسبة إلى مكان لا تعطي الانتساب لجَدٍ جامع واحد، كالعاني (من عانة)، أو الراوي (من راوة)، والموصلي (من الموصل)، والبغدادي (من بغداد)، وغيرها من أسماء الأماكن.

كذلك يخطئ بعض الكُتَّاب، ومصممي المُشجرات النسبية الحديثة، في مسألة تقدير الاحتمالية، وحساباتها الزمنية.

ووجب على كل أُسرة أن يكون فيها عالم بأنسابها، مؤتمن عليها من الدخلاء، ويتوجب أن يكون مقيماً في مسقط رأس الأُسرة أو العائلة أو العشيرة، غير مهاجر إلى بلدة أخرى.

ولم يكن بعض الكُتَّاب على دراية تامة، واطلاع كبير بتاريخ الموصل القديم عبر العصور، بشكل دقيق، فقاموا بتوصيفات وتعديلات خاطئة لبعض الأسماء والأمكنة، ولم توثق بشكل علمي دقيق وأكاديمي، حسب رأي المُؤَلِف.

ثم نجد أن هناك اختلافاً في بعض آراء الكُتَّاب، حول أعمدة بعض أنسابهم المشهورة، وغيرها من الملاحظات.

ومما يجب الابتعاد عنه في النسب – حسب ما ذكره المُؤَلِف – هو عدم الفخر

بالأَحْسَاب، فذاك من أخلاق الجاهلية، ولا يجوز الطعن في الأنساب، ما لم تكن هناك بينة شرعية واضحة، وأمر شرعي يستدعي الطعن. ويجب أن يكون الاهتمام بالأنساب ضمن حدود الحاجات الشرعية التي تتطلب ذلك، ولا يجوز رفع الأنساب إلى ما بعد (عدنان)، لثبوت النهي عنه.

أما المحور الرابع، فقد فصَّل فيه المُؤَلِف، وذكر (ملاحظات)، منها: لا يجوز أن يَنسب الأدنى من هو أعلى منه في الطبقات النسبية، فلا ينسب من لا يعلم من نسبه أكثر من خمس أظهر، صاحب العشرة أظهر أو أكثر. والمتحولون من نسب إلى آخر، دون دليل واضح، سيكونون من العوائل والأُسر والعشائر المتحيرة، ما لم يثبت دليل تحولهم بصورة قطعية.

وفي المحور الخامس، مما جاء في الحَسَب، هنالك نماذج وأمثلة كثيرة، منها أن حَسَب أهل الدنيا المال" قال عليه الصلاة والسلام: "إن أحسَاب هذه الدنيا الذين يذهبون إليه لهذا المال" – (تخريجه عند إبن حبان في الزوائد – باب الحَسَب –).

فإن أهل هذه الدنيا ليس لهم حسب سوى المال يتفاخرون به، وقد لا يملكون شيئاً، والحَسَب الحقيقي هو شرف الإنسان، وكرامة أهله، وعِرضِهِ، حسب تحليل المُؤَلِف.

واعتمد المُؤَلِف على مصادر ومراجع عديدة، ناهزت (٦٣) كتاباً وسجلاً وثائقياً ومشجرات عائلية ووقائع ندوات وموسوعات. ومعظم الكتب التي ارتكز عليها كتابه، جاءت متنوعة بين كتب التراجم، وكتب الأنساب والعشائر – والموصلية منها تحديداً –، وهي كثيرة.

والمُؤَلِف من مواليد مدينة (الموصل). صدرت له خمسة كتب، هي: (موسوعة الأسر والعائلات الموصلية الوثائقية)، و(كُتَّابُ الموصل المَحليُون/ ج١)، و(مقتطفات من وثائق موصلية في الحقبة العثمانية)، وكتاب (خرائط الموصل – دراسة تاريخية)، فضلا عن كتاب (شيخ العلوم في الموصل الحدباء...)، وله (١٦) بحثاً ومقالاً منشوراً في دوريات علمية أكاديمية، ومجلات ثقافية، زيادة على مشاركته في العديد من المؤتمرات والندوات، المحلية والقُطرية، وله العديد من شهادات التقدير، وكتب الشكر، ومشاركات في دورات خارج القطر❑

طفولة الوعي الإنساني

هشام بن الشاوي/ المغرب

✍ يشير (رافع يحيى) في دراسته (الحكاية الشعبية)، إلى أن (فولتير أندرسون) يورد ثلاثة قوانين أساسية تميز الانتقال الشفوي للحكاية الشعبية:

أولاً– قانون التغيير الذاتي: قانون التغيير الذاتي يعني أن يقوم المستمع لمرويات متعددة ومختلفة لحكاية واحدة، بصياغة حكاية جديدة تحافظ على المبنى الأساسي للحكاية، ويحذف من هذه المرويات ما يلائم المجتمع الذي تقدم فيه الحكاية.

ثانياً– قانون التجدد: ويتركز في التغييرات التي قد تحدث في الحكاية، كنتيجة لخطأ بشري، أو نسيان تفاصيل معينة في الحكاية، أو ربما يكون وراء التغيرات دافع فني من جهة المرسل(الراوي– الكاتب)، ومجال التغيير، واتساعه، متعلق برد فعل المتلقي لهذه التغيرات.

رافع يحيى

ثالثاً– قانون انتشار الحكاية: تنتشر الحكايات بجهد ذاتي من مكان إلى آخر، ومن قطر إلى آخر، دون أن تكون حاجة لتقنيات خاصة من قبل البشر، لنقلها من مكان لآخر.

وقد قام الدارسون والباحثون بتقسيم الحكايات الشعبية إلى تقسيمات فرعية. ويرى الدكتور (محمود ذهني) أنَّ أسباب التقسيمات الفرعية التي طرأت على الحكايات الشعبية، مثل الحكاية الخرافية المسليّة (حكاية الجان)، والحكايات على ألسنة الحيوان، تعود إلى الاتجاه الدقيق للفنون والعلوم التي تهتم بالتدقيق والتخصيص. ولكن العنصر الأصلي في الحكاية واحد أو ثابت، وتتغير من حوله عناصر الربط والشكل والبناء، فتنتج عنها عشرات الحكايات المختلفة من حيث الفكرة والهدف. ويؤكد (رافع يحيى) أن هناك شبه إجماع بين الباحثين على أشكال خمسة أساسية للحكاية الشعبية، وهي: الأسطورة، حكاية الألغاز، والمسائل، والنوادر والقصص، والفكاهة، وهذه الأشكال تتداخل فيما بينها، وتلتقي.

ويدعو بعض الباحثين إلى البحث عن أصول الحكاية الشعبية، والتمشيط في جذور الحكاية الشعبية، أو التراث الشعبي. فبداية تكوين الحكايات الشعبية لم تكن جليّة بقدر الإمكان، أو يصعب البحث عن جذر موثوق للحكاية، ولكن نستطيع القول بأن الحكاية الشعبية لها أصل من الواقع، وهي منقولة من أحداث قصة حقيقية حدثت في السابق، ثم وقعت في يد الرواة، فخرجت من شكلها الحقيقي ،وأصبحت أقصوصة خيالية، تغمرها الخرافة بشخصياتها، وأمكنتها الغريبة.

والناتج الشعبي في الحقيقة إبداع جماعي، قد يكون مبدعه الأول فرداً، وقد يكون نتيجة لحادثة وقعت فعلاً، ولكنّه لا يظل كذلك، إذ ما يلبث أن يصبح ملكاً للجميع، يتناقلونه، ويضيفون إليه، بل يبدعونه ثانية، حتى يبدو في أصله غير حقيقي، فيتخذ عندئذ طابعه الشعبي، ويُنسى مبدعه الأول، كما تنسى

حادثته الحقيقية الأولى، وإن ذكرت، فكأنها خرافة لا حقيقة.

ولقد اختلفت الآراء حول أصل الحكايات الشعبية، وعن مواقع الإبداع، من خلال الدراسات المختلفة للباحثين في الكشف عن جذورها. فنجد المدرسة الأدبية حاولت إثبات الأصل الهندي للحكايات الشعبية الأوربية، والمدرسة الميثولوجية ترى أن الحكايات الشعبية ما هي إلا رواسب للميثولوجيا القديمة، وخاصة المتعلقة منها بالطبيعة. أما المدرسة الأنثروبولوجية القديمة، فقد دحضت آراء المدرستين السابقتين، وأوضحت الخلفية الثقافية للحكايات الشعبية. ثم جاءت المدرسة الطقوسية، أو الشعائرية، وحاولت إثبات الأصل الطقوسي للحكايات. أما المدرسة التاريخية الجغرافية، فقد درست بشكل مستفيض انتشار الحكايات المختلفة. والمدرسة النفسية، التي ترمي إلى التحليل النفسي من وراء الحكاية، وأخيراً: المدرسة الوظيفية، التي تدرس الحكايات في بيئاتها، من ناحية وظيفتها الاجتماعية.

ومن الصعب والمستحيل العثور على بصمة واضحة تؤكد وتثبت لنا مواطن جذر نشأة الحكاية، مع هذا التشابه الموجود في الحكايات عند الشعوب المختلفة. وعلى هذا، فالفكرة تميل إلى الظن بأن الحكاية نشأت من مكان معين أول ما نشأت، ثم هاجرت من هذا الموطن إلى سائر أنحاء العالم القديم، ولكننا لا نستطيع أن نحدد ذلك الموطن الأصلي. وأكثر علماء التراث في أوروبا درسوا الحكايات الشعبية دراسة منهجية في مطلع القرن التاسع عشر، وقد حاولوا التدليل على طريق قيام الوحدة اللغوية عندهم، بإثبات أن حكايات الجان إنتاج آريّ متكامل، وخاصة أن أغلب النصوص التي أتيحت لهم كانت آريّة، وأن نصوص الحكايات غير الآرية لم تكن متوافرة لديهم.

وهناك عنصر ينبغي تقديره في هذا المجال، ذلك هو محاولة العلماء آنذاك أن يبيِّنوا أن أساطير الإغريق والهند القديمة تمثل هذا الأصل أدق تمثيل، وما داموا قد سلّموا على هذا النحو بعراقة هذه الأساطير، فقد كان من اليسير أن يعتقدوا أنّ حكايات الجان عبارة عن أغصان صغيرة نبتت من الأساطير الأصلية. وكان أمراً مقضياً أن يسقط هذا الزعم بآرية حكايات الجان، في اللحظة التي ظهرت فيها نصوص غير آريّة. كما يعتقد الأخوان (جريم)، وأنصارهم، بأن الحكايات الشعبية بقايا الأساطير القديمة، ومن الممكن بناء هيكل أساطير الآلهة، والأبطال القديمة، على أساس تلك الحكايات. وكما يعتقدون

بأنّ الشعوب الهندوأوربية ابتدعوا حكايات الأبطال والسحر، وبعد ذلك اقتبست الشعوب الأخرى هذه الحكايات، عن طريق الهجرة أو العلاقات الثقافية بين تلك الشعوب، بينما الكثير من الحكايات لا تبتعد عن الاشتراك في النقل والمضامين الجوهرية للحكاية، عند كافة البلدان والشعوب، باختلاف عروقها وثقافتها وتاريخها. ونرى الاختلاف في هكذا حكايات فقط في الشخصيات والبيئة المختصة بتلك الشعوب، فهي تتحد من حيث المضمون، وتختلف بشخصياتها، وشكلها، وأسلوبها لسرد القصة، فقد يسمع المرء حكاية في قومه، وبلغته، ثم يسمعها هي نفسها، أو يسمع ما يشبهها شبهاً كبيراً، في قوم آخرين، وبلغة أخرى مختلفة، وبين القومين تباعد كبير، واختلاف. فمثال ذلك حكاية (سندرلا)، التي نجدها حكاية شعبية عند أكثر الشعوب، مع اختلافها بالشكل، وسردها بطريقتهم. فمثلاً أكثر حكايات الحيوان في التراث الشعبي العربي لها صلة بـ(كليلة ودمنة)، التي جاءت من (الهند).

وفي موضوعة العلاقة بين التراث الشعبي والسياسة والاجتماع، حسب (ياسين النصير)، تكمن قصة التاريخ الإنساني، هذا التاريخ الذي يضعه الإنسان بعمله وفكره وثقافته وأحلامه وآماله. وعندما يحقّق بعضاً منه، يودعه في قصص وحكايات وأعمال وأفعال، ويوصله إلى الجيل الذي يليه، ليكمله ويشذبه ويضيف عليه. وهكذا ترسم البشرية مساراً تطورياً لنضالها الاجتماعي والسياسي، وكأنها ما زالت تعيش لحظات البشرية الأولى..❑

– الإسلام ليس بحاجة إلى إصلاح

د.سعد سعيد الديوجي

الإسلام ليس بحاجة إلى إصلاح

سعد سعيد الديوه جي

قرأت في العدد (١٥٣-١٥٤) من (مجلة الحوار) عنوانا أقل ما يقال عنه إنه غريب، و لا يمت للبحث العلمي أو التاريخي بصلة، للأخ (محمد واني)، و يقوم أساسا على وجود الاختلاف بين التيارات الإسلامية على مدار التاريخ، ليخلص إلى نظرية جديدة بأن "الإسلام بحاجة إلى إصلاح"، و الله تعالى يقول {إن الدين عند الله الإسلام}، و الذي تعهد بحفظه أساساً، من خلال حفظ القرآن الكريم {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، و عليه فالدين محفوظ من قبل الله، ولا يمكن أن تعتريه الزيادة أو النقصان، ولذلك فاختيار كلمة (إصلاح) كان اختيارا غير موفق لما يتعلق بمفهوم الإسلام، والله تعالى يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا}، فهل نصلح ما رضيه الله لنا؟!.

وكان انطلاق الأخ من زاوية ضيقة جداً، و هي كثرة الاختلافات السياسية و الفكرية بين المسلمين في أيامنا هذه، ووقوعه تحت الضغط النفسي و الفكري للجماعات المتطرفة، والتي تدعي أنها تمثل الإسلام، و تأخذ من التكفير وإشاعة الخلاف منهجاً!.. و الاختلاف أمر مشروع، ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، و هو غير الخلاف والخصومة والتقاتل، والذي أرجو أن يدركه السيد

كاتب المقال بشكل جيد، فالله تعالى يقول: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم} .. إذاً، فالاختلاف أمر مشروع، عبّر عنه الدكتور (طه جابر) – رحمه الله– بقوله: "إن الاختلاف في وجهات النظر، والحكم عليها، أمر فطري طبيعي، وله علاقة بالفروق الفردية بين البشر إلى حد كبير. و على ذلك، فالناس مختلفون، والمؤمنون درجات، فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد".

إن الديمقراطية التي نتغنى بها صباحاً ومساءاً ما كانت لتقوم لولا وجود الاختلافات في وجهات النظر في كل الأمور، و لا يخلو تيار فكري واحد – أكان دينياً أم دنيوياً– من تشعبات و تيارات ثانوية، بمرور الزمن، نظراً لاختلاف مشارب الناس، وأفكارهم، ومصالحهم، وتغيّر المفاهيم حسب الزمان والمكان. وعموماً فالاختلاف الذي لا يمس الأصول، ولا يكون مدفوعاً بآراء تعصبية، أو أحقاد مبنية على مؤامرات مرسومة بدقة، لا يمكن اعتباره إلا ظاهرة صحية، لا بل ومطلوبة بإلحاح.

إن السقوط بهاوية التعصب الأعمى، الذي يكون انعكاسا لنفسية مظلمة، تتخذ من الاختلاف منهجاً للانتقام، و تصفية الحسابات، يجب أن لا يدفعنا للتطاول على الإسلام، و القول عنه بأنه بحاجة إلى إصلاح، والذي دفع (علي شريعتي) للتطاول أكثر بقوله بأن الإسلام قد بلغ درجة الانحطاط !

إن الذين يحتاجون للإصلاح هم فئات من المسلمين فهموا الدين الإسلامي فهماً معوجاً، عن قصد وغير قصد، وخصوصاً أولئك الذين اتخذوا من بعض الحوادث التاريخية منطلقاً لعقائدهم وأفكارهم، و تقوقعوا حول أفكار مبتدعة، ونسبوها للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم اعتبروها صماء لا تقبل النقاش، بحجة العصمة أو التواتر، مما لا مجال للخوض فيه.

إن تاريخنا الفكري مملوء بمواقف التسامح والتفاهم والانفتاح على الآخر، و ليس من الحكمة أن ندمغ تاريخنا بسطر واحد، بدءاً من الخلافات بين (علي) و(معاوية) (رض) ونفتح المجال لـ(القاعدة) وأخواتها لتضليل الشباب، فذلك استخفاف بالتاريخ وبالدين معاً.

إن سبيلنا لإصلاح الفكر الديني هو أمر واجب وحيوي، وليس إصلاح الإسلام، كما وقع في هذا الفخ زميلنا (محمد واني). و في هذا الصدد يقول الإمام (مالك): "لا يؤخذ هذا العلم (علم الدين) من أربعة، و يؤخذ ممن سواهم: لا يؤخذ من سفيه، و لا يؤخذ من صاحب هوى، يدعو إلى بدعته، و لا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان

لا يتهم على حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة، اذا كان لا يعرف ما يحمل ويحدّث به".. و هذه الأسس هي أهم الأسس لإصلاح الفكر الديني، الذي ركب سفينته السفهاء والكذابون وأصحاب الهوى، ولا تكفي التقوى مع غياب العقل.

نعم، الإسلام بحاجة إلى إصلاح

محمد وائي

إن حالات التسامح وتقبل الآخر، بين فقهاء الأمة، كانت السمة الأعم في تاريخنا، والتي يذكر منها الدكتور (طه جابر) في كتابه (أدب الاختلاف في الإسلام) الشيء الكثير، منها أن (الليث بن سعد) لقي (مالكاً) في (المدينة)، فقال له إني أراك تمسح العرق عن جبينك، قال له: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري، ثم لقي أبا حنيفة، و قال له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة : ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام!

وأخيراً، إن التعميم الذي يصل إليه الأخ (محمد) أن الإسلام بحاجة إلى إصلاح، حاله حال جميع المناهج الفكرية و التربوية التي تتعامل مع الإنسان، وتوجه مساره في الحياة، لهو أمر عجيب وغريب عندما نضع الدين، وما يتصل به من معارف، على رف واحد مع مناهج الفيزياء والكيمياء والرياضيات و .... و لله في خلقه شؤون!

❑

– استمرار حالة الانقسام السياسي في اقليم كوردستان	المحرر السياسي
– تكريم الأمين العام بوسام شخصية العام السياسية في إقليم كوردستان	الحوار
– فرع كوردستان ندوى لمنتدى الوسطية العالمي	الحوار
– ملتقى السليمانية الرابع يناقش قضايا محلية وإقليمية ودولية	الحوار

استمرار حالة الانقسام السياسي في إقليم كوردستان

تقرير: المحرر السياسي

لا يزال الانقسام السياسي حالة متواصلة بين الأحزاب والأطراف الكوردية منذ تعطيل عمل البرلمان عقب منع رئيسه من دخول أربيل، كرد فعل من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني على مهاجمة مقاره بالسليمانية وحرقها من قبل متظاهرين غاضبين على الأداء الحكومي.

ولم تفلح الوساطات والمساعي المبذولة من قبل أطراف محلية ودولية في رأب الصدع الحاصل في العلاقة بين طرفي النزاع، (الحزب الديمقراطي) و(حركة التغيير).

ورغم تشكيل لجنة (تفعيل البرلمان والحكومة) التي كانت من مخرجات اجتماع الأطراف السياسية مع (مسعود البارزاني) يوم الثلاثاء ٢٠١٦/١/٢٦، حيث أنيطت بها مسؤولية التقريب بين الفرقاء، لكنها ما لبثت أن انهارت بعد تصلب مواقف الخصمين الرئيسين في الأزمة القائمة، وإعلان الاتحاد الإسلامي الكوردستاني الانسحاب من اللجنة لعدم جدواها.

ويتزايد الاحتقان السياسي بلجوء طرفي الأزمة إلى التعبئة الإعلامية ضد بعضهما

البعض، واستماتتهما في إلقاء تبعة انعكاسات الأزمة كل على الآخر في تراشق سياسي دائم التكرار في المشهد الكوردستاني.

وآخر ما وقع كان ملتقى السليمانية الرابع يوم الأربعاء ٢٠١٦/٣/١٦، حيث قال رئيس حكومة إقليم كوردستان ونائب رئيس الحزب الديمقراطي (نيجيرفان البارزاني) في كلمة له إن: "طرفاً بعينه حاول استخدام البرلمان وسيلة لضرب التوافق الذي شكلت على أساسه الحكومة والبرلمان ذاته"، في إشارة إلى حركة التغيير، وفي المقابل رد رئيس البرلمان، والقيادي في حركة التغيير (يوسف محمد صادق) خلال كلمة له بالملتقى بأن:" إقليم كوردستان لا يمكن إدارته بمجموعة من الاشخاص الذين لا يجيدون القراءة والكتابة".

وهناك مؤشرات قوية على أن (الحزب الديمقراطي) يسعى لإزاحة (حركة التغيير) بشكل كلي عن الائتلاف الحكومي القائم عبر تشكيل حكومة جديدة مع حليفه (الاتحاد الوطني)، وعقدت لهذا الغرض عدة اجتماعات على مستوى عال لم يعلن عن مجرياتها ومضامينها حتى الآن، مع تأكيد الطرفين على المضي قدماً في اجتماعات أخرى حال انتهاء عطلة نوروز.

ورفضت حركة التغيير على لسان عدد من قياديها محاولات إقصائها من الحكومة، مجددة التأكيد على أن ما حصل من إبعاد رئيس البرلمان وإقالة وزرائها من الحكومة هو "انقلاب على الشرعية المستمدة من شعب كوردستان".

وبحسب المراقبين فإن ما يحول دون إبداء (حركة التغيير) أي نوع من المرونة إزاء اشتراطات (الحزب الديمقراطي) لعودتها إلى البرلمان والحكومة، هو ضغوطات القاعدة

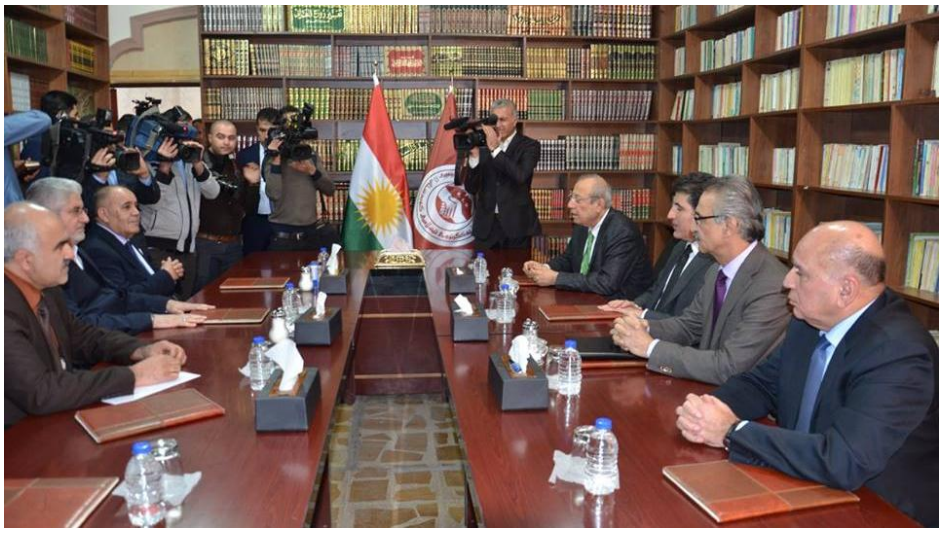

الشعبية للحركة في (السليمانية)، والرافضة لما يعدونها تنازلات.

ووفقا للمراقبين أيضا فإن (حركة التغيير) تعاني ترهلاً بفعل غياب منسقها العام (نوشيروان مصطفى) المؤسس الفعلي للحركة وقائدها الروحي، فلم يصدر منه أي تصريح إزاء ما وقع من أحداث جسام كانت (التغيير) المتضررة الأكبر منها.

وعلى الطرف الآخر يتمسك (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) بخيار التوافق الوطني سبيلاً وحيداً للخروج من الأزمة السياسية الراهنة، وهو ما عبر عنه أمينه العام، وكذلك المكتب السياسي للحزب، في أكثر من اجتماع ومناسبة، آخرها البيان الصادر عن مكتب الأمين العام بمناسبة عيد نوروز ورأس السنة الكوردية الجديدة.

وللبعد الإقليمي تأثير واضح على مسارات السياسة في كوردستان العراق، فللدول الإقليمية مجموعة مصالح متشابكة على امتداد المنطقة بمن فيه الإقليم الكوردي وضمان تلك المصالح – حسب أجنداتهم – إما أن يكون بالاستقرار أو بعدمه.

ولا يمكن التكهن بانتهاء الانقسام السياسي في المستقبل القريب، طالما اتخذت الخلافات طابعاً ايديولوجياً❐

تكريم الأمين العام بوسام شخصية العام السياسية في إقليم كوردستان

گرميان: الحوار

اختار (مركز گرميان للاستفتاء) الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني الأستاذ (محمد فرج) شخصية العام السياسية في إقليم كوردستان.

جرى ذلك في مراسيم نظمها المركز المذكور يوم ٢٠١٦/٣/٥، وحضرها أعضاء إدارة منطقة (گرميان)، وجمع غفير من الشخصيات السياسية والاجتماعية والأكاديمية.

وألقى مدير (مركز گرميان للاستفتاء) كلمة أكد فيها أن اختيار الأستاذ (محمد فرج) شخصية العام السياسية يأتي بصفته الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني، وباعتباره قيادة سياسية كوردية لها مكانة في الأوساط الكوردستانية، ما برحت جاهدة لترتيب البيت الكوردستاني، وتعزيز الصف الوطني في الإقليم.

وقال مدير المركز أيضاً إن الأستاذ (محمد فرج) دائم السعي لرأب الصدع السياسي الحاصل بين شركاء العملية السياسية، مبيناً أن سيادته يعكس في خطاباته منهج حزبه المنادي بالتشاور والتوافق حول القضايا الوطنية المصيرية، ومحذراً دوماً من الإقصاء والاستفراد في القرار والحكم بكوردستان.

بعدها قام مدير المركز بتكريم الأستاذ (محمد فرج) بوسام شخصية العام السياسية، وسط تجاوب وترحيب من قبل المشاركين في المراسم.

من جانبه ألقى الأستاذ (محمد فرج) كلمة عبّر فيها عن تقديره البالغ لهذا التكريم العالي، ومن ثم خاطب المشاركين قائلاً: "بالاتفاق نحافظ على المنجزات المتحققة، وندعم خطواتنا إلى الأمام"، "نحن على هذا الأساس اخترنا التوافق سبيلاً، مع بقية الأحزاب السياسية الأخرى، وكافة جموع شعب كوردستان". وأردف:"يتحتم علينا من الآن العمل المشترك"، " ننسب الأعمال الجيدة للشعب، وننسب ما دونها من أعمال باسمنا، وننكّب على تصحيحها ومعالجتها".

وعبّر الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني عن أسفه لعدم إدراك تلك المفاهيم، بالقول:"هذه التجربة الكوردستانية تثمر بمعالجة الأخطاء، وليس بالتمترس ضد بعضنا البعض"، "تحديد الأخطاء ليس انتقاصاً، بل هو تصويب"، وتصويب الأخطاء يعظمنا"، "علينا الاعتراف والقيام بغرس هذه الحقيقة في دواخلنا".

وختم بالقول: "إننا إزاء مفترق طريقين: إما التوافق، وإما صناديق الاقتراع، وما عداهما يعنى ارتكاب خطأ فادح بحق أنفسنا وشعبنا".

يذكر أن (مركز گرميان للاستفتاء) أحد أهم المراكزالكوردية الناشطة في مجال المجتمع المدني، وله العديد من الأنشطة والفعاليات الدورية، ومنها اختيار شخصية العام، وقد وقع الاختيار على الأمين العام للاتحاد الإسلامي الأستاذ (محمد فرج)، باعتباره شخصية العام السياسية للعام المنصرم ٢٠١٥. ❐

فرع كوردستان لمنتدى الوسطية العالمي يشخص في ندوة فكرية ظاهرة التطرف

السليمانية: الحوار

نظم (المنتدى العالمي للوسطية) فرع (إقليم كوردستان)، يوم الأحد الموافق (٢٠١٦/٢/٩) ندوة فكرية تناولت مخاطر التطرف الديني وأبعاده التدميرية في المجتمعات الإسلامية.

الندوة عقدت في مدينة (السليمانية) تحت عنوان (الوسطية من روح التعايش المشترك)، وحضرها جمع غفير من علماء الدين، إلى جانب مفكرين ومهتمين بالشأن الفقهي والفكري الإسلامي.

الندوة كانت الأولى للمنتدى، واستهلت بكلمة للأستاذ (صلاح الدين محمد بهاء الدين) رئيس فرع كوردستان لـ(المنتدى العالمي للوسطية).

وقال الأستاذ (صلاح الدين محمد بهاء الدين) في محاضرته: "إن التطرف مرض فكري عالمي ليس مرتبطاً فقط بالعديد من

المسلمين، لكن علينا الإقرار بأن المجتمعات الإسلامية باتت في جزء منها أسيرة للفكر المتطرف".

وأشار إلى أن التطرف كارثة حلت بمجتمعات المسلمين، وأبعاده التدميرية تجاوزت حدود هذه المجتمعات إلى النطاق العالمي، بالشكل الذي يسيء إلى صورة الدين الإسلامي الحنيف، فخلقت نوعاً من الفوبيا لدى المجتمعات الغربية تجاه الإسلام والمسلمين.

وأكد أهمية الوسطية والاعتدال في الفكر والممارسة الإسلامية، ودورها بشكل لا تخطؤه عين الناظر في التأسيس للتعايش المشترك بين مختلف المكونات المجتمعية.

وتضمنت الندوة، التي توزعت محاورها على جلستين، أربعة أوراق، كالتالي:

- الوسطية في الفتوى- للأستاذ الشيخ (عبد الله سعيد) رئيس اتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان.
- وسطية الأمة الإسلامية- للشيخ محمد باموكي.
- أسس الخطاب الوسطي- للأستاذ سرباز.
- المبادئ الأصولية للوسطية- للشيخ أبو بكر بينجويني.

وأدار محاور الندوة كل من الأكاديميين: (د. علاء الدين جنكو)، و(د. يحيى عمر ريشاوي)، على التوالي..

واختتمت الندوة نشاطها وسط تجاوب من الحاضرين، لما استعرضت فيها من محاضرات قيمة عالجت ظاهرة الغلو والتطرف.

وعلى هامش الندوة أعرب الأستاذ (صلاح الدين محمد بهاء الدين)، في حديثه لمراسلي بعض القنوات الإعلامية، عن استيائه من تفاقم الأزمة السياسية في إقليم كوردستان. وبيّن أن تعطيل البرلمان الكوردستاني أحد الأخطاء القاتلة التي عمقت الخلافات بين الأحزاب السياسية، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن هذا الأمر هو جزء من مشهد له ملامح أخرى، لا يمكن اجتزاؤه وتصويره لوحده. وطالب الفرقاء السياسيين بالكف عن (المماطلة) و(التسويف)، والإسراع في إيجاد مخرج من الأزمة، التي أثّرت إلى جانب الأزمة الاقتصادية على نفسية المواطنين وحياتهم المعيشية.

وبسؤال لأحد المراسلين عن اعتزام الأستاذ (صلاح الدين)، بمعيّة رئيس الجمهورية (فؤاد معصوم)، بقيادة جهود وساطة للتقريب بين أطراف النزاع السياسي، أجاب سيادته: "قمنا بعدة زيارات كجولة أولى، ونحن حالياً بانتظار فخامة الرئيس (معصوم) لإطلاق جولة وساطة أملاً في إنهاء الأزمة في كوردستان"❐

ملتقى السليمانية الرابع

يناقش قضايا محلية وإقليمية ودولية

السليمانية: الحوار

نظمت (الجامعة الأمريكية) ملتقاها السياسي الرابع بمدينة (السليمانية)، يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٦/٣/١٦، بحضور (٧٠٠) شخصية من قادة وزعماء سياسيين وشخصيات أكاديمية وإعلامية كوردستانية عراقية وعربية ودولية.

وشارك في الملتقى الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج)، برفقة عضوي المكتب السياسي: (سمير سليم) و(عمر محمد).

وتناول المشاركون في الملتقى، الذي استمرت فعالياته يومين، أوضاع العراق والمنطقة ما بعد (داعش)، فضلاً عن التحركات الإقليمية الأخيرة، والأزمات الإنسانية المصاحبة للنزاعات المسلحة في المنطقة.

واستهدف الملتقى أيضاً التقريب بين الشخصيات والأطراف السياسية، والوقوف على الظروف الاقتصادية والسياسية والقضائية في دول (منطقة الشرق الأوسط)، خصوصاً وأن الملتقى الذي نظمه (معهد الدراسات الإقليمية والدولية في الجامعة الأمريكية) اشتمل على بحث الأزمة المالية والحرب ضد (داعش).

وبدأ الملتقى فعالياته بكلمة للدكتور (برهم صالح)، بصفته كبير أمناء (الجامعة الأمريكية الدولية)، استعرض فيها سبل تعاون دول المنطقة لمواجهة التحديات.

كما ألقى العديد من الشخصيات الكوردستانية والعراقية والدولية، كلمات دارت جميعها حول المحاور التي أعلنها الملتقى للبحث والنقاش.

وتبلورت في الملتقى رؤى بيّنت أن الصراعات وصلت إلى ذروتها من العنف والسلمية، متزامنة مع ارتدادات (ثورات الربيع العربي) وظهور تنظيم (داعش) على مسرح الأحداث، مما يستوجب التفكير بجدية أكثر عن كيفية رسم الطريق الصحيح للمضي قدماً من أجل تحقيق الإصلاحات.

هذا وأجرى الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج) سلسلة لقاءات

منفردة على هامش الملتقى لبحث التطورات في كوردستان بخاصة، والعراق والمنطقة على وجه العموم، مع التأكيد على أهمية الحفاظ على وحدة الصف والتعايش السلمي.

وفي هذا السياق التقى سيادة الأمين العام بالسياسي والدبلوماسي الأمريكي المعروف (بيتر غالبريس)، حيث بحث معه مستجدات الواقع الكوردستاني والعراقي والسيناريوهات المتوقعة.

وتحدث سيادة الأمين العام عن أن الكورد في إقليم كوردستان أمام مفترق طرق خطرة ومصيرية، قائلاً: "الأوضاع المعقدة أصابت القيادات السياسية في الإقليم بالإرباك والتردد إزاء كيفية التعامل مع الفرص ومواجهة المخاطر". وأضاف: "بقاء إقليم كوردستان مع بغداد بات مصدراً لمعاناة وحصار وتجويع شعبنا، متمثلاً في قطع الرواتب والامتناع عن إرسال ميزانية الإقليم.. والاستقلال عن بغداد لا يبدو واضحاً، مع أنه قد يكون مصدراً للاستقرار بسبب مواقف الدول العظمى".

من جهته أجاب (بيتر غالبريس) بالقول: "لا بد للكورد من اتخاذ القرار بأنفسهم، ثم بعدها ينتظرون مساندة أصدقائهم".." لا تستطيع الدول الكبرى تجاهل تجارب سياسة الأمر الواقع".

وأوضح: "إذا كان البقاء مع بغداد، أو الانفصال عنها، سيّان من ناحية التضحيات والأبعاد وردود الأفعال، لماذا لا تجربوا خيار حلم شعبكم!!؟ لعل المستقبل يكون غامضاً، لكن ربما يكون النجاح وارداً أيضاً".

وختم بالقول: "ماضيكم مليء بالآلام والتجارب المريرة، لكن هناك تجارب أخرى يمكن اللجوء إليها، قد تشكل منعطفاً لتحقيق الأحلام والطموحات والآمال"..."لا يمكن ربط المصير بالمشاكل"❐

آخر الكلام

تقليعة الإصلاح الرائجة!

محمد واني

تحوّل الإصلاح هذه الأيام إلى موضة رائجة في العراق، الكل بدأ ينجرف معها، ويروّج لها، ويدافع عنها، ويرفع شعاراتها، الحاكم والمحكوم، الشعب والسلطة، الأحزاب السياسية، والكتل البرلمانية، والمراجع الدينية، الهيئات المستقلة، وغير المستقلة، ومنظمات المجتمع المدني. لم يغب أحد عن المشهد المتداخل، الذي يشبه إلى حدّ بعيد مسرحية تمثيلية عبثية ساخرة، الممثلون فيها يؤدون أدوارهم بدقة وانضباط، ويتعاملون مع الواقع بحرَفِيّة سياسية عالية.. الكل لديه هدف وغاية في دعوته الإصلاحية: الشعب يريد إصلاح الحكومة، وتفعيل مؤسساتها، ومحاكمة الفاسدين، وإعادة الأموال المسروقة منهم إلى خزينة الدولة، ولكن كيف، وبأي طريقة، ومن يضطلع بمهمة الإصلاح، ويقود عملية التطهير لتلك المؤسسات؟! والسؤال الأهم والأخطر، هو: مَنْ يحاكم مَنْ، إذا كان معظم الهيئات والمؤسسات الحكومية، والشخصيات السياسية الفاعلة، قد نخرت فيها (سوسة) الفساد، ومن ضمنها المحاكم والهيئات القضائية، وهيئة النزاهة، التي أخفقت تماماً في تقديم عمل جاد لمحاسبة الفاسدين الكبار، وتقديمهم إلى العدالة؟!. وقد ظلّت المظاهرات الشعبية الواسعة في (بغداد)، منذ شهور، والداعية إلى الإصلاح، محاولة بائسة وغير مجدية في غياب الآلية! والحكومة أيضاً تدعو إلى الإصلاح، وترفع شعاراته، ولكن دون أن تقترب من حيتان الفساد، مجرد دعوة غير جادة بالمرّة!..

كان اختيار (حيدر العبادي)، لقيادة الإصلاح، والتصدي للفساد، خطأً جسيماً، لأنه محسوب على تشكيلة النظام القديم المراد تغييرها، وهو يتحمّل جزءاً من أوزارها. والحكومة الجديدة التي يريد تشكيلها من وزراء تكنوقراط، تتصادم مع نظام الحكم المحاصصي المعمول به منذ ٢٠٠٥، حسب الدستور.. عليه أولاً أن يغيّر بعض بنود الدستور، لكي يحقق هدفه، وإلا فلن يستطيع، فالتركيبة السياسية والإدارية صيغت على أساس المحاصصة القومية والطائفية.. ونفس الأمر ينطبق على (مقتدى الصدر)، الذي يتزعم جموع المتظاهرين، ويهدّد باجتياح (المنطقة الخضراء)، لإجبار الحكومة على تطبيق الإصلاحات، فهو ما زال جزءاً أساسياً في العملية السياسية، وله وزراء وكتلة برلمانية قوية، وهو عضو فاعل في التحالف الوطني الحاكم ، وما يقوم به من احتجاجات قد يكون الغرض منها حماية النظام القائم، والحؤول دون ظهور زعماء شعبيين (غرباء)، يوجّهون الجموع الغاضبة إلى ما لا تحمد عقباه! وربما هو دور يلعبه لصالح المذهب! كل شيء جائز في عراق العجائب!❐